محاضرات

فى علم اللغة الحديث

تأليـــف

الدكتور أحمد مختار عمر

الأستاذ بكلية دار العلوم

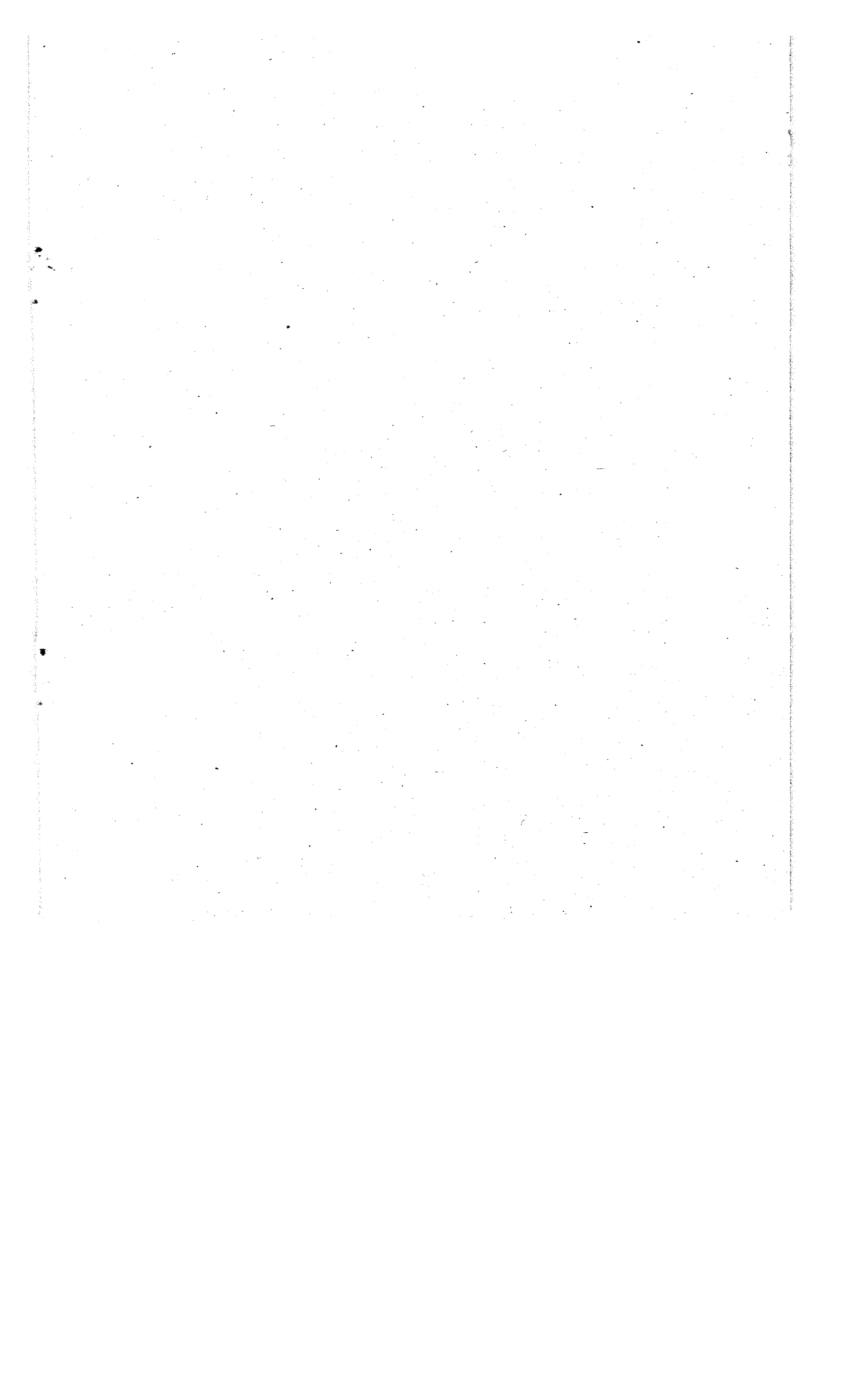
جامعة القاهرة

الطبعة الأولى

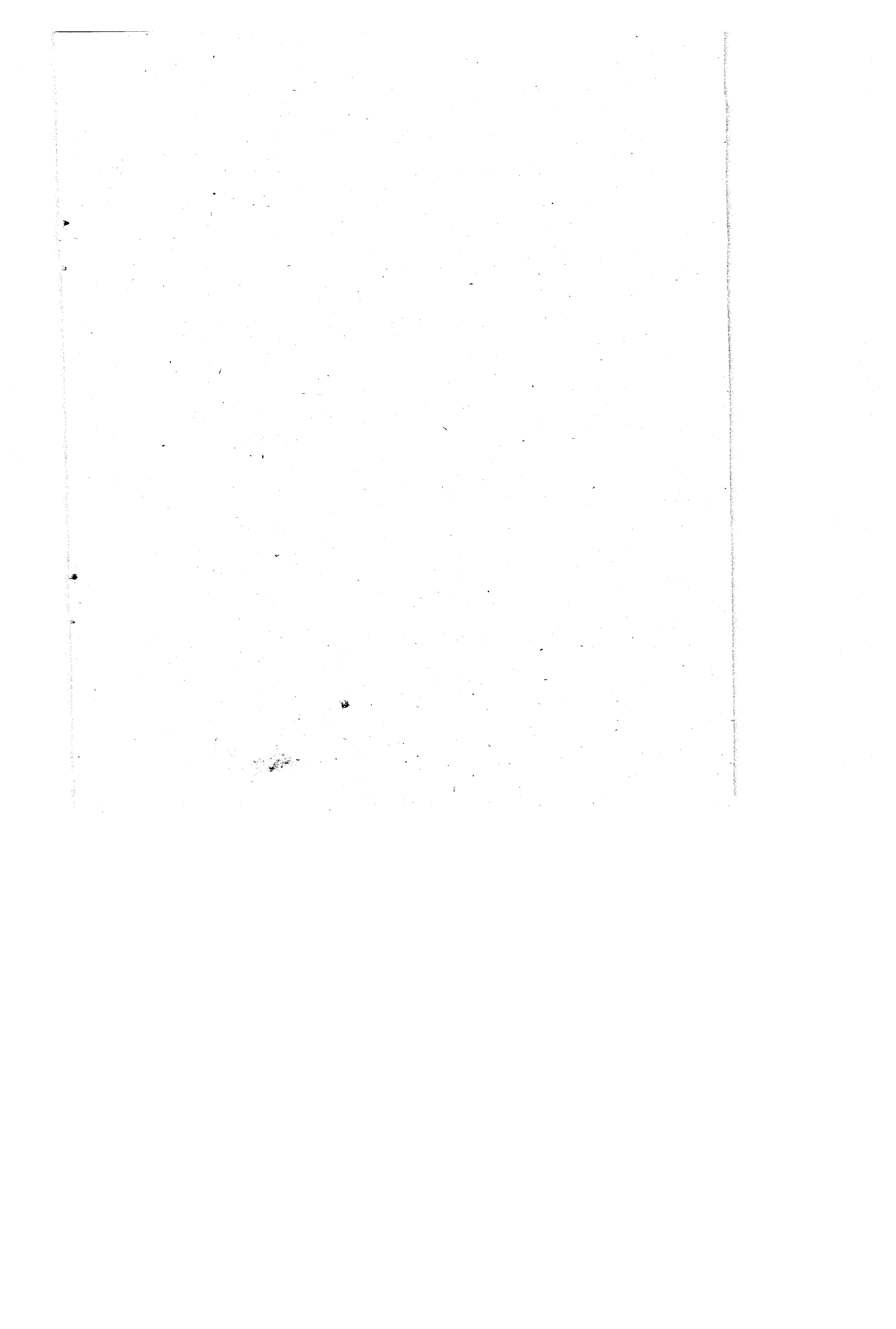
١٩٩٥

عالم الكتب

٣٨ ش عبد الخالق ثروت



بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

هذه محاضرات في علم اللغة الحديث أعددتها لتناسب طلاب الفرقة الرابعة بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة .

ونظرا لاتساع رقعة الدراسة ، وتعدد المناهج اللغوية الحديثة بشكل يستعصى على التتبع والرصد فى الساعات القليلة المخصصة لهذا الفرع من الدراسة ، فقد رأيت أن أجمع فى هذه الدراسة بين شيئين :

١– النظرة الكلية الاستعراضية الشاملة .

٢– الانتقاء لعدد من المجالات الوثيقة الصلة بالمناهج اللغوية الحديثة ، وإعطائها شيئا من البسط ؛ حتى يمكن إعطاء تصور شامل من ناحية ، والقيام بدراسة معمقة من ناحية أخرى .

وعلى هذا جاءت هذه المذكرة مشتملة على الموضوعات الآتية :

١– نظرة عامة .

٢– المصطلح الألسنى العربى وضبط المنهجية .



٣– علم اللغة الحديث ومجالاته التطبيقية .

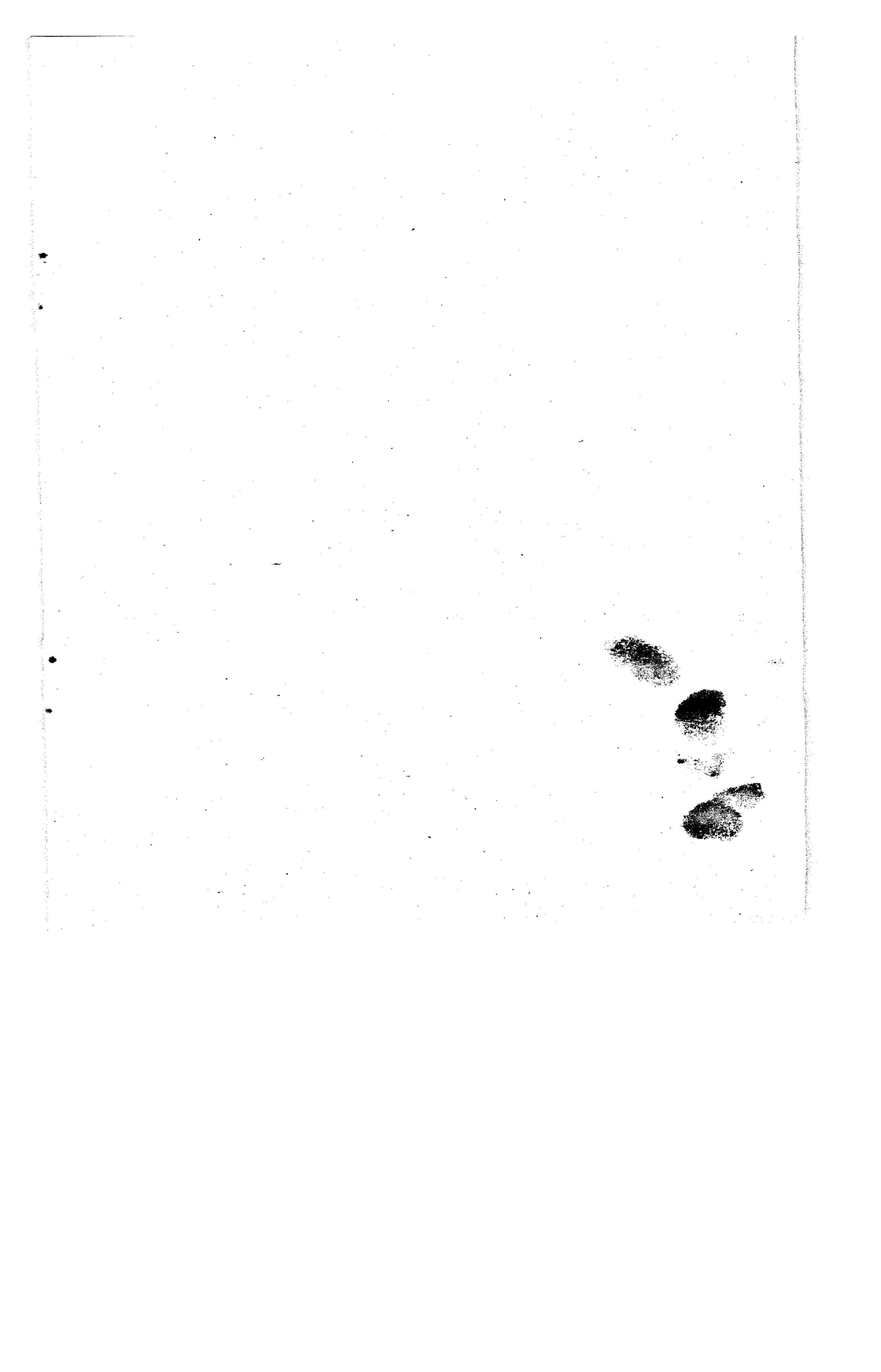
٤– أهم الاتجاهات اللغوية الحديثة وتشمل :

أ– بلومفيلد واتجاهه البنيوى .

ب– دى سوسير وآراؤه اللغوية .

جـ– تشومسكى ومنهجه التحويلى التوليدى .

د– مدرسة براغ اللغوية .



المحتـــوى

الصفحـــة

الفصل الأول

نظرة عامة

١ – نظرة عامة

يعتبر علم اللغة العام – بوصفة علما أكاديميا مستقلا – من العلوم الحديثة نسبيا لأنه نتاج القرن التاسع عشر وثمرة الأعمال المشتركة فى أوربا وأمريكا وبريطانيا فى الأعوام ما بين ١٩٠٠ و ١٩٥٠ .

وفى القرون القليلة التى سبقت القرن الثامن عشر وجدت دراسات لغوية ينقصها التنظيم ويعوزها المنهج العلمى ، بالإضافة الى حصر نفسها فى دائرة ضيقة ، وذلك أنها كانت تقريبا مقصورة على اللغتين الاغريقية واللاتينية وبعض اللغات الأوربية الفصحى . ولم يخرج عن ذلك الإ بعض دراسات قليلة قام بها المستشرقون فى القرنين السادس عشر والسابع عشر حول بعض اللغات السامية ودراسات أخرى قليلة للغات جنوب الهند .

وتعتبر اللغتان العربية والعبرية أول لغتين يدرسان من غير العائلة الهند أوربية دراسة منهجية على أيدى الدارسين الأوربيين .

ويعد القرن الثامن عشر نقطة التحول فى الدراسات اللغوية ومرحلة الانتقال بين عهدين . فما أن جاء حتى كانت اتصالات الغرب بالأمم الأخرى قد قويت عن طريق الحركات الكشفية والاستعمارية والإرساليات التبشيرية . وقد وصل هذا بين أوربا وأمم كثيرة ، وبذا أصبحت تلك البلاد محل اهتمام دراسى أيضا . وصاحب ذلك أيضا اهتمام متزايد باللهجات العامية والمتكلمة فى أوربا بعد أن قل الاهتمام باللغة اللاتينية وأخذت المطابع تخرج كتبا كثيرة مكتوبة باللغات الأوربية الحديثة .

وفى نهاية هذا القرن جاء جدول جديد من الدراسات اللغوية – على يد المستعمرين الأوربيين للهند – صب فى حقل الدراسات الأوربية وأخذ شكلين .

أ- اكتشاف اللغة السنسكريتية وهى اللغة الكلاسيكية للهند ، واكتشاف علاقتها المؤكدة باللغات الأساسية فى أوربا .

ب- انتقال الآثار الهندية اللغوية إلى أوربا وبخاصة الدراسات المتعلقة باللغة السنسكريتية . وقد ظهرت أول ترجمة لها فى أوربا فى أوائل القرن التاسع عشر . ويقول " بلوموفيلد " مبينا أثر الدراسات الهندية على علم اللغة الحديث: "لقد كانت الهند صاحبة الفضل فى إثارة معلومات أدت الى الأفكار الأوربية الحديثة عن اللغة " ويقول أيضا " وقد وضع النحو الهندى أمام أوربا للمرة الأولى وصفا كاملا دقيقا شاملا للغة مؤسسا على الملاحظة العملية لا على الافتراضات النظرية " . ويقول " لورد " بعد أن بين جهوذ النحاة السنسكريتيين فى تحليل الأصوات الكلامية وتنظيمها وفى وضع نظمهم النحوية " وبدون تأثير هذه الدراسات على علماء اللغة الأوربيين الذين عاشوا فى أوائل القرن التاسع عشر لما كان قد قدر لعلم اللغة المقارن أن يولد ".

أ- ومن أهم أعلام هذا القرن فردريك وولف Friedrich Wolf الذى ابتكر عام ١٧٧٧ الدراسة النقدية المقارنة للنصوص القديمة .

وهو أول من استعمل المصطلح Philology استعمالا علميا دقيقا.

ب- ولمع كذلك اسم السيروليم جونز William Jones باعتباره مكتشف اللغة السنسكريتية سنة ١٧٨٦ ، والعلاقة بينها وبين اليونانية واللاتينية.

ولكن عمل جونز لم يخرج عن كونة مجموعة من الملاحظات المتفرقة .

أما القرن التاسع عشر فقد لمع فيه علماء مثل :

أ- العلامة الألمانى شليجل Schlegel الذى نبه الأذهان إلى صلات التشابه الكثيرة بين اللغات الأوربية والهندية والآرية .

وقد قرر فى كتاب له نشر عام ١٨٠٨ أن الوسيلة الوحيدة لاثبات العلاقة بين أفراد مجموعة لغوية هى مقارنة قواعدها وتراكيبها لا مجرد جمع المفردات المشتركة بينها .

ب- العلامة الألمانى جريم Jacob Grimm (١٧٨٧ - ١٨٦٣) الذى يعتبرواضع النحو المقارن ومؤسس المدرسة الجرمانية وقد نشر عام ١٨١٩ كتابه " قواعد اللغة الألمانية " ثم أعاد طبعه بعد اضافة نحو ستمائة صفحة للدراسات الصوتية . وقد قدم فيها شرحا منظما لتقابلات الأصوات الساكنة فى اللغات الجرمانية وغيرها من اللغات الهند أوربية . وقد عرفت هذه الدراسة منذ تلك اللحظة باسم " قانون جريم "

جـ- العالم الأمريكى الكبير وتنى William Whitney(١٨٢٧ - ١٨٩٤) المتخصص فى اللغة السنسكريتية . ومن خير الخدمات التى أداها الى الدراسات اللغوية ترجمته من السنسكريتية إلى الإنجليزية بعض المقالات الخاصة بالأصوات اللغوية .

وأهم ما يميز هذا القرن :-

١- أنه شهد كثيرا من المجهودات الخالقة المبدعة التى نتجت عنها نتائج لغوية هامة مثل تقسيم اللغات الى عائلات ، والقوانين الصوتية . كما حل فى هذا القرن الاستقراء محل القياس باعتباره أحد أسس المنهج العلمى فى تناول المادة اللغوية .

٢- أن بحوث علم اللغة المقارن مهدت السبيل أمام بحوث علم اللغة التاريخى ، فانتقل العلماء من الموازنة بين اللغات الهند أوربية الى الموازنة بين مظاهر كل لغة فى مراحلها المختلفة ، ومن البحث فى تفرع هذه اللغات بعضها عن بعض وتفرعها عن أصل واحد الى البحث فى الطريقة التى تسلكها كل لغة منها على حدتها فى تطورها .

٣- تأسيس الجمعية اللغوية الباريسية عام ١٨٦٦ ذات النشاط الملحوظ فى الدراسات اللغوية .

٤- ظهر فى أمريكا - الى جانب الدراسات اللغوية العامة - أبحاث متأثرة بالدراسات الأنثروبولوجية وبخاصة تلك التى تتناول الهنود الأمريكيين .

٥- إخضاع الدراسة اللغوية لمنهج البحث العلمى وتوجيهها الى نفس الأغراض التى ترمى اليها العلوم ، وجعل غايتها الأساسية الوصول الى كشف القوانين التى تخضع لها الظواهر اللغوية وتخليصها من جميع الظواهر الفلسفية أو الميتافيزيقية ولذلك انصرف الباحثون عن مناقشة موضوع " نشأة اللغة "

٦- استخدام الآلات والأجهزة الميكانيكية فى دراسة الأصوات .

ومن أول من فعل ذلك الأستاذ روسلو Rousselot عام ١٨٩٠ الذى أطلق على البحوث القائمة على هذه الطريقة اسم "علم الصوت التجريبى".

أما القرن العشرون فيتميز باتساع الدراسات اللغوية وتقدمها الملحوظ والاهتمام الكبير بعلم الأصوات التجريبى ، وبخاصة منذ الثلاثينيات حين اخترعت الطرق الكهربائية ثم الألكترونية للتسجيل اللغوى وبخاصة التكنيك الجديد للجغرافيا اللغوية الذى مهد الطريق أمام منهج جديد فى دراسة اللغة .واذا كان القرن التاسع عشر قد اصطبغ بالصبغة التاريخية ، فان القرن العشرين انما يصطبغ بالصبغة الوصفية بمستوياتها التحليلية التى سبق الحديث عنها .وهذا بيان موجز ببعض الجهود التى تمت منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الأن .

أولاً- فى أمريكا

الى جانب علماء اللغة المواطنين ، وجد علماء آخرون مهاجرون من بلاد أخرى فى أوربا حملوا معهم اتجاهات أوربية الى وطنهم الجديد . وقد أدى هذا الى نشاط علمى واسع ، وضم الجهود المتعددة والاستفادة من خبرات الآخرين . ومن أشهر من هاجروا الى أمريكا من أوربا الشرقية العالم اللغوى المشهور

رومان جاكوبسن Roman Jakobson الذى ولد فى موسكو سنة ١٨٩٦وتأثر باللغويين الروس الى درجة ملحوظة ثم ذهب الى براغ فى أوائل العشرينات واشتغل أستاذا هناك بين سنتى ١٩٣٣و ١٩٣٩ ، ثم غادر تشيكوسلوفاكيا أيام الاحتلال النازى إلى أمريكا وشغل منصب أستاذ اللغات السلافية والأدب فى جامعة هارفارد وأستاذ علم اللغة العام فى كمبردج وقد اشتهر جاكوب بدراساتة المركزة فى علم الفونولوجى وعلم النحو وتطور الكلام عند الأطفال . وأخرج مؤخرا كتابا بعنوان : الصوت والمعنى . ومن أشهر اللغويين الأمريكيين ليونارد بلومفيلد Leonord Bloomfield (ت ١٩٤٩) الذى لعب كتابه " اللغة Language دورا كبيرا فى علم اللغة الأمريكى ، ويعتبره الكثيرون بمثابة الانجيل أو القرآن لعلم اللغة الأمريكى ، كذلك منهم ادوارد سابير Sapir (١٩٣٩) الذى كتب كتابه " اللغة – مقدمة لدراسة الكلام" وظهر عام ١٩٢١ .

وفى كل علم اللغة الأمريكى يحتل التحليل الفونيمى مركزا هاما حيث يعتبرالفونيم هو الوحدة الأساسية التى يمكن أن تتحقق فى أشكال متنوعة يسمى كل منها " ألوفون " وسيأتى الحديث عن ذلك .

كذلك من أهم ما يميز علم اللغة الأمريكى أنه عالج مشاكل لم تواجه اللغويين الأوربيين مثل معالجة لغات الهنود الأمريكيين ودراسة تاريخهم تحت اسم الأنثروبولوجى ووجود لغات فى القارة الأمريكية تتجاوز المئات وماعدا ذلك فهناك تماثل فى الأسس بينه وبين علم اللغة الأوربى، يرجع الى عدة أسباب منها اطلاع الأمريكيين على جهود الأوربيين وهجرة علماء أوربيين واقامتهم فى أمريكا . وحينما نشر بلوموفيلد كتابه اللغة (حوالى سنة ١٩٣٤) كان على علم بالاتجاهات الأوربية الحديثة . وكتاب سابير " اللغة – مقدمة لدراسة الكلام " يشتمل على كثير من النظريات التى كانت معروفة إذ ذاك .

ثانياً- فى أوربا الغربية

من أبرز اللغويين الذين لمع اسمهم :-

أ- فرد ناند دى سوسير Ferdinand de Saussure

العالم السويسرى المشهور وقد ظهرت باكورة انتاجه عام ١٨٧٩ وله من العمر ٢٢ سنة حيث نشر بحثا عن اعادة تشكيل نظام العلل فى اللغة الأم للغات الهند أوربية كان جديدا فى طريقته . بعد ذلك نشر رسالته للدكتوراه التى تعالج موضوعات تقليدية (سنة ١٨٨١) وعددا من الأبحاث الصغيرة . أما عمله الهام فهو محاضراته فى باريس ثم فى جنيف التى نشرت عام ١٩١٦ بعد وفاته بتحقيق اثنين من تلامذته . ويعتبر هذا العمل الهام الأساس الكبير لكثير من الأسس اللغوية التى تميز علم اللغة الحديث من علم اللغة المقارن التاريخى الذى كان معروفا فى القرن التاسع عشر . وقد قام دى سوسير بعملين هامين يميزانه عمن قبله هما :

١-أنه ميز تمييزا قاطعا بين المنهج الوصفى فى التحليل اللغوى والمنهج التاريخى . وكثير من الدراسات اللغوية الحديثة التى تقوم على هذا التفريق مؤسسة على أبحاثه .

٢- التفريق بين اللغة La Langue والكلام La Parole

ب- وفى بريطانيا ظهر العالم اللغوى المشهور هنرى سويت Sweet. (ت ١٩١٢) الذى كتب " الموجز فى علم الأصوات اللغوية " و " التمهيد فى الإنجليزية الملفوظة " . كما كتب نحو اللغة الإنجليزية وفقه لغة لها . وظهر كذلك دانيال جونز Daniel Jones الذى اشتهر بمؤلفاته فى ميدان الأصوات اللغوية وبتطويره لنظرية الفونيم بوجه خاص . وأخيرا لا يفوتنا أن نشير الى Firth (ت ١٩٦٠) الذى تخرج على يديه كثير من أساتذة علم اللغة فى مصر .

ثالثاً- فى أوربا الشرقية

إمتلأ القرن العشـرون بأسماء كثير من الأعلام الذين قاموا بمجهودات موفقة فى ميدان علم اللغة يمكن أن توصف بالتجديد والابتكار. وقد سبق أن ذكرنا نبذة عن أعمال جاكوب سن ونضيف اليه الشخصيات الآتية :-

أ- V. Mathesius الذى ولد سنة ١٨٨٢ وتتلمذ على بعض الأساتذة الألمان وعلى هنرى سويت الإنجليزى وأوتويسبرسن الدانمركى ، كما درس فى براغ ، وأصبح محاضرا فى احدى جامعاتها عام ١٩٠٩ . وفى سنة ١٩١٢ أصبح أستاذ اللغة الإنجليزية . ويعتبر ماثيوس رائدا من رواد الدراسات الوصفية فى اللغة . وله محاضرة ألقاها فى براغ عام ١٩١١ دافع فيها بطريقة مقنعة فصيحة عن المنهج الوصفى لظاهرة اللغة ، وهو المنهج الذى أصبح معروفا فى مجال علم اللغة حينما نشرت محاضرات دى سوسير السابق الاشارة اليها . وقد كان من سوء حظ ماثيوس أن محاضرته لم تنشر بلغة عالمية الا مؤخرا حيث ترجمت الى اللغة الإنجليزية عام ١٩٦٤ . ويقول جاكوب سن معقبا على هذه المحاضرة بعد اطلاعه عليها لاول مرة فى منتصف العشرينيات " لو أن ماسيوس ألقى محاضرته فى موسكو وليس فى براغ لسببت هناك ثورة حقيقية فى علم اللغة " .

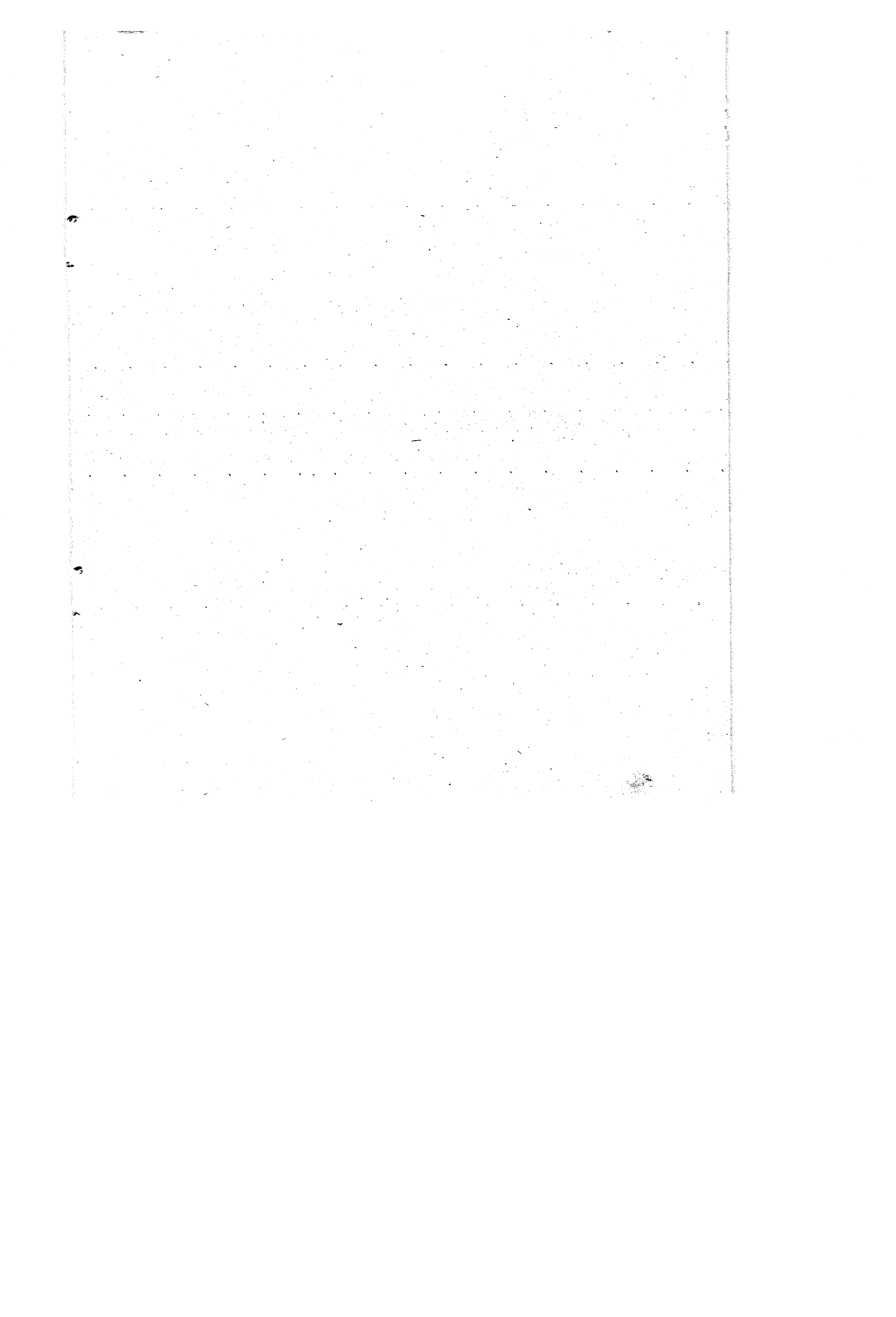
ب- N . S . TrubetsKay الذى ولد عام ١٨٩٠ فى موسكو واشتغل أستاذاً للفلولوجى السلافى فى أكثر من جامعة أوربية ومات سنة ١٩٣٩ كضحية للنازى . وقد كان صديقا لجاكوب سن وكتب كتابا فى الفونولوجى طبع فى براغ عام ١٩٣٩ يعتبر من الأعمال الأصيلة التى عالجت الحقائق والمشاكل الفونولوجية . وله كتب أخرى فى اللغة نشرت فى فينا أعوام ١٩٣٥ و ١٩٥٦ .

فى براغ عام ١٩٣٩ يعتبر من الأعمال الأصيلة التى عالجت الحقائق والمشاكل الفونولوجية . وله كتب أخرى فى اللغة نشرت فى فينا أعوام ١٩٣٥ و ١٩٥٦ .

جـ- مدرسة براغ : نشطت الحركة اللغوية فى براغ بوجه خاص بعد تكوين ما يعرف بـ " الحلقة اللغوية " عام ١٩٢٦ والتى استمرت حتى الخمسينيات حيث حل محلها تشكيلات جديدة هى " الجمعية اللغوية "،"وجمعية علم اللغة الوظيفى " وسنخصص لهذه المدرسة ورجالها دراسة مستقلة فيما بعد .

الفصل الثانى

المصطلح الألسنى العربى
وضبط المنهجية



٢ – المصطلح الألسنى العربى وضبط المنهجية

إذا كانت كتابة العلوم باللغة العربية تعانى من مشكلة نقص المعروض من مصطلحات عربية ، ومن تفضيل كثير من المؤلفين الكتابة بغير العربية – فإن الكتابة الألسنية باللغة العربية تعانى من مشكلتين حادتين هما :

أولاً : كثرة ما تقذفه المطابع كل عام من كتابات باللغة العربية ، وما يصحبها من إدخال مصطلحات جديدة كل يوم دون أن تتوافر لها شروط المصطلح ، مما خلق مجالات كثيرة للتعارض والتصادم بين هذه المصطلحات ومستخدميها بعضهم مع بعض .

ثانياً: تشابك الفترة الزمنية للدراسات القديمة والحديثة وامتدادها عبر مئات السنين ، مما أدى الى اشتداد الصراع بين أنصار المصطلح القديم والمصطلح الجديد واختلاط المفاهيم ، ونشوء نوع من الإحتكاك بين من يسمون بالتراثيين ، ومن يسمون بالتجديديين .

فإذا كانت مصطلحات العلوم تعانى من مشكلة التعريب ، فإن مصطلحات الألسنية تعانى من مشكلة التوحيد . وإذا كان العلميون يشكون من اتخاذ لغة غير العربية أداة للتعبير ، فإن الألسنيين يشكون من استخدام لغة عربية لم ترق فى تعبيراتها المتخصصة إلى مستوى " المصطلح ". ولولا أن كثيرين ممن يقدمون المفاهيم الأجنبية فى لفظ عربى يقرنون المصطلح العربى بنظيره الأوربى لغمض فهم المصطلح العربى على الكثيرون ، ولكان هذا المصطلح عامل تفريق لا تجميع ، وما كان هناك حد أدنى من الأتصال بين ألسنيى قطر عربى وألسنيى قطر عربى آخر ، بل ألسنى وآخر فى داخل القطر الواحد . واذا كان صحيحا ما يقال عن ولادة علم جديد ،و اتجاه جديد،فى الستينات ، فى حقل الدراسات اللغوية العربية استحق أن يميز باسم خاص به وهو " الألسنية" فإن

التسليم بهذا القول يقتضى أولا بيان حدود العلم وإنشاء شبكة من المصطلحات له تساعد على ضبط مفاهيمه وتصنيف ظواهره .

وإذا كان أول مظهر من مظاهر اكتمال العلوم واستقلالها وتكامل رصيدها الفنى – كما يقول المسدى – هو افرازها لثبتها الاصطلاحى الخاص بها ، فإن الدراسة الألسنية العربية ما تزال بعيدة عن تحقيق هذه الغاية ، وما يزال التأليف المعجمى فى المصطلحات الحديثة فى طور التكوين مقارنا بما صدر ويصدر من معاجم وموسوعات بغير اللغة العربية(١) .

والحديث عن مشكلات المصطلح الألسنى العربى حديث متعدد الجوانب متشعب الأطراف ، ولذا لا يستطيع كاتب أن يلم بها فى عجالة كهذه ، وإنما عليه أن يختار ما يراه أهم جوانبها .

وقد رأيت فى هذه المحاضرات أن أركز على جوانب أربعة هى :

١- مصطلح " الألسنية " .

٢- واقع المصطلح الألسنى العربى .

٣- الاتجاهات السائدة لصوغ المصطلح .

٤- وسائل ضبط المنهجية وتوحيد المصطلح .

---

(١) قارن ما صدر من معاجم باللغة العربية – على سبيل المثال – بعملين رائدين صدرا باللغة الإنجليزية أحدهما : A Grand Dictionary Of Phonetics الذى أصدرته الجمعية الصوتية اليابانية عام ١٩٨١ بعد أن أصدرت معجما مماثلا باليابانية عام ١٩٧٦ . وقد أنفقت الجمعية عشرين سنة فى جمع مصطلحات المعجم واختارت من بين مادته التى جمعتها نحوا من اثنين وعشرين ألف مصطلح ضمنتها هذا المعجم .
أما العمل الآخر فهو : The Cambridge Encyclopedia Of Language تأليف David Crystal الذى هدف من تأليفه – كما قال فى تمهيده – إلى الكشف عن سحر الألسنية ودورها الذى قامت به سواء فى مجال تركيب اللغة وتطورها واستعمالها أو فى المجالات التطبيقية الأخرى المتصلة بمشكلات الأفراد والمجتمعات .

مصطلح الألسنية :

راجت فى الأعوام الأخيرة مصطلحات ثلاثة تنافست للظفر بحق الإطلاق على حقل الدراسات اللغوية الحديثة وهى : " علم اللغة " و " اللسانيات " ، و "الألسنية " . وقد اخترنا مصطلح " الألسنية " لنطلقه على هذا البحث رغم أنه ليس أكثر الألفاظ الثلاثة (٢) شيوعا لجملة أسباب منها :

أولاً : أن مصطلح " علم اللغة " قد مرّ بمراحل كثيرة ، وتقلبت عليه مناهج متعددة قديمة وحديثة ، فصار فى حاجة إلى وصف توضيحى لتحديد مجاله أو منهجه ، كأن يقال : علم اللغة الحديث ، علم اللغة العام ..

كذلك يختلط مصطلح " علم اللغة " كثيرا ، وبخاصة فى مجال الاصطلاح الجامعى بمصطلح آخر هو " فقه اللغة " ، مع الفارق الكبير بينهما .

---

(٢) مازال مصطلح " علم اللغة " هو أكثر الألفاظ الثلاثة شيوعا رغم محاولات الترويج لأحد المصطلحين الآخرين فبتحليل القائمة البَبليوجرافية التى حصرت الدراسات الألسنية التى تتناول اللغة العربية ، الواردة بمجلة " الفكر العربى " (العدد الخاص بالألسنية ١٩٧٩) والتى اشتملت على بضعة وخمسين بحثا وكتابا نشر معظمها فى السنوات العشرين السابقة لكتابة هذا البحث نجد كلمة " لغة " قد ترددت ثلاثا وثلاثين مرة ، فى حين ترددت كلمتا : " لسان " و" ألسنية " خمس مرات فقط .

وبتحليل عناوين الكتب والأبحاث العربية فى ميدان علم اللغة الحديث – التى وقفت عليها – ويصل عددها إلى نحو خمسين كتابا وبحثا نجد النتيجة كما يأتى :

علم اللغة : ٢٥ عنوانا .

ألسنية : ١٠ عناوين .

لسانيات : ٥ عناوين .

وجاء أقل من ذلك عناوين أخرى مثل : علم اللسان – الدراسات اللغوية – البحث اللغوى .

ثانياً: أن مصطلح " علم اللغة " يلتبس فى ذهن الكثيرين بتعليم اللغة ، وأن مصطلح " اللغوى " يلتبس بالمفهوم العام للفظ ، وهو الشخص الذى يتقن عدة لغات أجنبية . وقد حدث هذا الألتباس حتى بالنسبة لمقابله الإنجليزى Linguist الذى يفهمه الكثيرون على أنه من يتقن عدة لغات ، ولهذا ظهر المصطلح الجديد Linguistician ليكون خاصا بعالم اللغة ، وإن لم يكتب لهذا المصطلح الرواج بعد .

ثالثاً: أن كلمة " لغة " لم تكن تستخدم فى الاستعمال القديم بمعناها المعروف الآن ، وإنما كانت تستخدم بمعنى اللهجة . ولم ترد كلمة " لغة " فى القرآن الكريم إطلاقا ، وإنما وردت كلمة " لسان " (وجمعها ألسنة) للدلالة على جملة معان منها :

١- آلة الكلام : " ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين " (البلد ٩) .

٢- اللغة ، بمعنى رصيد الكلمات والقواعد الذى تملكة الجماعات اللغوية : " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه " إبراهيم ٤) .

٣- الكلام ، بمعنى الاستعمال الفردى للغة : " لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم " (المائدة ٧٨) .

٤- الأسلوب ، بمعنى الخاصة الفردية للمتكلم : " وأخى هارون هو أفصح منى لسانا ، فأرسله معى ردءا " (القصص ٣٤) .

ومعنى هذا أن كلمة " لسان " أكثر شمولية واستيعابا من كلمة " لغة " .

رابعاً: أن كلمة " لسان" تعد من المعجم الأساسى المشترك فى اللغات السامية . وقد ترددت فى فهرست ابن النديم بمعنى لغة فى مثل قوله : اللسان العربى ، اللسان السريانى ، اللسان اليونانى .. فى حين أن كلمة " لغة " يونانية الأصل . (علم اللغة العربية لحجازى ص ٣١٠ وما بعدها) .

خامساً: أن إطلاق اسم على الدراسات اللغوية مشتمل على كلمة " لسان " إطلاق قديم ، عكس ما يتوهمه الكثيرون . فقد أطلق الفارابى فى " إحصاء العلوم " على العلوم اللغوية اسم " علوم اللسان " . وأطلق أبو حيان النحوى على علوم اللغة مصطلح " علوم اللسان العربى " . وتابعه ابن خلدون فى هذا فعقد فى مقدمته فصلا بعنوان " فى علوم اللسان العربى " . وحتى فى العصر الحديث كان استخدام" علم اللسان"،"الألسنية" أسبق فى الوجود من مصطلح "علم اللغة " .

وقد نشر الأب مرمرجى الدومينيكى عدة أبحاث حملت اسم " الألسنية " نشر أولها فى مدينة القدس عام ١٩٣٧ باسم " المعجمية العربية فى ضوء الثنائية والألسنية السامية " . وترجم الدكتور محمد مندور بحثا لأنطوان ماييه تحت اسم " علم اللسان " ونشر ذلك عام ١٩٤٦ كفصل فى كتاب بعنوان " منهج البحث فى اللغة والأدب " .

وهكذا حسمنا الأمر بالنسبة للاختيار بين مصطلحى " لغة " و " لسان " ولكن بقى حسم الأمر بالنسبة لمصطلحى " اللسانيات " و " الألسنية " .

من الواضح – بادىء ذى بدء – أن كلا من المصطلحين قد كتبت له السيادة فى منطقة عربية دون أخرى . فإن كان مصطلح " علم اللغة " قد شاع فى معظم بلدان المشرق العربى ، فإن مصطلح " الألسنية " قد شاع فى لبنان (١) بالذات ومصطلح " اللسانيات " أصبح هو الشائع الآن فى بلدان المغرب العربى ، وبخاصة بعدأن اتخذت ندوة " اللسانيات واللغة العربية " (الملتقى الثالث للسانيات – تونس ١٩٧٨) توصية باستخدام مصطلح " اللسانيات " اسما لهذا العلم ، بدلا من مصطلح " الألسنية " . وأخذ اللغويون التونسيون والمغاربة

---

(١) مما ظهر من ذلك : الألسنية ولغة الطفل لجورج كلاس ، والألسنية (جزءان) لريمون طحان ، والألسنية (ثلاثة أجزاء) لميشال زكريا ، والألسنية والنقد الأدبى لموريس أبو ناضر ، ورواد الألسنية الحديثة لمترويولس.

يلتزمونه فى معظم ما ينشرونه أو يقيمونه من ندوات (١) ، كما روج له بعض اللغويين السوريين (٢) .

فلماذا فضلنا مصطلح " الألسنية " على " اللسانيات " ؟ واخترناه عنوانا لبحثنا ؟ هناك جمله اعتبارات كانت فى الذهن عند اختيار هذا المصطلح ، أهمها :

أولاً: أن علم اللغة الحديث لا يختص بلغة معينة ، وإنما يدرس أى لغة ، ويحلل أى مستوى داخل اللغة الواحدة . فمعنى الجمعية ملحوظ فى وظيفة هذا العلم ، ولذا يناسبه لفظ الجمع " ألسن " لا المفرد " لسان " .

ثانياً: أنه لم يعد هناك حرج فى النسب إلى جمع التكسير على لفظه بعد أن أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ذلك ، وبخاصة حين يكون الجمع اسما لعلم من العلوم. وقديما نسب إلى علم الأصول،فقيل"أصولى"،وإلى الأخبار فقيل"أخبارى" .

ثالثاً: أن التصرف فى لفظ " ألسنية " أسهل من التصرف فى لفظ " لسانيات " فحين نأخذ الصفة من الأول نقول : دراسات ألسنية ، وحين نتحدث عن المشتغل بهذا العلم نقول : ألسنى ، بإبقاء الجمع على حاله . ولكن إذا أردنا أن نأخذ الوصف من " اللسانيات " فلا نقول – وليس من المستساغ أن نقول – " دراسات

---

(١) مما ظهر من ذلك فى المغرب : البنيوية فى اللسانيات ، والندوة الدولية الأولى لجمعية اللسانيات ، ومجلة تكامل المعرفة ، عدد خاص عن اللسانيات . وفى الجزائر : مجلة اللسانيات ، ومحاضرات فى اللسانيات الحديثة . وفى تونس: قاموس اللسانيات ، والملتقى الثالث للسانيات ، واللسانيات واللغة العربية ، واللسانيات من خلال النصوص ومع ذلك تذبذب الكتاب المغاربة بين أكثر من مصطلح،فاستعملوا إلى جانب اللسانيات :الألسنية ، مثل : مفاتيح الألسنية(تونس ١٩٨٥) و" دروس فى الألسنية العامة ". ولهذا فلا صحة لما يقوله المسدى من أن مصطلح الألسنية لم يعد يستعمل عند التونسيين بعد عام ١٩٧٨.(قاموس اللسانيات، ص ٧٠) . كما استخدموا كذلك علم اللسان ، والتفكير اللسانى ، والمصطلحات اللغوية (الأخير فى كتاب صدر ١٩٨٧) ، وعلم اللغة (فى كتابين صدرا عام ١٩٧٧ ، ١٩٨٥) . والمسدى نفسه فى مقاله : الفكر العربى والألسنية (١٩٧٨) استخدم مصطلحات : علوم اللسان ، الألسنية ، البحث الألسنى ، علوم اللغة ، الدراسة اللغوية ، الدراسات الألسنية ..الخ . (٢) انظر : مازن الوعر : قضايا أساسية فى علم اللسانيات الحديث ، (١٩٨٨) .

لسانياتية " ، ولا " لسانياتى " ، ولذا يرد الجمع الى مفرده عادة فيقال " لسانية "، و " لسانى " .

رابعاً : أن اللبس الذى يحدث عند استخدام المصطلح " لغوى " وعدم القطع ما إذا كان إلى " اللغة " أو " علم اللغة " ، والذى فضلنا – من أجله – ترك هذا المصطلح ، يحدث نفسه إذا استخدمنا لفظ " لسانيات " . فحين النسبة سنقول : لسانى " فلا يدرى أهى نسبة إلى " اللسان " أم إلى " اللسانيات " .

ولكن هذا المحظور يزول باستخدام كلمة " ألسنية " اسما للعلم ، فحين النسبة إلى الجمع " ألسنى " يكون المراد النسبة إلى العلم ، أما إذا نسبنا إلى المفرد فقلنا " لسانى " فتكون النسبة إلى " اللسان " بمعنى " اللغة " لا بمعنى العلم الذى يدرس اللغة (١) .

واقع المصطلح الألسنى العربى :

هناك نوعان اثنان من المصادر يمكن من خلالها دراسة واقع المصطلح الألسنى العربى :

أولهما الكتب المؤلفة فى بعض مباحث العلم ، وبخاصة تلك التى تتعامل مع مفاهيم غريبة جديدة ، لها فى لغتها مصطلحاتها الخاصة التى يراد التعبير عنها بمصطلح عربى .

---

(١) من الغريب أن يكون أشد المدافعين عن المصطلح " لسانيات " هو أشد الرافضين للمصطلح " لغويات " على أساس أن اللفظ الأخير حين احتوى فى تركيبه على صيغة النسبة : (لغوى) ، أصبح من المتعذر أو كالمتعذر استعماله مصطلحا للعلم ، ينعت به وينسب إليه . إذ من غير المستساغ اشتقاق " لغوياتى " أو " لغوياتية " .

(المسدى : قاموس اللسانيات ص ٦٩) .

وفاته أن ما انتقد به المصطلح " لغويات " ينسحب بالضرورة على المصطلح " لسانيات " : إذ من غير المستساغ أن يقال :" لسانياتى " أو " لسانياتية " وإذا كان المسدى قد تخلص من هذا المحظور عن طريق النسب وأخذ الصفة من المفرد فقال " لسانى " و " لسانية " فقد كان يمكن أن يفعل نفس الشىء مع " لغويات " .

وثانيها ما ألف من معاجم أو مسارد لهذه المصطلحات وهي في معظمها تتخذ المصطلح الأجنبي أو المفهوم الأجنبي منطلقا للبحث عن مقابل عربي ، وليس العكس .

وإذا كان محمد رشاد الحمزاوي قد جمع بين المصدرين في عمل واحد هو كتابه " المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية " فإن عمله هذا يعد – من ناحية – قطرة في بحر ، كما يعد – من ناحية أخرى – عملاً تراثيا دخل ذمة التاريخ . فقد ظهرت طبعته الأولى عام ١٩٧٧ ، واعتمد على مؤلفات يعود بعضها إلى الخمسينيات ، ومعظمها إلى الستينيات ، مسقطا بذلك عشر سنوات هامة من تاريخ الألسنية . ولم يدخل المؤلف – مع الأسف – على كتابه أي إضافة أو تعديل أو تصويب في طبعته الثانية عام ١٩٨٧ في حين أن البحث الألسني العالمي يقفز كل يوم قفزات هائلة ، ويقدم تصورات ومفاهيم جديدة تجعل أي بحث أو عمل مسحي في الألسنية متخلفا خلال سنوات . ولعل أهم معاجم المصطلحات الألسنية المتعددة اللغة التي صدرت في الثلاثين سنة الأخيرة – إلى جانب معجم الحمزاوي هي :

١-مجموعة المصطلحات اللغوية ، التي بدأ مجمع اللغة العربية بالقاهرة في وضعها عام ١٩٦٢ ، ووردت ضمن مجموعات المصطلحات العلمية والفنية في أجزاء كثيرة متتابعة . وهو المعجم الوحيد الذي ظهر بجهود هيئة علمية حتى الآن . ولكنه – مع الأسف – شديد القصور ، وواضح الجمود بعد هجره لعدة سنوات ، وعدم تزويده بالمصطلحات المستجدة أولا فأولا.

٢- معجم علوم اللغة ، الذيأعده عبدالرسول شاني ونشرته مجلة اللسان العربي عام١٩٧٧ في المجلد الخامس عشر – الجزء الثاني.

٣- معجم علم اللغة النظري ، من إعداد محمد علي الخولي . وقد صدر عام ١٩٨٢ .

٤-معجم مصطلحات علم اللغة الحديث ، من إعداد نخبة من اللغويين العرب ، وقد صدر عام ١٩٨٣ .

٥- قاموس اللسانيات ، من إعداد عبد السلام المسدى ، وقد صدر عام ١٩٨٤.

٦- معجم علم اللغة التطبيقى ، من إعداد محمد على الخولى . وقد صدر عام ١٩٨٦ .

٧- معجم المصطلحات اللغوية ، من إعداد رمزى بعلبكى ١٩٩٠ .

ويعيب معظم هذه المعاجم اكتفاؤها بمجرد ذكر المصطلح الأجنبى ومقابله العربى، دون تعرضها لشرح المصطلح وتحديد مفهومه ، كما يعيبها أنها قاصرة غير مستوعبة ، وأنها تمثل اجتهادات شخصية لأصحابها ، ولا تخضع لمنهجية مضبوطة ، وأنها ينقصها التجديد من آن لآخر .

ولنبدأ بمصطلحات عبد القادر الفاسى الفهرى فى أبحاثه وكتبه فنلاحظ عليها أنها تتسم بالابتكار ، والتوسع فى التعريب ، وإدخال صيغ ومشتقات غير مألوفة فى لغة " الألسنية " ، ومن ذلك :

* استخدامه مصطلح " التأسيم فى مقابل : nominalisation .
* و" المكون الصواتى " فى مقابل phonological Component .
* " والموضعة " فى مقابل : topicalisation .
* و" النفس لسانيات " .
* و" السيكولسانيات " فى مقابل Psycholinguistics .
* و" التبئير " فى مقابل Focalisation .
* و" تركيب مبأر " فى مقابل Focused contruction .
* و" ميتا متغير " فى مقابل metavariable .

أما رشاد الحمزاوى فهو أكثر جرأة من الفهرى من ناحية ، وأكثر ذاتية فى صك المصطلح من ناحية ثانية ، وأقل اطرادا مع نفسه فى استخدامه للمصطلح

من ناحية ثالثة مع أنه يعتبر نفسه من المنظرين فى مجال المصطلح بعامة ، والمصطلح اللغوى بخاصة :

* فهو يطلق على علم الدلالة : السيميه .

* ويبقى المصطلح الأجنبى كما هو – دون حتى محاولة تعربيه وإخضاعه للصياغة العربية – فيستخدم مصطلحات مثل : " إبستمولوجيا " ، و" أبلاتيف " ، و" أكوستيكى " ،و " جراماطيقا " ، و " دياكرونى " ، و " فوناتيك " ، و "برادجماتى " ، و " سنتجماتى " و " ساميولوجيا " .. وغير ذلك .

* ولا يلتزم بمقابل واحد للمصطلح الأجنبى فكلمة accent يقابلها " بالنبر " ، و "النبرة " ، و " الضغط " . وكلمة synchronic يقابلها مرة بكلمة " متزامن " ، ومرة " أفقى " . و bilabial عنده : " شفوى " ، و " شفتاتى " ، و " بين الشفتين"و phoneme عنده مرة " صوتم " ، ومرة " فونم " .

* وهو فى معظم حالاته لا يربط الألفاظ المترادفة ، ولا يستخدم نظام الإحالة .

* وقد يجانبة التوفيق فى مقابل العربى الذى يستخدمه . فمصطلح affricate قابله بلفظ " شديد " والصواب مقابله بأحد مصطلحات ثلاثة يستخدمها الألسنيون وهى " مزجى " ، " مركب " ، " شديد رخو " . ومصطلح assimilation يقابله مرة بلفظ " إدغام " ، ومرة بلفظ " تماثل " . والصحيح مقابلتة بلفظ " مماثلة " .

ونعرض الآن بعض المصطلحات اللغوية متتبعين إياها فى عدد من المصادر العربية لنرى مدى الاضطراب فى صوغها ، والتباين فى عرضها :

١ - المصطلح phoneme ويرتبط به مصطلحان آخران هما allophone وphone تباينت فيها المقابلات العربية على النحو التالى :

Phonem	allophone	Phone	المصدر
١ - فونيم	ألوفون	فون	دراسة الصوت اللغوى
٢- صوتم	صوتم تعاملى	صوت	قاموس اللسانيات
٣- صوت / صوتم	-	-	دروس فى علم أصوات العربية
٤- فونيم / فونيمية / صوتيم / صوت مجرد	ألوفون / متغير صوتى	صوت لغوى / صوت كلامى	معجم علم اللغة النظرى
٥- فونيم	ألوفون	صوت كلامى	معجم مصطلحات علم اللغة الحديث
٦- صوتية	بد صوتية	-	المصطلح اللسانى
٧- صوتم	-	-	مفاتيح الألسنية
٨- مستصوت / فونيم / لافظ	-	-	مجلة الفكر العربى

وأقترح الاكتفاء بمصطلحات المصدر الأول لوضوح العلاقة اللفظية بينها ، ولسهوله تصريفها ، ولأنها أصبحت مصطلحات عالمية تستخدمها اللغات الأوربية . أما إطلاق " صوت " على الفونيم فيعيبه التباسه بمصطلحين آخرين هما Sound،Phone . أما فونيمة وصوتية فيلتبسان بصيغة النسب الوصفية ، فضلا عن صعوبة تصريفهما . أما المصطلح " صوت مجرد " فيعيبه كونه ثنائيا.

٢- المصطلح morpheme ، ويرتبط به مصطلحان آخران ، هما allomorph وmorph تباينت فيها المقابلات العربية على النحو التالى :

morpheme	allomorph	morph	المصدر
١- مورفيم	ألومورف	مورف	أسس علم اللغة
٢- صيغم	شكلم	تشكل	قاموس اللسانيات
٣- مورفيم / وحدة صرفية	ألومورف	مورف	معجم مصطلحات علم اللغة الحديث
٤- مورفيم / مورفيمة / صرفية مجردة / صرفيم	**ألوموزف متغير دلالى**	مورف	معجم علم اللغة النظرى
٥- صرفية	بد صرفية	-	المصطلح اللسانى

وأفضل هذه المصطلحات المجموعة الأولى لانه يمكن ربطها بعضها ببعض ، ولسهوله تصريفها .

والمسدى الذى استعمل " صيغم " فى مقابل المورفيم جاء الى المورف والألوموزف واستخدم لفظين من مادة أخرى .

٣- المصطلح bilabial ويعنى الصوت الذى تشترك فى نقطه الشفتان وضعت له المقابلات العربية الآتية :شفتانى - شفوى - من بين الشفتين - شفوى ثنائى- شفوى مزدوج . والمصطلح الأول أدقها ، وبخاصة بعد أن أجاز مجمع اللغة العربية النسب الى المثنى على لفظه . أما الثانى فينبغى أن يخصص لمقابلة المصطلح Labial وأما المصطلحات الباقية فيعيبها تعدد ألفاظها .

٤- المصطلح Lexeme وضعت له المقابلات العربية : وحدة معجمية - لكسيم- مفردة - مفردة مجردة - مأصل - معجمية . وأفضلها اللفظ المعرب .

٥- المصطلح synchronic وضعت له المقابلات العربية : متزامن - تزامنى- وصفى - متعاصر متواقت - آنى - ثابت - سنكرونى - مستقر - أفقى . وأفضلها المصطلحان الأولان ، لغرابة اللفظ المعرب .

٦- المصطلح diachronic ويستعمل عادة فى مقابل المصطلح السابق للدلالة على تعدد الأزمنة . وقد استعمل له المصطلحات : تطورى - تعاقبى - متعاقب- تاريخى - زمانى . وأفضلها التعاقبى الذى يتلاءم مع تزامنى من ناحية، ولا يلتبس بغيره من ناحية أخرى .

الاتجاهات السائدة لصوغ المصطلح :

إذا أردنا أن نرصد هذه الاتجاهات وجدناها محوطة بالارتجالية من ناحية ، والتحكم من ناحية ثانية ، وعدم الانضباط من ناحية ثالثة . وهى سمات أدت الى خلق كثير من المشكلات أمام المصطلح الألسنى وكادت توصله الى حال يفقد فيها هويته ، ويتخلى عن أخص خصائصه ، وهو ضرورة بنائه على الاتفاق أو الاصطلاح بين المشتغلين باللغة وعلومها . وأهم هذه المشكلات ما يأتى :

اولاً: ما انحدر الى المصطلحات الألسنية الحديثة من مشكلات عن المصطلحات القديمة التى لم يراع فى وضعها المواصفات الضرورية ، فجاءت مختلة من عدة جهات مثل :

أ- استعمال المصطلح فى أكثر من مفهوم ، كإطلاق " الناقص " على الفعل الذى لا يكتفى بمرفوعه ، وعلى المعتل الآخر ، وإطلاق " ذوات الثلاثة " على الأجوف ، وعلى الكلمة المكونة من ثلاثة أحرف أصول .

ب- إطلاق أكثر من مصطلح على المفهوم الواحد مثل " الواقع " على " المتعدى"، و " الخفض " على " الجر " ، و " النعت " على " الصفة " ، و " العماد" على " ضمير الفصل " .

ج- طول المصطلح وتكونه من عدة كلمات ، ويظهر هذا بوضوح فى كتب التراث الأولى .

ثانياً: ما يتحمله المصطلح الألسنى العربى الحديث من مشكلات تتعلق بالمصطلح العلمى بوجه عام مثل :

أ- تعدد جهات وضع المصطلح (المجامع والهيئات) دون تنسيق حقيقى بينها (رغم وجود ما يسمى بمكتب تنسيق التعريب فى العالم العربى بالرباط) ، واختلاف مشارب الأفراد الذين يساهمون فى وضع المصطلح ، وميل معظمهم الى الفردية .

فمجمع اللغة العربية بالقاهرة بعد أن يحدد وسائل وضع المصطلح يعطى أفضلية لوسيلتين اثنتين هما :

١- اللفظ العربى على المعرب القديم إلا إذا اشتهر المعرب .

٢- المصطلح العربى القديم على الجديد إلا إذا اشاع الجديد .

وكلتا الوسيلتين يمكن تحقيقها عن طريق الاشتقاق أو المجاز . ثم نجده يعطى كذلك أفضلية للترجمة الحرفية حين لا يمكن وضع المصطلح الجديد فى كلمة واحدة . وبذا يساوى بين الوسيلتين الداخلية والخارجية فى معظم الأفضلية .

ولكنه يعد من باب الضرورة العلمية الالتجاء الى الوسيلتين الآتيتين :

١- إدخال ألفاظ أعجمية على طريقة العرب فى تعريبهم .

٢- اللجوء الى النحت . (مجموعة القرارات العلمية فى خمسين عاما ص ١٧٥، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢٣٥ ، وشوقى ضيف : مجمع اللغة العربية فى خمسين عاما ص ١٢٨) .

والمجمع العلمى العراقى يتعصب للفظ العربى لدرجة أنه كان يختار اللفظ الغامض ويفضله على الواضح كاطلاقه الجابية على الخزان ، والوسق على الحمولة ، والإرقال على السرعة ، والكظام على الحشو ، والواجنة على

المكبس، والسدام على القداحة ، والواجنة على آلة التخريم ، والجسوءة على الصلابة (أحمد مطلوب : جهود المجمع العلمى العراقى فى وضع المصطلحات ص ٨) . ولكنه رغم سلوكه هذا وتفضيله اللفظ العربى على الأجنبى (مطلوب ص ٩،٥) ، ودعوته الى تجنب النحت والتعريب ما أمكن (مطلوب ص ١٠)، نجده يلجأ الى التعريب كثيرا ، والى اللصق أحيانا كما فى اللانهائى ، واللاتحددى واللاخطى ، واللامنطقى ، واللاشكلى (مطلوب ص ٧،٦) . ورغم نصحه باختيار المصطلح ذى اللفظ الواحد كان يستعمل بعض السوابق على وزن فعل كالفرط ، والحط ، والسبق ، واللحق ، والبعد .. (مطلوب ص٩) . ولكن فى نفس الوقت هناك ألسنيون ممن يشاركون بجهودهم فى وضع المصطلح يسلكون طرقا مخالفة :

١- فنرى عبد السلام المسدى **يهاجم إحياء الألفاظ القديمة وإطلاقها على متصور مستحدث قائلا** : " وكثيرا ما يتجاذب الميراث الاصطلاحى ذوى النظر فينزعون صوب إحياء اللفظ واستخدامه فى غير معناه الدقيق .. فإذا بالمدلول اللسانى يتوارى حينا خلف المفهوم النحوى ، ويتسلل أحيانا وعليه مسحة من الضباب تعتم صورته الاصطلاحيه ، فتتلابس القضايا ، ويعسر حسم الجدل بين المختصين " (قاموس اللسانيات ص ٥٦،٥٥) .

٢- ونرى عبد القادر الفهرى كذلك **يحذر من استخدام المقابلات العربية الواردة فى التراث** لأن هذا يخلق توهما بصدق المصطلح العربى " على ما يصدق عليه المصطلح الغربى نتيجة إسقاطات ظريفة أو ذاتية يقوم بها المترجم ، وينتهى الى إيجاد مناسبات غير قائمة " (المصطلح اللسانى ص ١٤٤). ويلح على فكرته هذه حين يقول فى توضيح منهجه : " تجنبنا - بقدر الامكان - استعمال المصطلح المتوفر القديم للتعبير عن المصطلح الداخل ، لأن توظيف المصطلح القديم لنقل مفاهيم جديدة قد يفسد تمثل المفهوم الجديد والمحلى على السواء . ولا يمكن إعادة توظيف المصطلح القديم وتخصيصة إذا كان موظفا ، لأن هذا يؤدى

الى مشترك لفظى غير مرغوب فيه ، بالإضافة الى سوء الفهم " (السابق ص ١٤٥) .

وعلى عكس المجامع اللغوية نراه يشجع التعريب " لصعوبة الانتقال من لغة الى لغة باستخدام الرصيد المصطلحى الداخلى فقط . فتعريب الثقافة العلمية يقتضى اللجوء الى ما أسميناه المصطلح الخارجي " (السابق ص ١٤١ ، ١٤٢). وهو لهذا يدعو الى تطويع اللغة العربية مبنى ومعنى لاحتضان مقابلات الصيغ والمفاهيم (السابق ص ١٤٢) .

٣- وعلى نسق ما قال الفهرى نجد محمد رشاد الحمزاوى **يهاجم اللجوء الى الترجمة قائلا :** " وتزداد القضية تشعبا عندما ننظر الى الأساليب الفنية التى ترجمت بها هذه المصطلحات .. ولابد أن نشير في هذا الصدد الى أن كل الترجمات لا تعى فنياتها وعيا مركزا " . كما أن اللجوء الى الترجمة – فى نظره– يثير قضية المطابقة بين المصطلح اللغوى والواقع ، وقضية الترادف بين اللغات . (مشاكل وضع المصطلحات اللغوية ص ٢٦٤، ٢٦٥) . ويرى أن اللجوء الى الترجمة لن يؤتى أكله " إلا إذا استقلت اللغة المترجم إليها بنظرياتها ، وأصبح لها من الزاد الاصطلاحى الذى يوفر لها التكثيف والتحوير والاسقاط " (السابق ص ٢٦٧) .

ب- عدم الدقة عند وضع المصطلح نتيجة عدم الدقة فى فهم ما يعبر عنه .

ومن ذلك عدم التفرقة بين المصطلحين الإنجليزيين nasality و nasalization مع أن الأولى يعنى تسرب الهواء كليا من خلال فتحة الألف ، والثانى يعنى تسرب الهواء من الأنف مع استمرار تسربه من الفم (وذلك كما يحدث فى نطق بعض العلل) . وقد استخدم المدققون للأول مصطلح الأنفية ، وللثانى مصطلح التأنيف (دراسة الصوت اللغوى ص ١٠٢ ، ١٠٣) . ومثل هذا يقال عن الفرق بين الغارى palatal والمغور palatalized . فالأول ينطق عن طريق نطق مفرد فى منطقة الغار ، والثانى ينطق باجتماع النطق الغارى مع نطق آخر معين

ويمكن – على ضوء هذا – التفريق كذلك بين الصوت الطبقىvelar والمطبق velarized والصوت المهموس والمهمس ، والصوت المجهور والمجهر.

جـ– ترك حرية وضع المصطلحات للأفراد كل بحسب اجتهاده ، وعلى قدر قربه أو بعده من التراث العربى . وخير مثال لذلك المصطلح phoneme الذى وضع له فى العربية المقابلات الآتية : فونيم–صوتيم –صوتم–فونيمية–صوت مجرد – مستصوت – لفظ – لافظ . ويلاحظ فى هذه المصطلحات تنوع طريقة وضعها بين التعريب الكامل والتعريب الناقص والترجمة الحرفية والترجمة الواسعة والتفسير (انظر المسدى : قاموس اللسانيات ص ٧٦ ، ٨٣ ، ومعجم علم اللغة النظرى ، ومعجم مصطلحات علم اللغة الحديث) .

د– **الخلط بين المصطلح ، والشرح أو التفسير** كإطلاق بعضهم " الوحدة الصوتية "على الفونيم ، و" الوحدة الصرفية " على المورفيم ، وبعضهم" علم تأصيل الكلمات " أو " علم تاريخ الكلمات " على ما يقابل المصطلح الإنجليزى etymology . وأفضل من هذا إما تعريب الكلمة أو استخدام مصطلح " التأثيل " (المسدى ص ٨٤ و ٢٢٣ ، ومعجم مصطلحات علم اللغة الحديث ص ٢٤) .

ثالثاً: ما ينتقل الى اللغة العربية من مشكلات تتعلق باللغة أو اللغات المنقول عنها المصطلح . ومن أمثلة ذلك المصطلحان الإنجليزيان ، phonology phonetics فعلى الرغم من كثرة ترددهما فى علم اللغة الإنجليزى فإننا نجد لهما عددا من التفسيرات التى توقع الباحث فى حيرة وارتباك :

أ– فقد استعمل دى سوسير اللفظ phonetics للدلالة على ذلك الفرع من العلم التاريخى الذى يحلل الأحداث والتغيرات والتطورات عبر السنين ، وعده من أجل ذلك جزءا أساسيا من الألسنية فى حين حدد مجال الـphonology بدراسة العملية الميكانيكية للنطق ، وعده من أجل ذلك علما مساعدا للألسنية .

ب- أما مدرسة براغ فتستعمل مصطلح phonology في عكس ما استعمله فيه دي سوسير ، إذ تريد به الفرع من الألسنية الذي يعالج الظواهر الصوتية من ناحية وظيفتها اللغوية . ولذلك نجدها تعتبر الفونولوجي فرعا من الألسنية .أما الفوناتكس فقد أخرجه معظم رجالها من الألسنية ، واعتبروه علما خالصا من علوم الطبيعة يقدم يد المساعدة للألسنية .

جـ- واستعملت الألسنية الأمريكية والإنجليزية مصطلح فونولوجي لعشرات السنين في معنى " تاريخ الأصوات " ودراسة التغيرات والتحولات التي تحدث في أصوات اللغة نتيجة تطورها . وهو حينئذ يكون مرادفا لما يسمى historical phonetics أو diachronic phonetics أما المصطلح فونتكس فقد استعمل في معنى العلم الذي يدرس الأصوات الكلامية ويصنفها ويحللها من غير إشارة الى تطورها التاريخي . وإنما فقط بالإشارة الى كيفية إنتاجها ، وانتقالها ، واستقبالها .

وعلى هذا فالفرعان يعدان من صميم الألسنية ، وإن دخل الأول تحت فروع الألسنية التاريخية ، والثاني تحت فروع الألسنية الوصفية .

د- ومن الألسنيين من رفض الفصل بين ما يسمى فونتكس وما يسمى فونولوجي لأن أبحاث كل منهما تعتمد على الأخرى ، ووضع الاثنتين تحت المصطلح فونتكس أو تحت المصطلح فونولوجي .

هـ- ومن أجل هذا اللبس ظهر المصطلحان الجديدان phonematics و phonemics ، كبديلين للمصطلح فونولوجي .

و- ومعظم الألسنيين الآن على تخصيص الفونولوجي للدراسة التي تصف وتصنف النظام الصوتي للغة معينة . أما المصطلح فونتكس فيقصرونه على دراسة أصوات الكلام مستقاة عن تقابلات نماذجها ، وعن تجمعاتها في لغة معينة ، ودون نظر الى وظائفها اللغوية ، أو حتى معرفة اللغة التي تنتمي إليها . وهم

قليلا ما يستعملون الآن المصطلح فونيمكس ونادرا ما يستعملون المصطلح فونيماتكس .

وقد انتقل الخلاف فى مفهوم المصطلحين الى اللغة العربية فاستعملها الألسنيون العرب كل حسب دراسته ومدرسته الألسنية . كما امتد الخلاف ليشمل كيفية التعبير عن مفهوم كل باللغة العربية فمنهم من أبقى المصطلح فوناتكس وعربه الى " فوناتيك " ، ومنهم من عبر عنه بالمصطلح " الصوتيات " ، " أو "علم الأصوات " أو " علم الأصوات اللغوية " أو " علم الأصوات العام " . وحدث نفس الشيء بالنسبة للمصطلح فونولوجى ، فمنهم من أبقاه وعربه الى "فونولوجيا" ، ومنهم من عبر عنه بالمصطلح " علم الفونيمات " ، أو " علم الأصوات " ، " أو " علم الأصوات التاريخى " ، أو " علم الأصوات التنظيمى" ، أو " علم وظائف الأصوات " ، أو " علم التشكيل الصوتى " ، أو " علم الأصوات التشكيلى " أو " الصوتمية " (دراسة الصوت اللغوى ص ٤٥- ٤٨ ، وقاموس اللسانيات ومعجم علم اللغة النظرى ، ومعجم مصطلحات علم اللغة الحديث) .

رابعاً:كثرة ما تقذف به المطبعة كل يوم من أبحاث ودراسات ألسنية متعددة المنابع والمشارب ، وامتلاء الساحة الألسنية العالمية بالمفاهيم والمصطلحات التى تتزاحم وتتدابر . وقد أدى توافر النظريات الألسنية ، وما أنشأته من مصطلحات، وما استحدثته من مفاهيم جديدة تحتاج الى مصطلحات للتعبيرعنها - أدى الى حدوث تراكمات فى المفاهيم والمصطلحات التى يتعين نقلها الى اللغة العربية ، مما أظهر المصطلح الألسنى العربى بمظهر العاجز عن مواكبة النشاط الألسنى العالمى . واستدعى العجلة فى تدارك ما فات ، مما سبب كثيرا من الإرباكات وأدى الى عدد من السلبيات من أبرزها :

أ- اعتماد كثير من المصطلحات الألسنية العربية الحديثة على التعريب أو الترجمة الحرفية ، وبذا انتقلت مشكلات التعريب والترجمة الى دائرة المصطلح الألسنى .

فتصنيف المفاهيم يختلف من لغة الى لغة ، ومن ثقافة الى أخرى . ومن الصعب الحصول على لفظ مطابق فى لغة ما للفظ آخر ، مما يضع العراقيل أمام الترجمة الدقيقة . والترجمة تقتضى تطويع اللغة مبنى ومعنى لا حتضان مقابلات الصيغ والمفاهيم ، وهو مالا يتوفر بسهوله فى لغتنا . وترجمة المصطلح الى العربية تقتضى وضع مقابل عربى للمصطلح الإجنبى ، وهو ما قد يتعذر الحصول عليه فى شكل كلمة واحدة إذا كان المصطلح الأجنبى يكتسب جزءا من معناه عن طريق ما التصق به من سوابق أو لواحق ، وقد يضطر هذا المترجم الى استخدام لفظين مما يجعل المصطلح صعب التصريف ، ثقيلا في الاستعمال. أما التعريب فيقودنا الى القذف بمحيط غريب نوعا ما داخل محيطنا ، وبمفاهيم مجسدة فى ألفاظ لغات أخرى ضمن مفاهيمنا ، وهو ما قد ينفر عنه الذوق العربى . وإن كان مما يخفف من هذا النفور إعطاء اللفظ المعرب الصبغة العربية ، والنطق به على مناهج العرب .

والتعريب يقتضى كذلك تماثلا أو تشابها بين اللغتين فى الأنساق الصوتية والصرفية وهو ما لا يكاد يتوفر بالنسبة للغتنا . فالانجليزية مثلا تشمل على أصوات ليست فى العربية ، وكذا العكس . والإنجليزية تولف بين جذر ولا حقة أو سابقة للحصول على مفردة جديدة دون تغيير يذكر فى البنية الداخلية للجذر فى حين أن العربية لغة اشتقاقية تحدث غالبا تغييرا فى صيغة الجذر أو أصل الاشتقاق للحصول على صيغة جديدة (الفهرى : المصطلح اللسانى ص ١٤) .

ويقترح عبد القادر الفهرى لاقتحام مشكلة الترجمة البدء بمعاينة الحقول الدلالية فى كل من اللغتين ، وإقامة ما يمكن إقامتة من مناسبات ، وفرز ما ليس له مقابل فى اللغة الهدف ويحتاج الى الوضع والتوليد . ويرى أن تتبع الحقول

الدلالية فى اللغتين قد يساعد على تلافى اضطراب الترجمة ، ويضرب لذلك مثلا بالمصطلح sign الذى يترجم الى رمز ، علامة، إشارة ، دليل . فلو نظرنا الى أسرة sign لوجدنا symbol من جهة ، وsignifier و signified من جهة أخرى . وحين تحدث دى سوسير عن الsign بين أنه اعتباطى فى حين أن الsymbol توجد فيه العلاقة بين الدال والمدلول . فالأقرب أن يترجم symbol إلى " رمز " وأن يترجم sign إلى " دليل " باستعمال نفس المادة المعجمية التى اشتق منها الدال signifier ، والمدلول signified و الدلالة signification .أما " علامة " فالأقرب أن تكون ترجمة لكلمة mark . وأما إشارة فتقابل demonstrative (السابق ص ١٤٣) .

ومع الاعتراف بمشروعية التعريب كوسيلة من وسائل وضع المصطلح العربى ، فإن كثيرا من اللغويين يهربون منه ، وخصوصا إذا كان اللفظ المعرب مما تنفر منه الأذن العربية مثل استعمال المصطلحات polysemy وhomonymy وparadigmatic وsyntagmatic وغيرها (انظر الحمزاوى : مشاكل وضع المصطلحات اللغوية ص ٢٦٣،٢٦٤).

كما أن منهم من ينظر الى التعريب كوسيلة مرحلية ينبغى أن تعقبها وسيلة أخرى كالترجمة أو التعريب الجزئى ، كما حدث لمصطلح فونيم الذى فضل بعضهم عليه فيما بعد " الصوتم " أو " الصوتيم " ، وفضل بعضهم " الصوت المجرد " أو " الوحدة الصوتية " أو " المستصوت ".

ب – عدم وضع ترتيب لطرق صوغ المصطلح ، وترك الحبل على الغارب لكل مجتهد يسلك الطريق الذى يريد ، ويفضل الوسيلة التى يميل إليها . فالى جانب الترجمة والتعريب اللذين سبق الحديث عنهما نجد طرقا أخرى مثل:

* النحت الذى يتم عن طريق مزج عنصرين أو نتيجة لصق أو تركيب خارجي وطبيعى أن يؤدى استعمال النحت الى ظهور صيغ جديد لاتنضوى تحت أ ى من الموازين الصرفية أو الاشتقاقية ، ولا يقف طولها عند حد .

* الاشتقاق الذى يعد من أكبر خصائص اللغة العربية ، والذى يكسبها طواعية داخلية تمكنها من تلبية كثير من الحاجات الدلالية والمتطلبات المصطلحية.
وطاقة الاشتقاق فى صوغ المصطلحات لا تنتهى ، لأن الاستعمال قلما يستفرغ كل الاحتمالات الممكنة .

* المجاز ، وهو إحدى طاقات الحركة الذاتية فى كل اللغات ، وهو خير معين على استيعاب المدلولات الجديدة دون إدخال أجسام غريبة فى اللغة العربية ، ودون إقحام بعض الوسائل التى لا تتلاءم مع طبيعتها . ويستطيع المجاز أن يمد أمام ألفاظ اللغة جسورا وقتية تتحول عليها من دلالة الوضع الأول ، الىدلالة الوضع الطارىء (انظر : المسدى : قاموس اللسانيات ص ٢٩-٤٥).

وسائل ضبط المنهجية وتوحيد المصطلح:

ربما كان من أكثر المشتغلين بتأصيل المصطلح الألسنى ورسم حدوده اثنان ، هما عبد القادر الفاسى الفهرى ، ومحمد رشاد الحمزاوى . ولكن ما قدماه فى النهاية لا يعدو أ ن يكون خطوة على الطريق ، وبعضه قد أثبت الواقع العملى عدم ملاءمته .

من أهم ما وضعه الفهرى من أسس :

١- اللجوء إلى وسائل التوليد المختلفة سواء منها ما يخص المعنى فقط(المجاز والتضمين) ، أو ما يخص المبنى فقط (المعرب) ، أو ما يخص المبنى والمعنى (الاشتقاق والنحت والتركيب والترجمة والتعريب الجزئى ...) .

٢- البدء بالاشتقاق والاستفادة من معانى الصيغ والأوزان.

٣- استخدام النحت قليلا مثل نقل السابقة allo الى" بد" مختصرة من " بديلة " كما فى allophonoe التى اقترح لها : بد صوت (= بديلة صوتية) وallomorph التى اقترح لها : بد صرفية (= بديلة صرفية) .

٤- اللجوء إلى المعرب حين يستعصى إيجاد مقابل عربى مقنع كما فى كلمة acoustics التى اقترح لها : أكوستيات .

٥- تفضيل التعريب الجزئى على التعريب الكلى ، لأنه أخف على اللسان من النحت والتركيب أحيانا مثل : metalanguage التى اقترح لها : ميتالغة ، و psycholinguistics التى اقترح لها : سيكولسانيات .

٦- إجازة النسب إلى المثنى والجمع مثل bilabial التى استعمل مقابلا لها : شفتانى ، و bilateral التى استعمل مقابلا لها : جانبانى ، و dental التى استعمل مقابلا لها : أسنانى . وعلى هذا يقاس فى bilingual : لغتانى .

٧- الابتعاد عن المصطلح القديم ما أمكن .

(المصطلح اللسانى ص ١٤٤، ١٤٥).

وأما الحمزاوى فقد طرح تصوره من خلال كتاب له بعنوان " المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها " نشره عام ١٩٨٦ . وإذا كان الكتاب هاما فى تاريخ المصطلح العلمى ، وفى تناوله لقرارات المجامع والهيئات والمؤتمرات حول منهجيات المصطلحات العلمية ، فهو لم يبلور رأيا نهائيا يمكن أن يكون مرشدا لكل من يشتغلون بوضع المصطلح ، ولم ينته إلى مبادىء تصلح قانونا يلتزم به الجميع . ومع ذلك فإن ما وضعه من قواعد سماها " مبادىء التنميط " يعد جديدا ومفيدا . وسنشير إلى بعض آرائه حول التنميط فيما بعد .

وفى تصورى أن ضبط العلم عن طريق ضبط مصطلحاته يمكن أن يتم باتباع الخطوات الآتية :

أولاً : إنشاء مركز للمصطلحات الألسنية مزود بأحدث الأجهزة التى تساعد على التخزين والتصنيف والأستدعاء .

ويتبع المركز فريق عمل يجيد كل عضو فيه إحدى اللغات الأوربية إلى جانب العربية ، ويتم عن طريقه مسح المصطلحات الألسنية المستعملة خلال

العشرين سنة الأخيرة فى اللغات الأربع : العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية ، مع تحديد مفهوم كل مصطلح تحديدا دقيقا . وتتم عملية المسح من طريقين :

أ- المؤلفات ، من خلال قوائم المصطلحات الملحقة بها .

ب- معاجم المصطلحات والموسوعات الألسنية .

ويواكب هذه العلمية عملية أخرى فى التراث الألسنى العربى بهدف حصر المصطلحات الألسنية التراثية ، وتحديد مفاهيمها ، وترتيب هذه المصطلحات فى قوائم تارة ، وحسب مجالاتها اللغوية تارة أخرى حتى يسهل الرجوع إليها عند وضع مقابل عربى للمصطلح الأجنبى .

وما أظن أن هذه الغاية يمكن تحقيقها فى ظل المجامع اللغوية القائمة التى يتوزع مجهودها المصطلحى بين مختلف العلوم والفنون ، والتى ينقص معظمها الكفاءات اللغوية المتنوعة التخصص سواء على مستوى أجهزة التحضير أو الإعداد أو المتابعة ، أو على مستوى البت وإصدار القرار . كما يعيب أمثال هذه المجامع إيقاعها البطىء ، وحركتها المتئدة ، و عجزها عن متابعة سيل المصطلحات والمفاهيم الذى ينهمر علينا فى كل يوم دون رصد أو متابعة ، فضلا عن دراسته ووضع المقابلات العربية له . وقد كان بطء المجامع الشديد هو السبب الأساسى فى فتح الباب على مصراعيه أمام الاجتهادات الشخصية ، وإفساح المجال أمام الأفراد ليصولوا فى الميدان ويجولوا ، ثم تدخلت بواعث السبق ، وحب الريادة فأفسدت أى محاولة للتنسيق . ولم يكن من المعقول أن نطلب من الباحثين أن يكفوا عن القراءة والبحث والتأليف والتعريب حتى يتلقوا الإذن من المجمع اللغوى (أو المجامع اللغوية) . ولهذا تواردت الاجتهادات دون ضابط أو رابط ، ولم تنجح القرارات التى تصدرها المجامع فى توحيد المصطلح ، مثل القرار الذى أصدره المجمع العلمى العراقى عام ١٩٧٧ أن يكون هو المرجع الوحيد فى وضع المصطلحات (أحمد مطلوب : جهود المجمع

العلمي العراقي في وضع المصطلحات ص ١٥) فظل هذا القرار صرخة في واد أو نفخة في رماد .

ثانياً:أن يدعى جميع المشتغلين بالألسنية الحديثة ، والمتصلين بمنابعها الأجنبية إلى تزويد المركز بكل ما يصادفهم من مفاهيم جديدة ومصطلحات ، ومناشدة المؤلفين والباحثين منهم التزام وضع المصطلح الأجنبي إلى جوار ما يستعملونه من مقابل عربي ، وإعداد قوائم في آخر بحوثهم تضم المصطلح الأجنبي ، ومقابله العربي حتى تسهل متابعة هذه المصطلحات ودراستها .

ثالثاً:احتفاظ المركز بقائمة بأسماء وعناوين الألسنيين العرب ، وإيجاد جسور اتصال معهم ، بدلا من ترك الأمور لمجرد الصدفة . وسيحقق هذا الاقتراح غاية أخرى وهي عقد ما انبت من صلات بين الأجيال المتتابعة ، وبين علماء الأقطار العربية ، مما سيقلل من الفجوة الموجودة بينهم ويزيل الجفوة التي تحكم علاقاتهم العلمية بعضهم مع بعض .

رابعاً: العمل على تأليف معاجم متنوعة للمصطلحات الألسنية تبنى على منهجية واضحة وبتعاون جميع الألسنيين العرب . وفي تصوري أننا في هذه المرحلة – نحتاج الى ثلاثة أنواع من المعاجم :

١- معجم أحادي اللغة يجمع بين المصطلح العربي والتعريف به .

٢- معجم ثنائي أو ثلاثي اللغة ، يبدأ بالمصطلح الأجنبي ، ويضع مقابله مصطلحا عربيا واحدا يختاره الألسنيون بناء على منهجية المعجم ، ومن بين المفاهيم والمصطلحات التي ثبتت واستقرت .

٣- معجم كالسابق ، ولكنه لا يكتفي بمصطلح عربي واحد، وإنما يحشد أمام المصطلح الأجنبي كل ما ورد في مؤلفات الألسنيين من مقابلات .

وسيكون المعجم الثاني بمثابة المرشد أو الدستور لجميع المؤلفين في الألسنية ، على أمل أن يلتزموا بمصطلحاته في كل ما يكتبون . أما المعجم

الثالث فسيكون بمثابة الدليل للقراء الذين قد يصادفهم في قراءاتهم مصطلحات متعددة ، ولا يفطنون إلى ترادفها أو تقاربها ، ولا يتنبهون إلى الرابطة التى تجمع بينها .

خامساً: اتخاذ المعجم الثانى الذى سبق اقتراحه معيارا للاستخدام ، بعد وضع الأسس والأولويات التى سيتم بمقتضاها اختيار مصطلح واحد من بين جميع مرادفاته ، أو وضع مصطلح بديل فى حال عدم وفاء المصطلحات المستخدمة بالغرض .

سادساً: يجب أن يتم فرز المصطلحات الألسنية على مراحل ثلاث ، على النحو التالى :

١- استبقاء المصطلحات التى تحقق الشروط الآتية :

أ- ألا يكون للفظ معنى آخر فى ميدان الألسنية بمعنى ألا يكون من المشترك اللفظى .

ب- أن يكون اللفظ قليل الحروف سهل النطق به .

جـ- أن يكون اللفظ سهل التصريف ، طيعا فى التوليد والاشتقاق . واستبعاد ما سوى ذلك .

٢- ويتم فى المرحلة الثانية فرز المصطلحات التى حققت الشروط السابقة بناء على الأولويات التالية (وهى مستمدة من قرارات ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة - الرباط ١٨٨١) :

أ- وجود مناسبة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوى ومدلوله الاصطلاحى .

ب- استخدام المصطلح فى التراث العلمى العربى ، وإلا فيتم توليده عن أحد الطرق الآتية بالترتيب : الاشتقاق - المجاز - النحت - التعريب .

جـ- الألفاظ غير العربية يبدأ منها بما عرب أى خضع للنمط العربى ، ووافق شكله الصيغة العربية .

٣- فإذا أفرز تطبيق المعايير السابقة أكثر من مصطلح للمفهوم الواحد أخضعنا المصطلحات المترادفة لمبادىء التنميط الآتية*(وهى مأخوذة من كتاب المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها لمحمد رشاد الحمزاوى) :

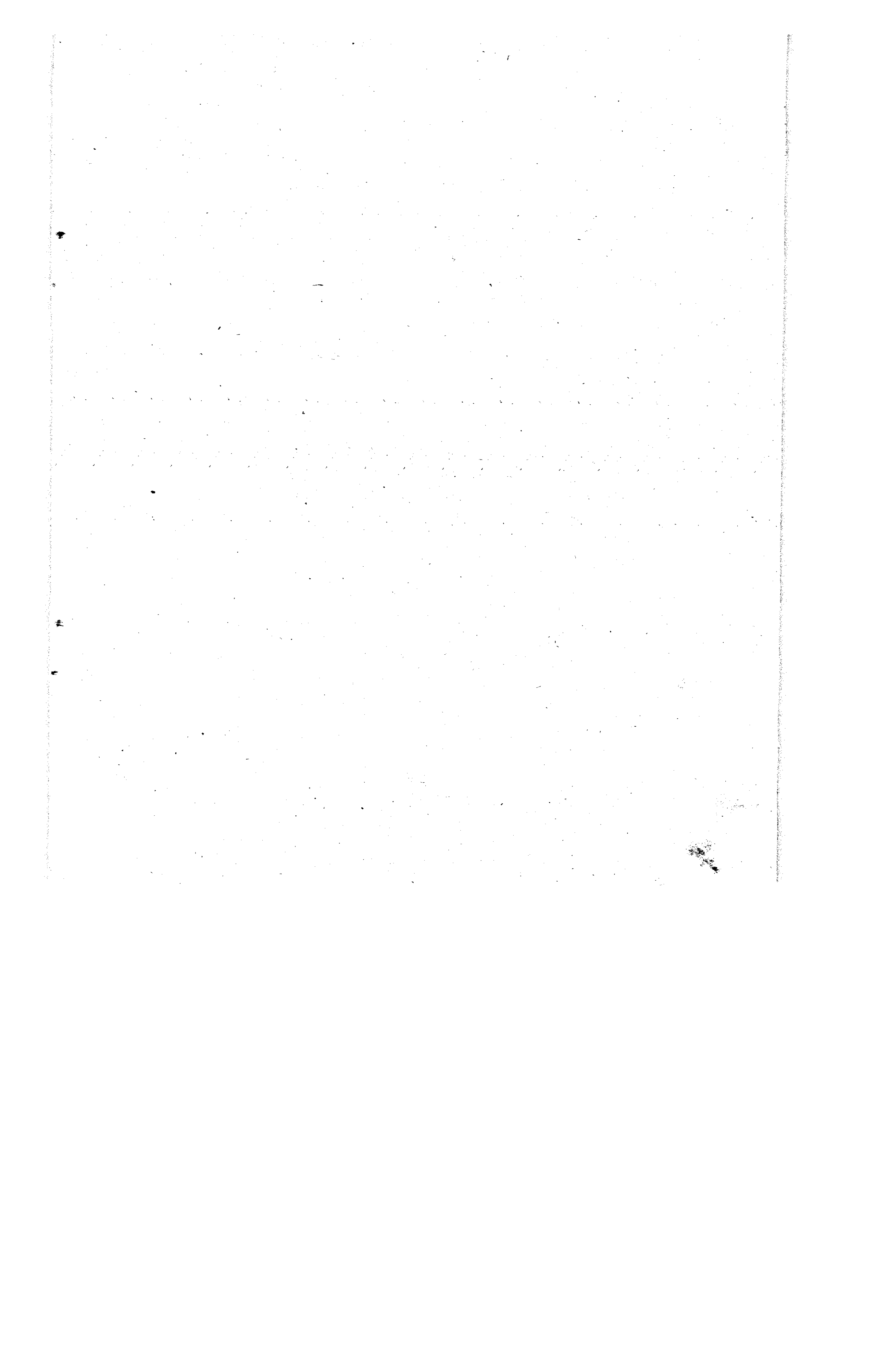
أ- رواج المصطلح بين المستعملين له من المتخصصين . ويتم ذلك عن طريق الإحصاء وترتيب الألفاظ حسب شيوع استعمالها ترتيبا تنازليا . وهو ما يفترض أن يكون قد سبق إعداده من خلال عمليات المسح المشار إليها فى بند أولا .

ب- ملاءمة المصطلح ، فيفضل ما قلت ميادين استعماله على ما توزع على ميادين كثيرة .

جـ- توفر الحافزية ، أى ما يحفز المستعمل على اختياره ، إما لصيغته البسيطة أو لتركيبه الصرفى الواضح ، أو لعدم غرابته ، أو لموافقته لأنماط التجمعات الصوتية العربية .

وبعد : فإذا كان من العسير فرض منهجية إجبارية على العلماء فإن من الممكن البدء بالاتفاق على الخطوط الرئيسية ، والدعوة إلى التأنى قبل طرح المصطلح للاستعمال . ولعل قرار المجمع العلمى العراقى بعدم تثبيت مصطلح إلا بعد ستة أشهر على تاريخ نشره يفيدنا فى هذا الخصوص .

ويجب ألا ننسى أن أهم معيار لقياس نجاح المصطلح هو مدى شيوعه وتقبله بين أبناء المهنة الواحدة . فلا فائدة من مصطلح يظل حبيس الأدراج . وكم رأينا من مصطلحات تقرها المجامع دون أن يكتب لها الرواج أو الاستحسان عند أهل الاختصاص .



الفصل الثالث

علم اللغة الحديث
ومجالاته التطبيقية

٣- علم اللغة الحديث ومجالاته التطبيقية

إن علم اللغة هو العلم الذى يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية ، باعتبارها جزءا هاما من السلوك الإنسانى ، وربما جزءا من أهم أجزاء الحياة الإنسانية كما نعرفها . وعلى الرغم من كثرة تردد هذا اللفظ قديماً فإن الطفرة الهائلة التى حققها ، والتقدم الواسع الذى أحرزه مؤخرا قد باعد بينه وبين مفهومه القديم ، وجعل منه واحدا من أهم العلوم الاجتماعية ، باعتبار أن الظواهر التى تشكل مادته الأساسية ، تعتبر جزءا من السلوك الإنسانى للفرد فى المجتمع ، أثناء اتصاله بغيره . بل صار هو نفسه أصلا لفروع كثيرة تدرس اللغة من زوايا مختلفة وبمناهج متعددة ووسائل بحث متنوعة ، كما دخل فى بحوث مشتركة مع علوم أخرى ، اشترك معها فى الاسم ، فقيل " علم اللغة الاجتماعى " أو علم الاجتماع اللغوى " ، وقيل علم " اللغة النفسى " أو " علم النفس اللغوى " وقيل علم " اللغة الإحصائى ، وعلم " اللغة الرياضى " ، " وعلم اللغة الأنثروبولوجى" وغيرها .. وبهذا لم يعد " علم اللغة " وقفا على اللغويين بل امتد مجاله ليضم العلماء الذين يعملون فى فروع المعرفة الأخرى التى لها علاقة باللغة ، أوالتى تستعمل اللغة فى أبحاثها ، وهى فروع تكاد تشمل كل ماله علاقة بالإنسان من جوانبه المتعددة ، سواء فى ذلك الدراسات الاجتماعية والنفسية ، أو الدراسات العلمية والمعملية .

لم يعد علم اللغة – إذن – كما كان عند القدماء يهتم بدراسة الثروة اللفظية ، وضبط أحكامها ، وانما صار عالماً كاملا من المعرفة لا يترك شاردة ولا واردة حول اللغة إلا وتناولها .

ومن ينظر إلى العناوين العامة لفروع علم اللغة ، ورؤوس موضوعاته التى وردت فى فهرس مكتبة الكونجرس الأمريكى ، أو يتابع النشرة السنوية لمطبوعات علم اللغة التى تصدر باللغة الإنجليزية ، وقد جاوزت صفحاتها فى

السنوات الأخيرة الثمانمائة والخمسين صفحة - من يفعل ذلك يذهل لهذا التنوع الكبير فى فروع هذا العلم ، والدور الفعال الذى صار يلعبه فى كثير من العلوم والمعارف .

وقد ظهرت - مؤخرا - إلى جانب فروع علم اللغة المعروفة مثل علم اللغة الوصفى الذى يصف اللغة ويفحص ظواهرها فى فترة تاريخية معينة ، قد تكون فى الوقت الحاضر أو فى الزمن الماضى ، ومثل علم اللغة التاريخى ، الذى يتتبع تطور اللغة وتعبيراتها على مر الزمن ، ومثل علم اللغة المقارن الذى يجمع فى دراسته بين لغتين (أو أكثر) ويقارن بين تركيباتها ، ويظهر أوجه الشبه والخلاف بينها ، ومثل علم اللغة الجغرافى الذى يتناول لغات المناطق المتنوعة على الأرض ، وتوزيع لهجاتها ، وأهمية كل منها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا واستراتيجيا وثقافيا ، ويهتم بطرق تفاعل هذه اللغات واللهجات مع بعضها البعض - ظهرت إلى جانب كل هذه الفروع المعروفة والمناهج المتعددة لدراستها ومستويات التحليل اللغوى التى تحلل إليها - فروع كثيرة استطاع بعضها أن يأخذ وضعه المستقل وأن يحمل اسم " علم " كذلك ، مثل " علم اللغة التطبيقى " ، و " علم اللغة التنظيرى " ، و" علم اللغة التقابلى " ، و " علم اللغة الاجتماعى " ، و " علم الأنظمة اللغوية " ، و "علم اللغة البيولوجى " الذى يدرس اللغة كظاهرة بيولوجية للكائن الحى مع التركيز على الجوانب العصبية والفسيولوجية والوراثية وغير ذلك .

وحتى الفروع التقليدية لعلم اللغة اكتسبت أرضا جديدة عن طريق تعديل مناهجها والاستعانة بوسائل البحث الحديثة ، وبالآلات والأجهزة والحاسبات الألكترونية . وأصبح اسم " المعمل اللغوى " و " المختبر اللغوى " و" الإحصاء اللغوى " و " علم اللغة الإحصائى " و " علم اللغة الرياضى " وعلم اللغة الحاسوبى " و " الترجمة الآلية " ، وغيرها مما يتردد الآن بكثرة بين أبناء هذه المهنة دون أن يثير أى فضول .

ولست أريد أن أتناول بالتفصيل هذه الفروع ومناهج دراستها وما حققته من تقدم ، وعن مستويات التحليل اللغوى من أصوات ومفردات وجمل ، ولكننى سأكتفى بالإشارة الى فرع واحد منها ، وهو فرع حديث وليد يستحق الوقوف عنده وهو " علم اللغة التطبيقى " الذى يعالج الجانب العملى للغة ، ويضم مجالات كثيرة لم يمكن حصرها ولم تتفق الآراء على تحديدها رغم كثرة ما عقد من مؤتمرات وما دار من مناقشات حول هذه المجالات .

وفى مؤتمر لعلم اللغة التطبيقى عقد منذ عدة سنوات اتفق على أن المجالات الآتية تشكل أهم الفروع لهذا العلم وهى :

* تعليم وتعلم اللغة الأم واللغات الأجنبية .
* الاختبارات اللغوية .
* التخطيط اللغوى .
* علم اللغة التقابلى .
* صناعة المعاجم .
* الترجمة .
* المساعدة فى وضع لغة أو لغات عالمية .
* التحليل الأسلوبى .
* الإلقاء وعيوب النطق والكلام .
* أنظمة الكتابة ، ووضع الأبجديات للغات غير المكتوبة ، وإصلاح الأبجديات المستعملة فى اللغات .
* علم اللغة الإحصائى .
* علم اللغة النفسى .
* علم اللغة الاجتماعى ، وتعدد اللغات فى المجتمع .
* وسائل الاتصال غير اللفظية .

ولا شك أن تغطية هذه المجالات يحتاج إلى وقت متسع لا تغطيه الساعات القليلة المخصصة لهذا العلم ، ولذا ستقف عند مجالات ستة ونترك ما [illegible]ها :

أولاً : صناعة المعاجم

لقد انبثقت فكرة المعجم الشامل فى أذهان اللغويين العرب منذ وقت مبكر لا يتجاوز منتصف القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادى) . واستطاع عبقرى البصرة الخليل بن أحمد (١٠٠ – ١٧٥هـ) أن يجمع مادة معجمه العين بطريقة مبتكرة لم يسبق لها مثيل ، وباجتهاد شخصى منه دون وجود نموذج سابق يحاكيه سواء فى اللغة العربيةأوفى غيرها من اللغات التى كانت معروفة وقتها .

وقد جمع الخليل مادة معجمه بطريقة إحصائية قامت على أسس ثلاثة هى التوافيق ، والتباديل ، وحجم الكلمة . وقد أنتجت هذه الطريقة احتمالات لا كلمات ، ولذلك كان على الخليل أن يفرز مادته بعد ذلك ويستبعد منها المهمل ، ويستبقى المستعمل فقط . وقد فعل ذلك استنادا إلى ثقافته اللغوية من جهة ، وإلى القوانين الصوتية العربية من جهة أخرى. كما قام بترتيب هذه المادة بصورة مبتكرة كذلك تقوم على استخدام الترتيب الصوتى من ناحيةوتصنيف الكلمات حسب حجمهاونوع حروفها من ناحية أخرى.

وقد توالت المعاجم بعد معجم الخليل وتنوعت بشكل لا تعرفه معاجم اللغات الأخرى ، وبصورة متكامله تكاد تمنع التكرار فيما بينها .

وقد بهر التفوق العربى فى مجال المعاجم أبصار الدارسين من علماء الغرب فشهدوا للعرب بالسبق والتميز ، وفى هذا يقول Haywood فى كتابه Arabic Lexicography : " الحقيقة أن العرب فى مجال المعاجم يحتلون مكان المركز سواء فى الزمان أو المكان ، بالنسبة للعالم القديم أو الحديث ، وبالنسبة للشرق أو الغرب " . وظلت مقولة Haywood صادقة حتى مطلع النهضة ، وبعد أن تطورت صناعة المعاجم عالميا ، وخضعت لمواصفات خاصة ، واستخدمت الأجهزة الحديثة لبناء قواعد للبيانات والاستفادة بها فى الحصول على المادة ، وتحليلها ، وترتيبها وغير ذلك .

وقد كان من المتوقع للمعجم العربى الحديث – بعد مروره بفترة الإحياء [١] ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر الميلادى ، وبعد اكتسابه الخبرة من خلال نشر العديد من المعاجم المتوسطة أو الصغيرة الحجم فى لبنان ومصر ابتداء من نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين [٢] – كان من المتوقع أن يدخل عصر المعاجم الحديثة ، لا بالمفهوم الزمنى ، ولكن بمفهوم التقنية المعجمية والصناعة المعجمية الحديثة ، وهو ما لم يحدث – مع الأسف – حتى الآن . فمعظم الأعمال التى تمت اتصفت بالفردية ، وكل المحاولات التى بذلت ما تزال قاصرة وبعيدة عن تلبية احتياجات المستهلكين المتنوعة والمتفاوتة .

نحن لا ننكر قيمة الجهود المعجمية التى بذلت وتبذل فى نصف القرن الأخير سواء على مستوى الأفراد أو الهيئات أو المجامع اللغوية :

لا ننكر جهود مجمع اللغة العربية المصرى المتمثلة فى إصدار معجمين وسيط ووجيز ، وفى إصدار أجزاء من المعجم الكبير ، وفى إصدار معجم ألفاظ القرآن الكريم بطريقة غير مسبوقة ، وفى إصدار العديد من المعاجم المشتملة على مصطلحات العلوم والفنون ، ولكننا ننكر عليه بطئه الشديد ، وعدم دخوله عصر المعاجم الآلية

١– تمثل إحياء المعاجم العربية فى طبع العديد منها مثل الصحاح للجوهرى (١٨٦٥م) ، ومختار الصحاح للرازى (١٨٧٠) ، والقاموس المحيط للفير وزابادى (١٨٧٢م) ، والمصباح المنير للفيومى (١٨٧٦م) ، ولسان العرب لابن منظور (١٨٨٢ م) ، وأساس البلاغة للزمخشرى (١٨٨٢ م) ، وتاج العروس للزبيدى (١٨٨٩م) .

٢– مثل محيط المحيط ، وقطر المحيط ، وكلاهما لبطرس البستانى ، وأقرب الموارد للشرتونى ، والمنجد للأب لويس معلوف ، والبستان ، وفاكهة البستان ، وكلاهما لعبد الله البستانى ، والمختار من صحاح اللغة لمحمد محيى الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكى ، والإفصاح فى فقه اللغة لحسن يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدى ، والوسيط والوجيز ، وكلاهما لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ....

ولا ننكر جهود مكتب تنسيق التعريب فيما أصدره من معاجم للمصطلحات تبلغ العشرات وباللغات العربية والإنجليزية والفرنسية ، ولكننا ننكر عليه قناعته المفرطة وإيمانه بالمثل القائل ليس في الإمكان أبدع مما كان ، وعدم أخذه بالأسباب لتنفيذ مشروعاته الطموحة التي منها:

١- إعداد معجم للتعابير السياقية والاصطلاحية .

٢- إنشاء بنك مركزي عربي للمصطلحات العلمية والتقنية .

٣- إعداد معجم للمعاني يكون عونا لأبناء العربية على العثور على الألفاظ الدقيقة لما يجول في أذهانهم من المعاني والصور .

ولا ننكر جهود المؤسسات والأفراد في مجال المعاجم من مثل :

١- تحقيق ونشر المعاجم القديمة مثل إعادة وزارة الإعلام الكويتية نشر تاج العروس في طبعة جديدة موثقة مضبوطة بالشكل ، وإعادة الدكتور رمزي بعلبكي تحقيق معجم الجمهرة لابن دريد ، ونشره في صورة أنيقة موثقة ، وتحقيق الدكتور أحمد مختار عمر لمعجم ديوان الأدب للفارابي ، وتحقيق معجم العين و بعض أجزاء من مختصر العين للزبيدي ، والبارع للقالي ، والمحيط للصاحب بن عباد ، والمحكم لابن سيده وعشرات أخرى من المعاجم .

٢- تأليف المعاجم الحديثة (بالمفهوم الزمني) مثل : الرائد لجبران مسعود ، والمساعد للأب أنستاس ماري الكرملي ، والقاموس الجديد لعلي بن هادية ، وبلحسن البليش ، والجيلاني بن الحاج يحيى ، والمعجم المدرسي لمحمد خير أبو حرب وغيرها .

٣- تأليف عدد من المعاجم الخاصة التي تتناول موضوعا معينا ، أو فترة محددة ، أو شاعرا ، أو مجموعة من الشعراء من مثل : معجم ألفاظ الحياة الأجتماعية ، ومعجم لغة دواوين شعراء المعلقات العشر ، وكلاهما للدكتورة ندى عبد الحميد يوسف الشايع ، ومعاجم شعراء عصور الاحتجاج التي صنعها

طلاب الماجستير والدكتوراه فى الكثير من الجامعات العربية مثل جامعة القاهرة وجامعة الكويت .

٤- تأليف العديد من معاجم الرصيد اللغوى ووضع قوائم للشيوع من مثل الرصيد اللغوى الوظيفى لمراحل التعليم المختلفة فى بلدان عربية عدة (٣) ، ومثل المفردات الشائعة فى اللغة العربية للدكتور داود عبده .

ولا ننكر كذلك تميز بعض المعاجم العربية الحديثة ، ومراعاتها لجوانب من المنهجية المعجمية العالمية مثل المعجم الوسيط ، والمعجم العربى الأساسى (أحادى اللغة) ، ومثل معجم العربية المكتوبة المعاصرة لـHanswehr (ثنائى اللغة) ومثل معجم اللغة العربية المصرية للسعيد بدوى ومارتن هايندس (ثنائى اللغة) ، وإن كان الأخير لا يحسب ضمن معاجم اللغة العربية الفصحى موضوع الحديث .

ولكن الذى ننكره ونشتد فى النكير عليه جملة أشياء ، قد يكون فى ذكرها والتنبيه إليها لفت أنظار المهتمين بالمعجم العربى الحديث إلى جوانب النقص أو القصور فيه ، وقد يكون فى تلافيها فتح الطريق أمام المعجم العربى لينافس معاجم اللغات الأخرى ، وليحيا عصره الذهبى الجديد :

١- إن أول ما يلفت النظر فى جميع معاجمنا الحديثة أنها ماتزال تعتمد فى جمع مادتها طريقة القدماء التى يعيبها :

أ- أخذ مادة المعجم من المعاجم السابقة ، وليس من مادة حية تم جمعها من خلال النصوص .

ب- أنها تتردد فى إثبات ما جد فى لغة العصر الحديث من ألفظ وعبارات .

جـ- أنها تعتمد - إلى حد كبير - على لغة الشعر والأدب دون غيرها .

٣- مثل الرصيد اللغوى الوظيفى للمرحلة الأولى من التعليم الابتدائى تأليف اللجنة الدائمة للرصيد اللغوى ، وقائمة قدرى لطفى الخاصة بكتب الروضة والصفين الأول والثانى الابتدائيين فى مصر ، وقائمة الكلمات الواردة فى كتب السنتين الأولى والثانية الابتدائيتين فى ليبيا ، وغيرها .

٢- وثانى ما يلفت النظر فيها أن الكثير منها ما يزال ينقصه قدر كبير من الدقة والتمحيص فى عرض المعلومة . وقد وقع فى يدى معجم تحت الطبع أعده أحد الأستاذة الجامعيين المرموقين فى مجال الدرس اللغوى فهالتنى كمية المعلومات الغالطة التى يحتوى عليها بمجرد قراءتى لصفحة واحدة منه ، وعجبت من جرأة بعض الجامعيين على اقتحام ميادين لم يتأهلوا لها لمجرد سبق أسمائهم بلقب " دكتور " .وسأنقل لكم بُضعة أسطر من هذا المعجم بدأ بهاحرف السين :

الحرف الثانى عشر من حروف الهجاء ، شمسى (يؤنث ويذكر).

أ- صوتيا: أسنانى ، لثوى مهموس ، من حروف الصفير . ينطق بتفاعل مقدمة اللسان والأسنان واللثة تفاعلا ينتج عنه تضييق مؤخرة اللسان حيث يمر الهواء الخارج عبر الفم مع اهتزاز الوترين الصوتيين .

ب- عدديا : هو فى حساب الجمل يمثل عدد الستين .

جـ- معنى : يدخل على الفعل المضارع فيفيد الاستقبال . وتعرف السين هنا بسين التنفيس : " سأسافر غدا " .

سآمة - (س أم). (مص سئم) . " ما يزيح عنا كآبة الحياة ويرفع عنا كابوس السآمة " (ع . غلاب) - الملل والضجر " أدفع عن نفسى سآمة الحياة " .

وأبدأ بتسجيل ملاحظاتى علىالأسطر المتعلقة بحرف السين نفسه وهى :

أ- " يؤنث ويذكر " فى السطر الأول : منقولة عن الوسيط ، ولا فائدة منها .

ب- " أسنانى ، لثوى مهموس " فى السطر الثانى : يجب أن تعاد كتابتها بعلامات ترقيم مختلفة هكذا " أسنانى - لثوى ، مهموس " .

جـ- بتفاعل مقدمة اللسان والأسنان واللثة " فى السطر الثالث : تصبح : " مع الأسنان واللثة " .

د- " ينتج عنه تضييق مؤخرة اللسان " فى السطر الثالث : تصبح : " ينتج عنه تضييق المسافة بين مقدمة اللسان وما يقابلها من الأسنان واللثة " .

ولا أدرى كيف يتم تضييق مؤخرة اللسان ؟ كما لا أعلم أى دور لمؤخرة اللسان فى نطق السين .

هـ- " مع اهتزاز الوترين الصوتيين " فى السطر الرابع : تصبح : " ، مع اتساع ما بين الوترين الصوتيين بصورة تسمح بمرور الهواء دون اهتزازهما " ، والمعلوم أن صوت السين مهموس لا تصحب نطقه ذبذبة فى الأتار الصوتية .

و- لا قيمة للمعلومة الخاصة بحساب الجمل .

ز- العبارة " وتعرف السين هنا بسين التنفيس " أولا : ما فائدة الكلمة "هنا" ؟ وهل توجد سين أخرى هناك ؟ وثانيا : العبارة منقولة عن الوسيط ولا حاجة إليها .

أما المعلومات الواردة تحت المدخل " سآمة " فملاحظاتى عليها هى:

أ- أين يرد المصدر الثانى للفعل سئم وهو " السأم " ؟ لم أجده فى جميع صفحات حرف السين .

ب- المعلومة " مص سئم " تلفت النظر إلى حاجة الفعل الثلاثى المجرد إلى نص على بابه (الذى يشمل حركة العين فى كل من الماضى والمضارع) . وقد بحثت عن هذا الفعل فى المعجم فى مظانه من حرف السين فلم أجده . فكيف يعرف مستعمل المعجم أن الفعل من باب فرح ؟

جـ- المثال : " ما يزيح عنا كآبة الحياة ويرفع عنا كابوس السآمة "يعيبه شيئان : طوله ، وعدم تمام جملته . ولا يحتج بأنه اقتباس من نص ، لأن المثال يجب أن يرد فى جملة مفيدة ، وأن يكون مختصرا ، ولذا ينبغى التصرف فيه لتحقيق هذين الغرضين .

د- كان يمكن الاكتفاء بالمثال الثانى ، والغاء المثال الأول . فالثانى يتميز بالإفادة والاختصار ، وهو فى نفس الوقت يوضح الاستعمال المصدرى لكلمة "سآمة " .

ولذا فإن نصيحتى الأولى لمن يتصدى لصناعة معجم ألا يتعجل ، وأن يبدأ بالشك فى كل ما تخطه يداه ، وأن يتسلح بالصبر والأناة وأن يلتزم بالدقة فى كل نقطة أو حركة أو علامة ، وليضع نصب عينيه عبارة العالم اللغوى الشهير Gleason : " إن عمل المعاجم عمل مضجر إلى أقصى حد .. إنه الدقة .. إنه عبء عظيم لا يمكن تصديقه [١]

٣- ومما يلفت النظر فى معاجمنا الحديثة كذلك أنها ما زالت تعيش فى عصر المعاجم الفردية ، وهو عصر قد انتهى بالنسبة للمعاجم ، وحل محله عصر " المعاجم الجماعية " ، بعد اتساع مجالات اللغة ، وتعدد استخداماتها العلمية والفنية . إن إخراج معجم فى القديم كان يعتمد على لغة الشعر والأدب ، وهى لغة يمكن للمعجمى أو اللغوى أن يدعى معرفته بها . ولكن إخراج معجم فى الحديث يعتمد على لغة العلوم والآداب والمعارف المختلفة لا يمكن لباحث واحد ، أو مجموعة صغيرة من الباحثين ذوى الثقافة اللغوية أو الأدبية الإلمام بها ، فضلا عن الإفتاء فيها.

ولم يعد المعجم الحديث فى حاجة إلى لغويين فقط ، ولكن يجب أن ينضم إليهم متخصصون ومستشارون فى شتى فروع المعرفة . وأمامنا معجم وبستر الأمريكى كنموذج لهذا التحول الكبير . فقد ضم الفريق الذى قام بالإشراف على طبعته الثالثة (١٩٦١) رئيس تحرير ، وثلاثة عشر محررا مشاركا ، وسته وستين محررا مساعدا ،وكلهم من أساتذة الجامعات وحملة الدكتوراه فى التخصصات المختلفة كالرياضيات، والفيزياء، والكيمياء ، والنبات، والحيوان ،

١- انظر Manual of lexicography ص ١٥

والديانات ، والآداب والتاريخ ، والمكتبات ، والفلسفة ، والنظريات السياسية ... بالإضافة إلى ما يزيد على مئتى مستشار خارجى ، وعدد غير محدود من المستشارين يعملون فى تخصصات مختلفة كالتسويق ، وصناعة الزجاج ، والساعات ، ورصف الشوارع والطيور المائية ، ومعسكرات السمر ، والحشرات ، وغيرها . ولهذا كانت اللجنة المشرفة على إخراج المعجم أقرب إلى أن تكون " صورة مصغرة لجامعة حديثة " .

٤- ويلف النظر كذلك فى معاجمنا الحديثة محدودية المادة التى تعتمد عليها ، وتقوم بعرضها وتحليلها ، قياسا إلى ما يحدث فى اللغات الأخرى مثل الإنجليزية أو الفرنسية . وسبب هذا القصور واضح ، وهو أننا مازلنا نستخدم الجمع والتصنيف اليدويين ولم ندخل عصر الحواسيب حتى الآن.

لقد استخدم غيرنا الآلة (١) فى تخزين المادة اللغوية ، واستدعائها ، واستخدمها فى تحقيق الدقة ، وضبط الإحالات ، والقيام بالتصنيفات النحوية والصرفية المختلفة وغيرها .

ويكفى أن أضع أمام القارىء الحقائق الآتية بالنسبة لمعجمين إنجليزيين صدرا فى الأعوام العشرة الأخيرة ، على الرغم من توسط حجم أحدهما ، وصغر حجم الآخر :

أما المعجم الأول فهو :

Collins Coubild English Language Dictionary

الذى ظهرت منه عدة طبعات أعوام ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣

(معجم متوسط يقع فى أكثر من ١٧٠٠ صفحة مقسمة إلى عمودين وبعدد أسطر يتجاوز الثمانين فى كل عمود) .

١- تم ذلك على اللغة العربية كذلك فى كثير من الجامعات الأمريكية وبخاصة فى جامعة متشجان حيث تم عمل إحصاء للمفردات والتراكيب الشائعة فى اللغة العربية باستخدام الحاسوب .

ويتميز هذا المعجم بما يأتى :

أ- استخدام تقنية حاسوبية متقدمة تم بمقتضاها إجراء مسح لغوى مكثف لمادة مكتوبة ومسموعة تمثل الإنجليزية المعاصرة أصدق تمثيل ، وتتجاوز فى حجمها ملايين الكلمات والأمثلة والشواهد .

وقد أعطى هذا الحجم الضخم للرصيد اللغوى الذى يمكن أن نسميه بالمكنز (corpus)-أعطى واضعى المعجم صلاحية الحكم على كلمة بالشيوع ، ومن ثم إدخالها فى المعجم ، أو بعدم الشيوع ، ومن ثم إهمالها وحذفها من المعجم (ويصدق هذا على معانى الكلمات) ، كما أعطاهم فرصة التعامل اليومى مع نحو عشرين مليون كلمة..

ب- اشتغل على إنجاز المعجم أعضاء قسم اللغة الإنجليزية بجامعة برمنهجام ، وفريق مكون من ٢٠ شخصا ما بين رئيس تحرير (عدد ١)، ومدير تحرير (عدد١) ، ومحرر (عدد٣) ، وجامع للمادة (عدد٩) ، وموظف كمبيوتر (عدد٢) ، وطباع (عدد٤) ، بالإضافة إلى كثير من العاملين بجامعة برمنجهام ، وعشرات المستشارين المتخصصين ، و المساعدين الذين قدموا خبرتهم فى السنوات الأولى للمشروع . وقد استغرق إعداد المعجم سبع سنوات .

جـ- اقتصرت مداخل المعجم على الكلمات ذات التردد المتكرر ، وأعطت اهتماما للكلمات ذات الاستعمالات المتعددة فى نصوص المكنز . ويعد التعامل مع هذا النوع من الكلمات ذات الاستعمالات المتعددة أصعب بكثير من التعامل مع الكلمات القليلة الاستعمال ، أو ذات المعنى الواحد الواضح . وقد تم بناء على هذا استبعاد الكثير من الكلمات المتخصصة ، والمماته ، واللهجية ، والمحلية ، وأسماء البلاد ، والمدن ، والناس ، وبعض الكلمات الأجنبية النادرة الاستخدام . وإذا ذكر لفظ متخصص فإنه يذكر بمعناه العام فقط مثل لفظ chromosone الذى يعد لفظا علميا ، ولكنه ورد فى المعجم لدخوله لغة الحياة.

د- تأتى المعلومات بعد كلمة المدخل مباشرة ، وتشمل بيان النطق ، وموضع النبر ، وطريقة هجاء الكلمة (وأشكال الهجاء حين تتعدد طرق الرسم) ، وبعض المعلومات الصرفية والنحوية (مثل الجمع ، وصيغة التفضيل ، واسم الفاعل ، والماضى ، والتصريف الثالث ، ونوع الفعل من حيث التعدى واللزوم ، ونوع الاسم الذى يتعدى إليه..) ، وشرح المعنى والاستعمال .

هـ- روعى تفسير كلمة المدخل بجملة تامة ، وهذا يعنى عرض الكلمة فى جملة انجليزية طبيعية ، ثم استخدمت الأمثلة لبيان السياق الذى تستخدم فيه الكلمة ، وبيان مصاحباتها اللفظية ، وأنواع التراكيب التى ترد فيها . إذ ليس من الممكن الحديث عن معنى كلمة وهى منعزلة عن سياقها ، لأن معناها يتحدد حين توجد فى محيط معين ، فكلمة strong يمكن أن تأتى فى عبارة مثل strong evidence ، و strong tea و ، strong argument ولكن لا تأتى فى عبارة مثل strong facts ، وعلى هذا فإن ما يحكم تجمع الكلمات ليس معنى الكلمة وحده ، وإنما ارتباطها الاعتيادى كذلك . وقد أخذت الأمثلة كذلك من نصوص حية واقعية ، وليست مصنوعة حسب اجتهاد المؤلف . وعلى هذا فإن الأمثلة - إلى جانب مساعدتها فى فهم المعنى - تساعد كذلك فى معرفة كيفية استخدام اللفظ .

و- اهتم المعجم بالتعبيرات والأفعال العبارية (الوحدات ذات الفعل + الظرف أو الجار والمجرور) التى تحمل معنى مستقلا .

ز- اهتم المعجم ببيان درجة اللفظ فى الاستعمال ، عن طريق وصف الكلمات بأنها رسمية ، أو مؤدبة ، أو فظة ، أو مبتذلة ، أو عامية ، أو محلية ..

ح- وضع المعجم نظاما لترتيب المعلومات داخليا ، وترتيب الدلالات ، كما خصص عمودا إضافيا لإعطاء بعض البيانات الصرفية أو التركيبية أو الدلالية (كاستخدام الرمز ↑ للإشارة إلى أن ما يرد بعده يحمل معنى أعم من لفظ المدخل مثل السيارة والمركبة ، والرمز = للإشارة إلى الترادف ، والرمز #

للإشارة إلى التضاد) . والهدف من تخصيص هذا العمود ترك سياق النص الأصلى يتدفق فى سهولة ويسر واتصال .

ط- راعى المعجم أن يوجه النظر إلى الوظيفة الخاصة أو الموقف المعين ، كما يوجهه إلى المعنى . فكلمة مثل better فى العبارة :

You'd better make some notes حرص على أن يذكر أنها صيغة مؤدبة للإخبار ، أو النصح ، أو الإنذار .

وأما المعجم الثانى فهو :

Collins Coubild Essential English Dictionary

الذى ظهرت منه عدة طبعات أعوام ٨٨، ٨٩ ، ٩٠ (معجم صغير يقع فى نحو ٩٦٠ صفحة مقسمة إلى عمودين وبعدد أسطر يتجاوز ٧٥ سطرا فى كل عمود) .

وواضح أن هذا المعجم يقع فى نصف حجم المعجم السابق ، وأنه قد تم التصرف فى المادة الموجودة فيه بالحذف والاختصار بقصد تيسير الاستخدام اليومى المعتاد .

ويحتفظ هذا المعجم بكل الملامح الأساسية للمعجم الأصلى ويزيد عليه ما يأتى :

أ- تزويده ببعض الصور والرسوم التوضيحية .

ب- تزويده بملخص لقواعد النحو الأساسية .

جـ- إضافة بعض الأسئلة فى أسفل الصفحات اليسرى لشحذ الذهن وإثارة التفكير .

د- استخدام لغة مبسطة فى الشرح والتحليل .

هـ- اشتماله على قائمة بالكلمات التى وردت عشر مرات فأكثر فى شروح المعجم ، ويبلغ عدد كلماتها حوالى ألفى كلمة تبدأ من علامة التنكير a التى وردت ٣٥٠٥٦ مرة ، وتشمل كلمات مثل is التى وردت ٢٦٩٢٤ مرة ، و or التى وردت ٢٤٧١٢ مرة و of التى وردت ١٥٢٨٣ مرة ، و that التى وردت

١٤٦٨٧ ،و if التى وردت ١٣٧٣٨،و something التـى وردت ١٢٤٠٨ ، وانتهــاء بكلمــات مثــل accused ،و additional و average ،و barrier ،و candidate التى ورد كل منها عشر مرات (١).

ولكن ليس معنى ما سجلناه على الأعمال المعجمية الحديثة من مآخذ ، ومـا لاحظناه عليها مـن قصـور – ليس معنـى ذلـك رفضهـا كليـة ، أو التشـكيك فـى الدور الذى لعبته ، ومازالت تلعبه فلا خير فى عمل معجمى جديد يبدأ اليوم مـن الصفر ، ويلغى أعمال السابقين ، وليس من الإنصـاف أن يصـف أحد البـاحثين فى المعاجم (٢) الممارسات المعجمية الحالية بهزالة العطاء ، وعدم الفاعلية ، وأن يصب – ربما لأغراض تجارية أو تسـويقية _ جـام سـخطه علـى أهـم معجميـن حديثين ، وهما الوسيط من عمل مجمع اللغة العربيــة بالقـاهرة ، والأساسـى مـن عمل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وليس من الموضوعية أن يصف البـاحث المذكـور المعجـم الوسـيط بـالقصور ، وعـدم الفـائدة بالنسـبة للمســتعمل العربى فى وقتنا الحاضر ، وأن يقول عن صانعى المعجم إنهم بعيدون كل البعـد عن أى معرفة لسانية ، وأن يزعم أن استخدام المعجـم قليـل مـن البـاحثين علـى مختلف مستوياتهم وأنهم يملون من قراءته [من العجيـب أن يقـول البـاحث هـذا عن المعجم الوسيط ،مع أنه أوسع المعاجم العربية الحديثة انتشارا بـلا منـافس ، كما يشهد بذلك تعدد طبعاته فى فترة وجيزة ، وتزوير طباعته فى أكـثر مـن بلـد عربى وغير عربى] . وليس من الإنصاف كذلك أن يقول باحث آخر : المعاجم الحالية هى هياكل عظمية بدون روح لأنهـا تفتقد إلـى الشـواهد .. وهـى مجـرد

١- نحيل المهتمين كذلك إلى معجم متوسط اعتمد على قاعدة بيانات ضخمة ، واتبع أحدث المنـاهج فـى جمـع المادة وعرضها وهو : webster's Ninth new collegiate Dictionary الذى صدر عام ١٩٩١ واحتـوى على ١٦٠،٠٠٠ مدخل و ٢٠٠،٠٠٠ تعريف ، وأكثر من ١٣،٠٠٠،٠٠٠ اقتباس ، وسار فى ترتيب معانى الكلمات ذات المعانى المتعددة على الترتيب التاريخى . (لاحظ أنه قد بيع من طبعته الثامنة وخلال [illegible] سنوات أكثر من ١١ مليون نسخة) .٢- هو الدكتور محمد الحناش أستاذ اللسانيات العربية والعامة بالمغرب .

جرد لمداخل مع تعاريف مقتضبة لا تفي بالغرض (١). وإذا كنا نطمع في إخراج معجم حديث مثالى ، ونطمح إلى تحقيق أعلى مستوى من الحرفية فى جمع مادته ، وتصنيفها ، وعرضها فلن يكون ذلك بهدم أعمال السابقين ، والوقوف على حطامها ، وإنما يكون بالاستفادة منها ، والبناء عليها ، وبخاصة فى مرحلة جمع المادة التى لابد أن تسبق أى عمل آلى مقترح .ولنحدد الآن أهم ما يحتاجه المعجم العربى ، وما يجب أن يتوفر فيه لتحقيق طموحاتنا ، وتلبية احتياجاتنا المتنوعة :

أولاً: إنشاء هيئة دائمة ، أو مؤسسة متخصصة تتولى إصدار المعاجم العربية ، سواء بدعم مادى من الحكومات أو الهيئات أو المؤسسات (يمكن تمويل مشروع كهذا عن طريق المؤسسات العلمية التى لاتبغى الربح . وفى الكويت وحدها يوجد من هذا النوع : مؤسسة الكويت للتقدم العلمى – وحدة برامج الأبحاث بجامعة الكويت – معهد الكويت للأبحاث العلمية . الصندوق العربى للإنماء الاقتصادى والاجتماعى (٢).كما يمكن تمويله من ميزانية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومكتب التربية العربى لدول الخليج) ، أو من دور النشر الكبرى فى العالم العربى مثل مكتبة لبنان ، ودار العلم للملايين (لبنان) ، والهيئة العامة للكتاب ، ودار الشروق (مصر) ، أو من المؤسسات اللغوية والمعجمية مثل مجامع اللغة العربية (فى كل من من مصر والعراق وسورية والأردن)، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط ، وجمعية المعجمية العربية بتونس .

١- هو الدكتور محمد عبد الغنى أبو العزم . وإذا كان من الممكن أن يصح هذا بالنسبة للقاموس المحيط الذى جرد معجمة من الأمثلة التوضحية والشواهد إلا ما ندر ، فإنه لا يصح بالنسبة لسائر المعاجم العربية قديمها وحديثها.

٢- سبق أن [illegible] الصندوق فى عمل معجم حديث ورصد له مبدئيا ما يقرب من نصف مليون دولار ،ولكن حدوث الغزو العراقى للكويت وتشتت المادة ، وحل معظم لجان المعجم حال دون الأستمرارفى إنجازه

ثانياً :الاعتماد على قاعدة بيانات شبه شاملة لمادة اللغة العربية . ولتسريع العمل ينبغي تقسيم تاريخ اللغة العربية إلي فترات ، والبدء بواحدة منها ، ولتكن اللغة العربية المعاصرة . ويجب فى قاعدة البيانات هذه أن تمثل كافة مجالات العلم ولا تقتصر على لغة الشعر والأدب كما كان الحال – وكما هو حتى الآن – بالنسبة للمعاجم السابقة . ويجب لكى تكون العينة ممثلة للغة العصر الحديث أن تغطى الأعمال الآتية :

أ– كتب الأطفال والناشئة .

ب– دواوين الشعراء .

جـ– أعمال كبار الأدباء والكتاب بما يشمل القصة والمسرحية والمقالة وكتابات أصحاب الفكر من فلاسفة ، وعلماء نفس ، ورجال دين ، ومؤرخين ، ورجال سياسة واقتصاد .. الخ .

د– المقالات والكتابات الصحفية فى مختلف الصحف والمجلات العربية على امتداد الوطن العربى الكبير .

هـ– عينات من المادة المسموعة مثل نشرات الأخبار ، والتعليق عليها ، ومواجيز الأنباء ، وأقوال الصحف والأحاديث الدينية ، وبعض البرامج الجادة التىتلتزم اللغة الفصحىمن مثل برنامج لغتنا الجميلة الذى يقدمه فاروق شوشة .

و– الكتب المدرسية فى مراحلها المختلفة ، وبالقدر الذى يغطى كتب اللغة العربية ، والمقرارت الإنسانية كالجغرافيا ، والتاريخ ، والفلسفة ، والاجتماع ، وعلم النفس ، وقدرا من المقررات العلمية .

ز– المادة التراثية التى ما تزال تتردد فى لغة العصر الحديث ، فهى تراثية بحكم زمن إنتاجها ، ومعاصرة بحكم ترددها فى الألسنة ، وعلى أقلام الكتاب

والأدباء المعاصرين ، وتشمل هذه المادة القرآن الكريم وقراءاته ، والأحاديث القدسية ، والأحاديث النبوية ، والحكم ، والأمثال وغيرها .

حـ- أعمال المجامع اللغوية وتنقسم إلى قسمين :

الأول يقوم على الانتقاء والاختيار ، وهو ما يتعلق بمعاجم المصطلحات التى أقرتها المجامع اللغوية . ويتم الانتقاء على أساس من الشيوع والذيوع فى لغة المثقف العام ، وليس فى لغة المتخصص وحده .

والثانى يقوم على المسح والتفريغ الشامل ، ويضم ذلك كل ما أقرته المجامع اللغوية من ألفاظ وعبارات وأساليب . ويبرز من بين المجامع اللغوية فى هذا المجال مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذى ينشر بصفة مستمرة قراراته وتوصياته ، ونشير بوجه خاص إلى العملين الآتيين :

* كتاب الألفاظ والأساليب (بأجزائه المتعددة) .
* كتاب فى أصول اللغة (بأجزائه المتعددة) .

ط- مادة رافدة بعد القيام بعمليات المسح اللغوى السابقة وذلك لسد الثغرات ، وملء الفجوات المعجمية التى تبقت بعد ذلك ، ويفيد فى هذا الخصوص المراجع الآتية :

١- كتب التعبيرات السياقية (مثل التعابير المسكوكة لمحمد الحناش ، والتعبير الاصطلاحى لكريم زكى حسام الدين ، ومعجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية لأحمد أبو سعد ...)

٢- كتب التصحيح اللغوى (مثل معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة لمحمد العدنانى ، الكتابة الصحيحة لزهدى جار الله ، أزاهير الفصحى لعباس أبو السعود ، العربية الصحيحة لأحمد مختار عمر) .

٣- كتب الرصيد اللغوى (مثل المفردات الشائعة لداود عبده ، الرصيد اللغوى الوظيفى للمرحلة الأولى) .

٤- المعاجم المسحية التى قامت على مادة وظيفة حية سواء بصورة كلية أو جزئية (مثل معجم اللغة العربية المعاصرة لهانزفير ، والسبيل لدانيال ريج، والمعجم العربى الأساسى من إصدار الألكسو) .

ثالثاً: يجب جمع المادة ثم تخزينها عن طريق الحاسوب ، وباستخدام الأجهزة الحديثة التىتتولى قراءة النص المكتوب وتخزينه آليا فى ذاكرة الحاسوب مباشرة ، وبذلك يمكن الادعاء بأن العينة تمثل الواقع اللغوى خير تمثيل .

وإذا كان هناك من قصور فى طريقة التخزين هذه نتيجة خلو النصوص من الضبط مما قد يسبب الإيقاع فى اللبس ، فإنه من الممكن الاعتماد على بعض البرامج التى تتولى فض الالتباس آليا ، وضبط كلمات النص بصورة آلية كذلك ،وهذه إن لم يكن قد تم إنجازها فعلا فإنها فى طريقها إلى الإنجاز .

رابعاً: يجب وضع خطة طويلة المدى لعمل أنواع من المعاجم تسد احتياجات متعددة لمستعملين مختلفين ، وعمل برنامج زمنى لإنجاز هذه المعاجم ، وينبغى أن تشمل هذه الخطة ماياتى :

١- إنجاز معجم آلى إلى جانب المعجم الورقى العادى .

٢- عمل معجم تاريخى للغة العربية يبدأ من العصر الجاهلى ، وربما من عصر النقوش ، حتى عصرنا الحاضر . وسييسر من إنجاز هذا المعجم كثير من الجهود المتناثرة التى بذلت حول الموضوع ، ومن ذلك :

أ- محاولة فيشر المعجمية ، وخطته لإنجاز هذا المعجم ، والجذاذات التىبقيت من هذا العمل ، والنموذج الذى طبعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة من هذا المعجم .

ب- خطة إعداد المعجم التاريخى التى وضعت منذ عدة أعوام بتعاون بين جامعتى كمبردج والكويت ، ولم يتقدم المشروع أى خطوة إلى الأمام بسبب نقص التمويل .

جـ- ما تم إنجازه من دراسات معجمية وما تم وضعه من قوائم ألفاظ شملت عددا من دواوين الشعراء الجاهليين ، بمن فيهم شعراء المعلقات ، وقد أنجز عدد من هذه المشروعات فى جامعات القاهرة ، والكويت ، وبغداد .

د- ما سمعنا عنه من مشروع خططت له جمعية المعجمية العربية بتونس ، وبدأت فى وضع منهجيتة العامة سنة ١٩٨٦ ، ولكن ضعف قنوات الاتصال بين المشارقة والمغاربة لم يمكن الباحث من متابعة ما أنجز من هذا المشروع .

٣- عمل معجم شامل للغة العربية المعاصرة (أو الحديثة) بعد تحديد مفهوم العصر الحديث أو المعاصر تحديدا واضحا ، وتعيين بدايته تعيينا دقيقا. وسيحقق هذا المعجم أهدافا متعددة من أهمها :

أ- اتخاذه نقطة بداية لبناء المعجم التاريخى السابق ذكره باعتبار أن العصر الحديث يمثل فترة أو عصرا مستقلا ، وعن طريق تجريد فترات أو عصور أخرى فى تاريخ اللغة العربية يمكن إعداد عدد من المعاجم التزامنية التى يمثل كل منها فترة أو عصرا معينا .

ب- ظهور فائدته بالنسبة لعامة المثقفين الذين يتعاملون مع اللغة الحية المعاصرة ، والذين سيجدون طلبتهم فيه بسهولة ، مما سيوجد الحافز لديهم على اقتنائه ، وهذا بخلاف ما سيكون عليه الحال لو بدأنا فى تجريد عصور اللغة بالعصر الجاهلى .

جـ- إماكنية إنجازه فى فترة زمنية قصيرة ، وبتكلفة مالية تقل كثيرا عما تتطلبه صناعة معجم تاريخى شامل مرة واحدة .

د- إمكانية استخلاص عدد من المعاجم المتوسطة والصغيرة منه بعد ترتيب كلماته بحسب نسب ترددها ، كما يمكن عن طريقه عمل معاجم متخصصة أو لتلبية أغراض خاصة ، ومعاجم للمفاهيم والمجالات ومعاجم للترادف والتضاد ، والاشتراك اللفظى وغيرها .

خامساً: يجب إعداد كوادر مدربة متنوعة ، وتشكيل فريق عمل من الباحثين في المعاجم ، وعلم اللغة ، والحاسوب ، والاستفادة في تكوين هذه الكوادر وتدريبها من خبرة المشرفين على الأعمال المعجمية التي سبقتنا في اللغات الأوربية ، ومن بين هذه الأعمال أشير بوجه خاص إلى خبرة قسم اللغة الانجليزية بجامعة برمنجهام ، ودار المعاجم بأكسفورد ، وشركةMerriam Webster في الولايات المتحدة .

وفي رأيي أن إعداد هذه الكوادر سيشكل العقبة الرئيسية في بدء المشروع نظرا لندرة الخبرات المطلوبة ، وضرورة وضوح المنهج عند كل فرد من أفراد الفريق ، وإمكانية تطبيقه حرفيا دون ترك أي مجال للاجتهاد أو اللبس . وقد كانت تجربتي مع المعجم الحديث الذي تبنى إصداره الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي (ومقره الكويت) تجربة غير مشجعة في هذا الخصوص حيث وجدت صعوبة هائلة في تكوين عدة فرقاء عمل في عدد من العواصم العربية ، ومن سوء الحظ أن توقف المشروع بسبب غزو العراق للكويت وضياع قدر كبير من مادته .

سادساً: يجب أن تعتمد منهجية المعجم جملة من الأسس التي لا يمكن التخلي عنها وهي :

أ- اعتماد الإحصاء وسيلة لتحديد حجم معاني الألفاظ التي ستذكر بإزائها.

فعدد مرات الورود للكلمة ، ونسبة شيوع الدلالات لكلمات المشترك اللفظي يعدان أمرين ضروريين لصناعة معجم حديث حتى يكون اختيار الحجم المطلوب للمعجم قائما على أساس علمي لا اعتباطي ، سواء في عدد مداخله ، أو في عدد المعاني التيتنسب للمدخل الواحد .

ولقد أدرك المعجميون الإنجليز أهمية هذه الحقيقة منذ الثلاثينيات ، وتم عمل دراسات لاختيار الكلمات الإنجليزية من أجل تدريس اللغة ، كما تم وضع

قائمة استخدامية عامة تشمل ٢٠٠٠ كلمة إنجليزية قامت بجمعها لجنة مصغرة من ثلاثة من الأساتذة المتخصصين بناء على توصية صدرت عن مؤتمر عقد فى نيويورك عام ١٩٣٤ حضره كثير من القيادات اللغوية ، ودار الحوار فيه حول أسس انتقاء قائمة للألفاظ الأكثر شيوعا (١)،ثم تعرضت القائمة للإضافة والتعديل بواسطة المشروعات البحثية التالية . وكان المحرك لوضع القائمة أن الأختيار العشوائى أو الاعتباطى يعد طريقا مضيعا للوقت ، وأن المطلوب وضع نظام كامل من الرصيد الانتقائى قابل للتعديل استمدادا من الرصيد اللغوى الكبير ،وسميت هذه الطريقة باسم الانتقاء المفرداتى Vocabulary selection وقد أصدرت مؤسسة Longman عام ١٩٥٣ كتابا بعنوان :

A General Service List of Enjlish Words

من إعداد وتحرير Dr. Michael West وقد ضم الكتاب عددا من الدراسات حول الموضوع ، وقائمة بترددات الكلمات ودلالاتها .

وقد استخدم Dr. Michael West إحصاء التردد الدلالى Semantic Frequency Count الذى أعده البروفسر I Lorge من جامعة كولومبيا . وعلى الرغم من أن هذه القائمة حوت ٢٠٠٠ كلمة فقط فقد استخلصت من دراسة ما يقرب من ٥ ملايين كلمة جارية . ورتبت الكلمات فيها حسب الإحصاء الدلالى ، وأعطى الرقم النسبى لكل دلالة . فإذا كانت كلمة game قد وردت ٦٣٨ مرة فإن هناك أرقاما أخرى بجانب هذا الرقم تشير إلى التكرار النسبى لكل معنى(وقد بلغ عدد المعانى ٢٤ معنى مختلفا ، أخذ معنى المسابقة٣٨٪ ووزع باقى النسب على المعانى الأخرى). واذا كانت كلمة accident قد ترددت ٢٧٥ مرة فقد حصل معنى المصيبة أو الكارثة على ٧٢٪

١– نشرت القائمة عام ١٩٣٦ تحت اسم the Interim Report on Vocabulary Selection واحتوت على ٢٠٠٠ كلمة انجليزية وصفت بأنها general service ، وأنها تصلح أن تتخذ أساسا لتعليم اللغة الانجليزية .

من التردد،والحدث غير المقصودعلى ٢٠٪،والمصادفة على ٧٪ (مثال الأول : accident on the railway والثاني : It was a mere accident that we met ، والثالث : by accident) . ومثل هذا يقال عن كلمة Sun التى ترددت ١١٩٨ مرة ، حصل منها معنى الجرم المعروف على نسبة ٧٦٪ ، ومعنى الضوء (مثل التعبير : اجلس فى الشمس) على ٢٣٪. وجاءت كلمة Curtain ٨٠ مرة ، حصل منها معنى ستارة الشباك على ٥٣٪، وستارة المسرح ١٣٪ والاستخدامات المجازية الأخرى (مثل ستار من الدخان - الستار الحديدى) على ١٨ ٪.

ويلاحظ أن بعضا من هذه الدراسات الإحصائية قد قام بها معهد البحوث النفسية بالولايات المتحدة الأمريكية بدعم من مؤسسة روكفلر لدراسة اللغة الإنجليزية ، وبمساعدة بعض الهيئات العلمية والمالية فى نيويورك وكولومبيا . وقد أمكن فى هذه الدراسات جمع الحقائق عن الوقوع النسبى للمعانى المختلفة للكلمات الإنجليزية ، ونشرها عام ١٩٣٨ Irving Lorge و Edward L. Thorndike تحت عنوان : A Semantic Count of English Words .

ب- ضرورة التقديم بين يدى المعجم بمقدمة تحدد المنهج ، وطريقة الترتيب المتبعة ، ووسائل ضبط الهجاء والنطق ، وكيفية تصنيف المعانى والدلالات ، ووسائل التعريف المتبعة ، وشرح الرموز والعلامات والاختصارات المستعملة فى المعجم . كما تشمل المقدمة عرضا سريعا لتاريخ اللغة وأنظمتها الصوتية والصرفية والدلالية .

جـ- السير فى تأليف المعجم على الخطوات الآتية :

١- جمع المادة ، ويتم عن طريق الاستخلاص من النصوص التى تقع فى دائرة اهتمام المعجمى مع وضع كل مفردة فى بطاقة . ولايهم أن تكون المادة مكتوبة أو شفوية . ولكن ينبغى الحذر فى تسجيل المادة الصحفية لأنها كثيرا ما تستعمل تعبيرات متكررة فى مناسبات خاصة ، كما تستخدم مفردات ابتداعية سريعة ،

ويندر أن تلتزم بمستوى لغوى معين . ولكن مسح النصوص الصحفية هام لأنها فى أخبارها ومقالاتها الافتتاحية تحتوى على أحدث مادة معاصرة بالنسبة للموضوعات التى تعالجها .

والنص الذى يجب اقتباسه فى كل بطاقة لابد أن يشتمل على جزء السياق اللغوى الذى يسمح باستنتاج المعنى الأساسى للكلمة ، وبعض من ملامحها الدلالية ، وخصائصها النحوية . إنه يجب أن يكون مختصرا ، ولكنه يجب كذلك أن يكون واضحا .

وقد يستعان فى جمع المادة بوسيلتين أخريين أولاهما ما يمكن أن يسمى بالدليل اللغوى informant الذى يلجأ إليه فى تمثيل اللغة كما ينطقها ويستعملها أبناؤها ، وفى تكملة بعض الثغرات التى لم يملأها الجمع اللغوى . والأخرى استشارة المعاجم الأخرى فى اللغة موضوع الدراسة . بل قد يحدث أحيانا أن يكون أحد المعاجم هو الأساس لعمل المعجم الجديد .

٢- الخطوة الثانية من عمل المعجمى اختيار المداخل ، أى الوحدات المعجمية التى سيتضمنها المعجم .

ويؤثر فى هذا الاختيار جملة من العوامل منها ما سبق اتخاذه من قرارات عن نموذج المعجم والهدف من تأليفه. ومنها حجم المعجم المقترح ، فمعجم كبير أو متوسط لا يصح أن يهمل ذكر التنوعات العامية للغة . ومعجم كبير أو متوسط يجب أن يهتم بمصطلحات العلوم والفنون وأن يذكر منها ما يشيع فى اللغة العامة .ومعجم كبير أو متوسط لابد أن يعطى إشارات لأسماء الأماكن ذات الأهمية الخاصة ، وأعلام الأشخاص إذا اشتهرت ، أو حملت معنى عاما ، أو كان لاشتقاقاتها أهمية خاصة .

وأهم من هذا يأتى السؤال : ماذا يأخذ المعجمى من المادة وماذا يترك حتى بعد أن يحدد نموذج المعجم وهدفه وحجمه ؟ وليس هناك عدد معين من المواد يمكن تحديده مسبقا بالنسبة لأحجام المعاجم الثلاثة : الصغير والمتوسط والكبير . وإن

كان هناك أعداد تقريبية تطرح لكل نوع . فالصغير يبدأمن ١٢٠ ألف كلمة إلى ١٥٠ ألف كلمة ، والمتوسط من نصف مليون كلمة إلى مليون (وقد احتوى المعجم الوسيط على مليون كلمة أو ثلاثين ألف مادة) والكبير في حدود ثلاثة ملايين كلمة .

ولابد أن يلجا المعجمي في اختيار مداخله إلى نسب تردد الكلمات (بعد أن أصبح من الممكن الآن عمل هذه النسب باستخدام الحاسوب) وإن كان بعضهم يشكك في قيمة هذا العامل ، ويرى عدم الاعتماد على الإحصاء في اختيار كلمات المداخل لأنه لا يوجد عدّ دقيق تحت أيدينا حتى الآن ، ولأن أي عدّ يعتمد على العينات لا على مسح المادة اللغوية ، ولأن أي عد لم يتضمن حتى الآن تجمعات الكلمات .

٣- أما الخطوة الثالثة من عمل المعجمي فهي تأليف المداخل أو معالجة المادة من نواحيها المختلفة كالمعنى، والنطق ، والهجاء ، والاشتقاق ، ودرجة الاستعمال .

ويقع المعنى في بؤرة اهتمام المعجمي ومع ذلك فهو يمثل أكبر صعوبة تواجهه لصعوبة تحديده أولا ، ولاعتماد دقة تفسيره على جملة من القضايا الدلالية التي تتعلق بمناهج دراسة المعنى ، وشروط التعريف ، والتغير الدلالي ، وتخصيص المعنى أو تعميمه ، والمعاني المركزية والهامشية والإيحائية ، وصعود المعنى أو هبوطه ، والتلطف في المخاطبة أو البدائل الدلالية المهذبة ، والاتساع المجازي ، والترادف ، والاشتراك اللفظي ، وتعدد تطبيقات الاستعمال وغيرها .

ويلجأ المعجمي إلى طرق مختلفة لعرض المعنى أو تفسيره . فقد يلجأ إلى المرادف كأن يقول : الجود : الكرم ، السبات : النوم . وقد يلجأ إلى ذكر المضاد كأن يفسر العدل بأنه ضد الظلم ، أو الجهل بأنه ضد العلم . وقد يلجأ إلى الشرح في جملة أو عبارة . وهناك شروط حددها العلماء للتعريف الجيد

الذى يعطى خصائص واضحة وشرحا محددا لمعنى الكلمة أو معانيها كأن يخلو الشرح من أى كلمة تعتمد على جذرها حتى لا يخرج القارىء من قراءة التعريف صفر اليدين .

وقد فسر معجم انجليزى كلمة negro بقوله of the Negro race وقد كان يقبل هذا التعريف لو أن المعجم خصص مدخلا لـNegro race ولكنه لم يفعل ذلك مع الأسف .وكان المطلوب فى مثل هذه الحالة إعطاء خصائص هذا الجنس كالسواد،والمواطنية الأصلية فى إفريقيا،والشفة الغليظة، والشعر المجعد .. الخ .

كما يشترط فى التعريف أن يكون محددا فلا يقال مثلا عن " القدم " أو " المتر " إنه وحدة لقياس الطول ، بل لابد من تحديد قياسه لتحديد الفرق بينه وبين غيره من مقاييس الطول . وقد يلجأ المعجمى إلى وسيلتين أخريين إضافيتين لتحديد المعنى كالاستعانة بالصور أو الرسوم ، أو الاستعانة بما يسمى " بالتعريف الظاهرى " أو" التمثيل الواقعي " الذى يعطى مثالا أو أكثر للعالم الخارجي . فبدلا من الاكتفاء فى تفسير " البياض " بأنه لون" " الأبيض " كما تفعل كثير من المعاجم يتبع ذلك بقوله: وهو لون الثلج النقى ، أو ملح المائدة المكرر .

ولا يستغنى توضيح المعنى عن شيئين آخرين هما التمثيل بجمل مفيدة قصيرة ووضع الكلمة فى سياقاتها المتعددة التى تقع فيها مثل الفعل " أدرك " الذي يستعمل فى سياقات متعددة ويختلف معناه تبعا لذلك فيقال : أدرك القطار : إذا لحقه ، وأدرك حاجته : إذا حققها وحصل عليها ، وأدرك الصبى : إذا راهق وبلغ حد البلوغ . ويمكن للتمثيل الجيد أن يوظف لخدمة المعنى فيقوم بتوضيح ظلال المعانى ، والمجالات التى ترد فيها الكلمة ، والصفات المصاحبة ، ونوع المفعول مع الفعل ، والمصاحبات الظرفية .. إلخ . فإذا نحن عرفنا " الجميل " بأنه ما يعطى بهجة أو رضا للعقل أو الحس فلا شك أن التمثيل سيزيد المعنى

وضوحا كأن نقول : وجه جميل - زهرة جميلة - صوت جميل - طقس جميل- موسيقا جميلة .. إلخ .

ولا يكتفى المعجمى بشرح المفردات بل لابد كذلك أن يشرح التعبيرات وبخاصة إذا لم يكن من الممكن فهمها من أجزائها المكونة . مثل : الكتاب الأسود ، الراية البيضاء ، ركوب الرأس ، طول اليد .

كما لابد أن يعالج الكلمات ذات الوحدات المتعددة (المركبة) مثل : الماء الثقيل - السوق السوداء - الهواء الطلق - بيضة الديك - قميص عثمان - كبد السماء .. إلخ .

ومن الممكن لمثل هذه الوحدات أن توضع تحت الكلمة الأولى منها ، أو تحت أسبق الكلمتين فى ترتيب المعجم ، أو تحت الكلمتين (أو الكلمات) مع الربط بين المواقع ، أو تحت أبرز الكلمتين (أو الكلمات) . ومن المؤسف أن معظم المعاجم العربية المعاصرة لم يهتم بهذا النوع من المادة (ربما باستثناء المعجم العربى الأساسى) مع أنه - كما قال الدكتور الحناش - يشكل نحوا من ٤٠ ٪ من الرصيد اللغوى العربى .

وهناك قضية أخرى هامة بالنسبة للمعنى لم يحسمها علم اللغة التطبيقى ، وما تزال موضع جدل بين المعجميين ، وهى معيار الحكم على كلمة بأنها ذات معنى واحد أو عدة معان . وإذا كانت ذات عدة معان أهى من باب المجاز أم من باب المشترك اللفظى ؟

ويترتب على اعتبار الكلمة ذات معنى واحد وضعها فى مدخل واحد حتى لو تعددت تطبيقاتها فى الاستعمال ، أو حملت بعض المعانى المجازية . ويكتفى فى هذه الحالة بترتيب المعانى داخليا بصورة من صور الترتيب المتفق عليها . أما إذا اعتبرت ذات معان متعددة فسيفرد لكل معنى مدخل وتتعدد المداخل بتعدد المعانى .

* الفعل " شحذ " مثلا يأتى لمعنيين :

شحذ السكين : إذا أحده .

وشحذ الفقير الناس : سألهم .

فهل يمكن رد المعنيين إلى معنى واحد هو " الإلحاح " و " التكرار " فيكون المدخل واحدا ؟ أو أن التماس هذا المعنى الواحد لا يتم إلا بتكلف وتمحل ولا يفطن إليه مستعمل اللغة العادى ، فيكون للفظ معنيان مختلفان فينظر إليه على أنهما لفظان مختلفان يستحق كل منهما مدخلا مستقلا ؟

ومثل هذا يمكن أن يطرح بالنسبة لكلمات مثل :

* حميم : فى قوله تعالى : كأنه ولى حميم مع قوله تعالى : وسقوا ماء حميما. فالأولى بمعنى : صديق قريب ، والثانية بمعنى : حار مغلى .

*قبيلة : فقد ذكر القاموس المحيط أنها واحدة قبائل الرأس للقطع المشعوب بعضها إلى بعض وأن منه قبائل العرب وهم بنو أب واحد . وعلق صاحب التاج قائلا : ظاهره أنه مجاز وصرح بعضهم بخلافه فادعى الاشتراك .

* get : ترد فى الأستعمالات الآتية :

get a book التى تعنى receive أو obtain

get down التى تعنى move

get fired التى تعنى to be

get tired التى تعنى to become

فهل تحمل معنى واحدا أو عدة معان ؟

وحين ينتهى المعجمى من مشكلة المعنى تظل أمامه مشكلات أخرى أقل أهمية مثل اختيار النطق الصحيح والنص عليه (ويتم ذلك فى اللغة العربية بوسيلة من ثلاث : إما ضبط الكلمة بالشكل ، وإما النص على ضبطها بالكلمات ، وإما ذكر وزنها أو مثالها) ومثل تبيين رسم الكلمة وطريقة هجائها وبخاصة إذا كان يختلف نطقها عن رسمها (ويتعين ذلك بالنسبة للغة العربية فى أربعة أنواع من الكلمات :

ما يزاد فيه حرف مثل مائة وأولو ، وما ينقص فيه حرف مثل هذا وذلك والسموات والرحمن ، وما ينتهى بألف مقصورة مثل الضحى والربا ، وما يشتمل على همزة متوسطة أو متطرفة) .

أما ذكر المعلومات الصرفية أو الاشتقاقية فيتوقف على حجم المعجم والغرض منه . فإذا كان المعجم موجها للمستعمل العادى فإنه يكفى فيه الإشارات السريعة إلى المعلومات الوظيفية أو العملية ، والتغييرات التصريفية التى تلحق الكلمة عند الإسناد . أما التتبع التاريخى لاشتقاق الكلمة أو ذكر أصله مما يدخل تحت فرع " الاتيمولوجيا " فليس موضوع اهتمام المعاجم الصغيرة أو المتوسطة .

ويظل بعد ذلك أن يبين المعجمى درجة اللفظ فى الاستعمال ويحدد مستواه فى سلم التنوعات اللهجية كأن يبين ما إذا كان اللفظ قديما أو حديثا؟ دارجا أو فصيحا؟ عاما أو مقيدا ؟ مهجورا أو مماتا ؟ نادرا أو شائعا؟ رسميا أو عاميا؟ محترما أو مبتذلا؟ من لغة الكبار أو الصغار؟ وغير ذلك .

٤- وأخيرا لا يبقى على المعجمى إلا أن يرتب مداخله بطريقة من طرق الترتيب الهجائى أو الموضوعى .

ثانياً: الترجمة

ظهرت أهمية الترجمة فى العصر الحديث باعتبارها وسيلة للتفاهم بين الأمم ، وقد انعكست آثار الدراسات اللغوية الحديثة على عملية الترجمة ، حتى حولتها إلى علم بالإضافة إلى كونها فنا ، بدلا من النظر إليها على أنها مهارة وتدرب وحس فنى فحسب .

وكان من فضل الدرس اللغوى على الترجمة ، أن بين للمترجم بالأمثلة التفصيلية ، كيف يجب أن يعالج المفردات ومعانيها من نواحيها المختلفة ، وكيف ينبغى أن يحلل الجمل التى يرغب فى ترجمتها ، وكيف يصل إلى العلاقات المعنوية المباشرة القائمة بين العناصر الأولية التى تتألف منها الجملة ، ثم كيف يستطيع أن يعيد تركيبها بالشكل أو الأشكال المسموح بها ، فى اللغة الأخرى بحيث يحافظ على دقة المعنى ، وعلى الخلفية الحضارية للغة . ويبين الدكتور فوزى عطية فى كتابه " علم الترجمة : مدخل لغوى " فضل الدراسات اللغوية على الترجمة فيقول : "ولقد دخلت الدراسات اللغوية بظاهرة الترجمة ، إلى حيز تحليل وتعميم الاستنتاجات ، المستخلصة من واقع الممارسة العملية ، وأسهمت معها ، فى وضع ضوابط للعلاقات المتبادلة ، بين اللغات ، وفى الكشف عن عناصر الاختلاف والتطابق بين سبل التعبير فى اللغات المختلفة " . كما امتد تأثير الدراسات اللغوية إلى تحديد نوعيات الترجمة وأهدافها ، فى ضوء تنوع عملية الاتصال اللغوى ، والإمكانات الوظيفية للغات . ولقد تفاعلت الترجمة مع علوم اللغة المختلفة فنراها ترتبط بعلم اللغة العام ، وبعلوم الألفاظ والمعانى والنحو ، والصرف ، والأسلوب ، وعلمى الاجتماع ، والنفس اللغويين.

ومن ناحية أخرى باتت الترجمة مصدرا هاما من مصادر الدراسات اللغوية فى مجال الدراسات المقارنة ، وازدواجية اللغة ، وطرق تدريس اللغات .

وهناك مشاكل كثيرة يواجهها المترجم من لغة أخرى ، ولكن أهم هذه المشاكل محاولة المترجم أن يجد فى لغة ما لفظا مطابقا للفظ آخر فى لغة أخرى ، وهذا يفترض منذ البداية تطابق اللغتين فى التصنيف ، وفى الخلفيات الثقافية والاجتماعية،وفىمجازاتها واستخداماتها اللغوية،وفى أخيلتها وتصوراتها ...وهو ما لا يتحقق ، ولا يمكن أن يتحقق مطلقا .

ويتفرع عن هذه المشكلة الأساسية مشكلات جزئية أو تطبيقية كثيرة من أهمها ما يأتى :

١- اختلاف المجال الدلالى للفظين يبدوان مترادفين فى اللغتين .
٢- اختلاف التوزيع السياقى لكلمتين تبدوان مترادفتين فى اللغتين .
٣- الاستخدامات المجازية .
٤- اختلاف التصنيفات الجزئية .
٥- التلطف فى التعبير واللامساس .
٦-الإيحاء والجرس الصوتى .
٧- اختلاف المألوفات الثقافية والاجتماعية .

وإليكم نبذة موجزة عن كل واحدة منها :

١- اختلاف المجال الدلالى للفظين يبدوان مترادفين :

ويشمل ذلك :

أ- اتساع مدلول الكلمة فى لغة ما ، وضيق مدلولها فى اللغة الأخرى .

ب- استخدام الكلمة فى أكثر من معنى فى لغة ، وفى معنى واحد فى اللغة الأخرى .

وأكثر ما يتضح النوع الأول فى مجال الألوان حيث تمتد رقعة الألوان دون فاصل طبيعى ، ولا حدود ، متدرجة من الأحمر حتى البنفسجى ، وأى فصل لابد أن يتسم بالتحكم . وتتبع كل لغة طريقة خاصة فى التقسيم . ونتيجة لهذا

نجد لغة تعبر عن لونين بلفظ واحد ، وأخرى تضع أكثر من لفظ لدرجات من اللون الواحد . ومن أمثلة هذا النوع كذلك كلمة طويل فى اللغة العربية التى تقابلها فى الإنجليزية tall و Long .
ومشغول التى يقابلها busy و engaged .

وقد يتسع مجال استخدام اللفظ فى إحدى اللغتين حتى ينتقل إلى باب المشترك اللفظى ، أو تعدد المعنى . ومن ذلك كلمة مكتبة فى اللغة العربية التى يقابلها فى الإنجليزية أكثر من كلمة يستخدم كل منها فى حالة خاصة مثل: Library و book- store أو bookshop وغيرها .

٢- اختلاف التوزيع السياقى لكلمتين تبدوان مترادفتين :

يختلف هذا عن السابق فى أن اللفظين يعدان مترادفين فى اللغتين فى معناهما العام . ولكنهما يختلفان فى تطبيقات الأستعمال أو فى السياقات اللغوية التى يردان فيها . ومثال ذلك .

أ- كلمة " stone " الإنجليزية التى تأتى فى سياقات مثل :

precious stone و plum stone (أو date) و Kidney stone ولكن مقابلتها العربية " حجر " لاتأتى فى كل من هذه التوزيعات . فنحن نقول حجر كريم ، ولكن نقول : بذرة البرقوق - نواه البلحة - حصوة الكلى .

ب- كلمة " cut " الإنجليزية تأتى فى مصاحبة كلمات مثل :

"cheese و speech و flowers و finger و hair ولكن مقابلها العربى "يقطع " لا يأتى فى كل هذه التوزيعات . فنحن نقول : جرح إصبعه - قطف الأزهار - قص شعره - قطع الجبن - قطع حديثه ..

٣- الاستخدمات المجازية :

لما كانت اللغات لاتتطابق فى استخداماتها المجازية ، فإن الترجمة لأى استخدام مجازى لا يصح أن تكون حرفية . ومن أمثلة ذلك :

أ- تعبر الإنجليزية عن تقدم السنّ بـ evening of life أما المقابل العربى فهو: خريف العمر .

ب- كلمة "soup " الإنجليزية تقابلها كلمة " حساء " العربية ولكن الأولى ترد فى تعبير مجازى يدل على الوقوع فى مأزق أو مشكلة : in the soup ولا يوجدَ مثل هذا التعبير المجازى فى العربية .

جـ- ويبدو الاختلاف فى الاستعمالات المجازية فى استعارة أعضاء البدن للجمادات ، فالإنجليزية مثلا تقول:the hands of the clock ولكن العربية تقول : عقارب الساعة .

وحين يشيع المجاز يتحول إلى استخدام تعبيرى أو مثل . وفى كلتا الحالتين لا يصح وضع مقابل له فى اللغة الأخرى فى شكل ترجمة حرفية . فنحن نقول بالعربية : ركب رأسه - فاتها قطار الزواج - تركه تحت رحمته - يد خضراء - يشرب سيجارة - الملازم الصفراء ...

ومن التعبيرات المجازية التى يمكن أن تثير الغرابة ، وترمى بالانحراف أول استعمالها ، ثم بكثرة الاستخدام تصبح عبارات عادية مألوفة تعبيرات مثل : التهم محمد ثلاثة كتب مساء أمس-يقرأ أفكاره - يذبح الأشجار - يطير الفرس - الحول الفكرى .. وكثير من هذه التعبيرات لا يمكن ترجمته ترجمة حرفية والاكان مضحكا مثل ترجمة :

white elephent إلى فيل أبيض ، والترجمة الحرفية لعبارات عربية مثل:يشرب سيجارة أو الملازم الصفراء .

٤- اختلاف التصنيفات الجزئية:

رغم ما يلاحظ من أشتراك كثير من اللغات فى تصنيفاتها العامة للموجودات ، فإنه يلاحظ كذلك اختلافها فى التصنيفات الجزئية داخل كل نوع

. ونكتفى بضرب المثال الآتى من حقل الحرارة والبرودة . تستخدم اللغة الإنجليزية كلمات كثيرة منها :

freezing و icy و frigid لدرجة التجمد .

cold و cool و chilly لدرجة البرودة .

fresh و mild و moderate لدرجة الاعتدال .

warm و brisk و hot لدرجة الحرارة .

scorching و burning و boiling لشدة الحرارة .

وتتضارب المعاجم الإنجليزية العربية فى تحديد مدلولات هذه الألفاظ . ولا تكاد تظفر منها بشىء إذا أردت أن ترتبها – مع غيرها من الكلمات – ترتيبا تنازليا حسب درجة الحرارة أو البرودة . وخير مثال على الاضطراب ما ذكره صاحب المورد أمام لفظ frigid أنه : القارس ، والفاتر . وأمام لفظ cool أنه الفاتر ، والبارد باعتدال . فهل معنى هذا أن frigid و cool مترادفان فى الإنجليزية ؟ وأن القارس والفاتر مترادفان فى العربية ؟

وينتج عن اختلاف التصنيفات الجزئية ظاهرتان هما : التزيد والحشو – والفجوة المعجمية . وهما ظاهرتان متضادتان . فالأولى تشير إلى وجود ألفاظ لا توجد حاجة إلى وجودها لاشتمال اللغة على ما يغنى عنها ، وتكون أمثال هذه الألفاظ صعبه الترجمة إلى لغة أخرى نظرا لاستحالة تطابق لفظين فى لغة ما بل لابد من تصور فرق بينهما أدى إلى تعايشهما جنبا إلى جنب . والثانية تشير إلى نقص فى التعبير عن فكرة أو جزئية تعبر إحدى اللغتين عنها بلفظ ، وتخلو اللغة الأخرى من مقابله . ومثال ذلك لفظ uncle الذى يعبر عن أخى الأب وأخى الأم فى حين أن اللغة العربية تعبرعنهما بلفظين مختلفين هما : العم والخال .وعكسه فى اللغة العربية الكلمتان الإنجليزيتان finger و toe حيث يترجمان إلى إصبع دون تمييز بين إصبع اليد وإصبع القدم .

٥- التلطف فى التعبير واللامساس:

توجد فى بعض اللغات حساسية نحو ألفاظ معينة ، ربما ارتبطت ببعض المعانى التى لا يحسن التعبير عنها بصراحة ، ولذا تتجنبها وتستعمل بدلها ألفاظا أخرى أقل صراحة . ويوصف اللفظ المتروك أو المقيد الاستخدام بأنه من ألفاظ اللامساس واللفظ المفضل بأنه من باب التلطف فى التعبير .

وكثيرا ما لا يتنبه الشخص إلى هذه النقطة فيضع لفظا فى مقابل آخر دون أن يساوى بينهما فى درجة التلطف أو اللامساس . ومن أمثلة ذلك :

أ- التعبير عن المرأة الحامل فى الإنجليزية بكلمة pregnant لاتكاد تسمعه فى اللغة المؤدبة وإنما استعاضوا عنها بكلمات مثل :

mother - to - be أو expectant mother ونظيره فى العربية كلمة "حبلى " التى لا تكاد تسمعها فى اللغة المؤدبة التى استعاضت عنها بكلمة " حامل " .

ومن المؤسف أن نجد المعاجم الثنائية اللغة لاتتنبه إلى هذا الفرق . فنجد "معجم Hans wehr يترجم كلا من حبلى وحامل إلى pregnant ونجد " المورد " يترجم pregnant إلى حامل – حبلى ..

ب- وتكثر كلمات التلطف واللامساس فى التعبير عن العلاقة الجنسية وعن أماكن قضاء الحاجة ، وأشباههما .

٦- الإيحاء والجرس الصوتى :

هذه المشكلة لا يمكن للمعاجم التقليدية أن تعالجها لسببين:

أ- أن حلها يعتمد على السياق الذى ترد فيه الكلمة ، وعلى الشحنة الإيحائية التى تحملها ، وعلى الجرس الموسيقى الذى تؤديه ، وعلى توافقها الصوتى مع ما يجاورها من كلمات . وهى أمور أدخل فى باب الأسلوب منها فى باب المعجم ، ويفطن إليها الأدباء والشعراء أكثر من غيرهم .

ب- أن المعاجم التقليدية تركز على ما يسمى بالمعنى الرئيسى أو الأساسى وتغفل جوانب أخرى من المعنى مثل : المعنى الإضافى (كلمة jew مثلا)، والمعنى الإيحائى (كلمة لباس - سيدة - حانوتى) ، والمعنى الثقافى أو الاجتماعى الذى يرتبط بالطبقة الاجتماعية للمتكلم ومستواه الثقافى ونوع ثقافته .

ونتيجة لتفاوت الكلمات فى هذه الجوانب الدلالية وغيرها وصف اللغويون بعض الكلمات بأنها " غنية المعنى " أو " مليئة بالمعنى " .

٧- اختلاف المألوفات الثقافية والاجتماعية لكلتا اللغتين :

هناك من المعانى ما يعكس عادات أومألوفات اجتماعية فى بيئة ما فتعبرعنها تلك البيئة بكلمات فى اللغة ، فى حين أن إيجاد مقابل لها فى اللغة الأخرى قد يكون مستحيلا أو غير مطابق .

ويحس بمدى الارتباط الثقافى والاجتماعى للكلمات من يشتغل بالترجمة من لغة إلى لغة ، إذ تتوقف دقة ترجمته على قدرة اللغتين على أن تعكسا الحياة الثقافية والاجتماعية المعينة . وكلما تقاربت الثقافتان أو تطابقتا دقت الترجمة ، وكلما تباعدتا أو انفصلتا صعبت الترجمة أو استحالت .

فكلمة مثل wife لا يمكن أن تترجم بكلمة واحدة فى اللغة العربية المعاصرة لأن مقابلها العربى قد يكون " المدام " - " الجماعة " - " الست"- " مراتى "- زوجتى " - " المره " .. حين حديث المتكلم عن نفسه . وقد يكون : " عقيلته " - " حرمه " - " زوجته" -" الست " - " المدام " .. حين التحدث عن الغير أو إلى الغير.

ويبدو أثر العامل الثقافى والاجتماعى فى تفاوت اللغات فى اهتمامها بمجال دلالى دون أخر تبعا لارتباطها بهذا المجال أو ذاك ، وتبعا لإحساسها بأهمية أحد [illegible] اللغوية فى البيئة المعينة أو عدم أهميته . ويمكن التمثيل لذلك بمجالات دلاليه مثل :

أ- ألفاظ مقاعد الجلوس فى اللغة الإنجليزية .

ب- ألفاظ الطهى فى اللغة الفرنسية .

جـ- ألفاظ السيف أو الأسد فى اللغة العربية القديمة .

د- ألفاظ الثلج فى لغة الإسكيمو.

وتعكس كثير من التعبيرات المجازية خبرة اجتماعية أو ثقافية معينة، ولذا لا تكاد تفهم إذا ترجمت فى اللغة الأخرى . ومن أمثلة ذلك التعبير الإنجليزى : a red letter day للدلاله على اليوم الملىء بالبهجة والسرور . فقد نشأ التعبير أولا من عادة التقويم الإنجليزى كتابة أيام الأعياد الرسمية والإجازات الدينية بحروف حمراء . ومن ذلك أيضا التعبير العربى الحديث : الملازم الصفراء ، الذى يعنى الكتب التراثية حتى لو طبعت على ورق أبيض وجلدت فى شكل كتاب . وهو يشير بخاصة إلى كتب الأزهريين فى القديم التى كانت تطبع فى شكل ملازم ، وعلى ورق أصفر رخيص الثمن .

ثالثا : وضع لغة عالمية

إن وظيفة اللغة الأولى هى نقل الأفكار والمعانى من شخص إلى آخر . والعلاقة بين اللغة ، ومعناها علاقة وثيقة لا يمكن فصم عراها . وقد لاحظ العلماء أن هذه الوظيفة تتعطل إلى حد كبير نتيجة اختلاف اللغات و تعددها وتباينها حتى أصبح عددها فى حدود ثلاثة آلاف لغة او لهجة ، تفرق بين أفراد الجنس البشرى وتقيم بين الإنسان وأخيه الإنسان حصونا" لم تستطع حتى المدنية الحديثة مع مالها من إمكانيات ضخمة اقتحامها أو التغلب على مناعتها .

من أجل هذا ظهرت الدعوة إلى لغة عالمية وأخذت هذه الدعوة خطواتها الجدية منذ القرن السابع عشر وبدأ حينئذ النقاش والجدل بين المقتنعين بالفكرة وإمكان تحقيقها ، والمتشككين فى إمكانها الساخرين من الدعوة إليها .

وقد كانت حجج المتحمسين للفكرة تتلخص فى الحاجة إلى لغة واحدة يتفاهم بها أبناء الكرة الأرضية جميعا وتحقق لهم منع الحروب أو الحد منها ، وكذلك تيسر السفر والتنقل بين البلاد ، والقضاء على ظاهرة الأقليات التى تتسبب فى حدوث كثير من المشاكل والمآسي . كما أنه عن طريق اللغة الواحدة سيصبح أمر التجارة الدولية أيسر وأسرع . وسيمكن التخلص من مشاكل الترجمة وما تثيرة فى كثير من الأحيان من سوء التفاهم والشقاق – ولا سيما فى المجالات الدولية .ويمكن كذلك توفير الجهود التى تبذل فى الترجمة والنفقات الباهظة التى تنفق عليها . ففى الأمم المتحدة مثلا جهاز ضخم للترجمة الفورية يتكون من مئات المترجمين ويكلف الملايين كل عام . وهناك لغات محددة اعترف بها فى المحافل الدولية كلغات رسمية يترجم منها وإليها دون غيرها ، وفى هذا ظلم لمعظم اللغات .

أما المعارضون لفكرة اللغة العالمية الواحدة فقد قامت أقوى حججهم على مفهوم اللغة باعتبارها معبرة عن حضارة شعب من الشعوب ومتصلة اتصالا وثيقا بكل مظاهر هذه الحضارة ، فاختيار إحدى اللغات- إن كانت ذات حضارة - سيعد بمثابة فرض حضارة دخيلة أوجزء هام من هذه الحضارة على الأقل - على الغالبية العظمى من سكان العالم ، وإن لم تكن ذات حضارة بأن كانت لغة مصنوعة فسنفرض بذلك على العالم لغة ليس لها مميزات " أوصفات " حضارية على الإطلاق - لغة لن تستطيع أن تنمو وتتطور لافتقارها إلى مقومات الحياة نفسها . وهناك حجج أخرى لهؤلاء المعارضين استمدوها من التجارب التاريخية التى أثبتت انقسام اللغات إلى لهجات ثم تطور كل لهجة لتصبح لغة ، وانقسامها بعد هذا إلى جملة لهجات وهكذا .

ومعنى هذا أن هذه اللغة العالمية ستصاب بالتحلل والتفسخ بعد فترة قصيرة كما حدث للاتينية التى كانت تسود معظم بلاد العالم فى عهد الرومان ثم انحلت وتشعبت إلى لهجات أصبحت الآن ما يعرف باللغات الإيطالية والفرنسية والأسبانية ... الخ

ولكن أنصار اللغة العالمية يدفعون الاعتراض الأخير بقولهم إن العصر الحديث يتميز بسهولة الاتصال وسرعته فلا عازل بين الشعوب الآن نتيجة التقدم المذهل فى وسائل الاتصالات وسهولة التنقل بين الدول المتباعدة ، واختفاء عوامل الانقسام والتحلل كالجبال والأنهار والبحار والصحراوات والمحيطات لتحل محلها عوامل الاتصال والاندماج .

وقد أخذت الدعوة إلى تبنى لغة عالمية واحدة شكلين اثنين ، قام أولهما على اختيار إحدى اللغات الطبيعية وقام الآخر على وضع لغة صناعية تركيبية .

وانقسم دعاة اللغة الطبيعية قسمين . فمنهم من نادى باختيار إحدى اللغات الحية وفرضها على المتكلمين بوصفها لغة عالمية ودون تغيير فى صفاتها وخصائصها . غير أن أصحاب هذا الاقتراح قد اختلفوا فيما بينهم حول أى

اللغات نختار ، وظهر من بينهم من أراد إحياء اللغة الإغريقية أو اللاتينية ، ومنهم من أخذ يروج للغة الفرنسية ، أو يدعو إلى اللغة الإنجليزية نظرا لكثرة المتكلمين بها ، ولا ستخدامها كلغة ثانية فى كثير من بلاد العالم .

ومنهم من نادى باختيار إحدى اللغات الحية بعد إجراء تغييرات وإصلاحات فيها لتصبح أكثر ملاءمة لاستخدامها كلغة عالمية وتخليصها من صور الشذوذ وعدم الاطراد الذى يعد سمة أساسية لكل اللغات الطبيعية المستخدمة . ومن أمثلة المحاولات فى هذا الاتجاه محاولة قام بها عالمان إنجليزيان عام ١٩٣٠ أطلقا عليها اسم " اللغة الإنجليزية الأساسية ، اختصرا فيها كلمات اللغة الإنجليزية إلى أقل من ألف كلمة . وعن طريق تركيب الكلمات بأنواعها الثلاثة (الأفعال والأسماء والأدوات) بعضها مع بعض يمكن تكوين مئات من التعابير التى تغنى عن مئات من الكلمات .

وقد لقيت هذه المحاولة معارضات كثيرة جاء بعضها من داخل بريطانيا نفسها حين ، حاول بعضهم صياغة إحدى خطب تشرشل (وكان متحمسا لهذه المحاولة) فى صورة تلك اللغة المسماة بالانجليزية الأساسية ولكنه فشل فشلا ذريعا.

ثم قلدت المحاولة فى لغات أخرى فظهر ما يسمى بالأسبانية الأساسية والروسية الأساسية والصينية الأساسية ، كما ظهرت محاولات أخرى من مثل " اللغة اللاتينية بدون تصريفات " " واللغة العالمية الأمريكية الحديثة " وغيرها .

أما الشكل الثانى من أشكال اللغة العالمية فقد ظهر فى صورة لغات اصطناعية قام بتركيبها العلماء وهدفت إلى تحقيق جملة من المواصفات أهمها الخلو من الشذوذ واللامنطقية فى القواعد والتخلص من عيوب اللغات الطبيعية التى لا توجد بين ألفاظها ودلالاتها صلة طبيعية أو ذاتية ، وتيسير الهجاء عن طريق تمثيل الصوت الواحد برمز واحد وكتابة ما ينطق .

وظهرت محاولات كثيرة فى هذا السبيل وئد بعضها فى مهده ولم يجد أى إقبال من المتكلمين ، ولاقى بعضها رواجا محدودا مثل " اللغة العالمية " التى وضعها راسل سوما العالم اللغوى الأمريكى عام ١٩٥٧ وبناها على ألف كلمة لا تمت فى جذورها أو أصولها إلى أى لغة من لغات العالم وتتكون الكلمة فيها من مقطعين اثنين وتخلومن أداة للتعريف ومن صيغ للجموع وغير ذلك مما يسمها بالبساطة والسهولة .

أما أكثر هذه المحاولات نجاحا فكان ماعرف باسم " الإسبرانتو " وهى لغة وضعها طبيب عيون بولندى اسمه " لودفك زامنهوف " ونشر أسسها فى مطلع القرن العشرين . وقد تخفى أولا تحت الاسم المستعار " إسبرانتو " ثم أعلن عن اسمه حين كللت محاولته بالنجاح . وقد اعتمدت هذه اللغة فى تشكيلها على أربع لغات هى اللاتينية والإنجليزية والفرنسية والألمانية ولاقت رواجا كبيرا بين الأوربيين لسهولة تعلمهم لها لأن كثيرا من كلماتها ذو جذور شائعة فى اللغات الرومانسية .

وتتميز هذه اللغة كذلك بكتابتها الصوتية حيث إن كل كلماتها تكتب كما تنطق كما أن نحوها سهل ومطرد ، ويعتمد تمييز أنواع الكلمات فيها على نهايات معينة لكل من الأسماء والأفعال والصفات . كما أن الجمع مميز فيها بنهاية تصريفية محددة ، وفيها علامة تعريف واحدة ولا علامة فيها للتنكير . وأفعال هذه اللغة كلها قياسية مطردة ولكل منها شكل واحد لا يتغير بتغير الأشخاص أو الأعداد.

وقد اعتبرت دائرة المعرف البريطانية هذه اللغة أنجح لغةعالمية اصطناعية وقدرت (فى طبعتها عام ١٩٨٥) عدد المتكلمين بها بأكثر من مائة ألف شخص . واعترف بالإسبرانتو فى المجتمعات والمحافل الدولية ، ولأنصارها جمعية عالمية انضم إليها أعضاء من ثلاث وثمانين دولة ، ولهم أكثر من خمسين جمعية محلية كما أن هناك اثنتين وعشرين جمعية عالمية متخصصة

تستخدم الإسبرانتو ، وهناك أكثر من مائة دورية تصدر بهذه اللغة سنويا كما طبع بها أكثر من ثلاثين ألف كتاب . وأعلنت الجمعية البريطانية للتقدم العلمى ان الاسبرانتو خير لغة للأغراض العالمية .

ومع كل هذا النجاح لم تستطع الإسبرانتو - ولا غيرها من اللغات الاصطناعية - منافسة أقل اللغات الطبيعية انتشارا ، وتبين حتى لأنصارها عجزها عن الإيفاء بمطالب الحياة المختلفة والتعبير عن دقائق الفكر ومسائل الدين أو العلم أو الفلسفة . ولعل هذا هو السبب فى المحاولات الكثيرة التى قام بها أنصارها لإدخال تعديلات وتحسينات عليها حتى قبل وفاة واضعها .

ويظل - بعد كل هذا - موضوع اللغة العالمية حلما يراود خيال البشرية وأملا تطمح فى تحقيقه . وقد كشفت استطلاعات للرأى العام فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان والنرويج وهولندا وفنلندا وغيرها عن تفضيل الأغلبية لاستخدام لغة عالمية ، ولم تقل هذه الأغلبية عن السبعين وارتفعت فى بعض الاستطلاعات لتتجاوز الثمانين .

رابعاً: التحليل الأسلوبى

لست فى مجال التاريخ لنشأة علم الأسلوب فى العصر الحديث ، كما لست فى مجال التعريف بمناهجه المختلفة ، وإنما سأصب اهتمامى على نقطتين هما : علاقة الأسلوبية بعلم اللغة ، والأسس اللغوية الممكن استخدمها فى تحليل النص الأدبى .

لقد ارتبطت دعوة التحليل اللغوى للأدب بظهور دعاة الأدب من الداخل فى مطلع القرن العشرين . وهنا جاء علم اللغة وقدم للدرس الأدبى تقنياته الخاصة التى خلصته من الاتكال على العلوم من خارجه كعلم النفس والإجتماع والسياسة والدين، وأعطاه شيئا من الأستقلال الذاتى ، ذلك أن الأدب قوام اللغة الإنسانية ، وعلم اللغة هو فى الأساس الدراسة العلمية لهذه اللغة . وبذا بدأ التاريخ لولادة علم جديد يجمع بين النقد الأدبى واللغة ، كما بدأت مصطلحات علم اللغة تغزو لغة النقد الأدبى فقربت النقد اللغوى من علم اللغة ، وصار تحت اسم " الأسلوبية " أو " علم الأسلوب " فى مكان قريب من علم اللغة وإن تعددت وجهات النظر فى تحديد هذا المكان كما يبين من الاقتباسات الآتية :

١- ليس علم الأسلوب مجرد فرع من علم اللغة ولكنه فرع مواز يفحص اللغة ولكن من وجهة نظره هو .

٢- علم الأسلوب يتداخل مع علم اللغة الاجتماعى ، فكلاهما يحلل التنوعات المتبادلة بين اللغة و المجتمع .

٣- علم اللغة يهتم بالتنوعات اللغوية مثل التنوعات التعاقبية (التى ترتبط بفترة زمنية معينة) والتنوعات المحلية (التى ترتبط بمكان معين) والتنوعات الاجتماعية (التى ترتبط بطبقة اجتماعية معينة) . ولا شك أن الأسلوب واحد من هذه التنوعات .

٤- علم الأسلوب يمكن النظر إليه على أنه فرع من علم اللغة باعتباره فرعا يعالج خصائص النصوص الأدبية . كما يمكن النظر إليه باعتباره فرعا من الدراسات الأدبية التى ربما استخدمت المنهج اللغوى . ويمكن النظر إليه كذلك كعلم مستقل يختار مناهجه أحيانا من علم اللغة ، أو من الدراسات الأدبية .

٥- ربما كانت الدراسة الأسلوبية تدريبا يدخل فى نطاق علم اللغة ، ولكنه لا يلزم أن تكون كذلك لأنها ربما توجهت إلى تحليلات وأهداف خارج مجال علم اللغة .

٦- علم الأسلوب فرع من العلم يقع فى منطقة الحدود بين علم اللغة والدراسات الأدبية .

٧- علم اللغة فى تعامله مع النقد الأدبى أفرز الأسلوبية التى اعتنى بها النقاد المعاصرون .

٨- إن تطور علم اللغة فى ربع القرن الأخير وضع علم الأسلوب فى مكان المركز من علم اللغة .

وللخروج من متاهات الاختلاف ، ولتمييز الدراسة الأسلوبية التى تستخدم أدوات اللغوى عن غيرها ، وتستفيد من التقدم الكبير الذى حققه علم اللغة أصبح من الضرورى تخصيصها باسم مستقل لتمييزها عن غيرها ومن هنا ظهر المطلح علم الأسلوب اللغوىlinguistic stylistics أو علم اللغة الأسلوبى stylolinguistics ورغم هذه العلاقة الوثيقة بين علم الأسلوب وعلم اللغة ، ورغم أن كلا منهما يتخذ النص أساسا لدراسته فهناك أوجه خلاف بينهما سواء فى طريقة تحليل النص ، أو الهدف من هذا التحليل

*فوصف اللغوى تنبئى يمكنه من استنباط الحقائق اللغوية غير الواردة فى صلب المادة المدروسة ، ووصف الأسلوبى تصنيفى أكثر منه تنبئى ، وقيمته لا تعتمد على القدرة على إنتاج نصوص جديدة.

* وهدف اللغوى التوصل إلى قواعد تولد جملا وتعابير جديدة فى حين أن هدف الأسلوبى تبيين الملامح التى يتقاسمها نوع معين من الرسائل ، وكذلك الملامح التى يمكن أن تقسم هذا النوع إلى أقسام أخرى جزئية .

* واللغوى يجرى وراء الملامح العامة التى يشترك فيها أبناء اللغة أما عالم الأسلوب ، فيتتبع الإضافات الخاصة فى لغة الأديب ، إذا قورنت بلغة الشخص العادى ، مثل اشتمالها على وحدات مكررة بصورة غير مألوفة .

* واللغوى يضع المعيار ، أما الأسلوبى فيضع النص فى مواجهة المعيار.

وأعرض عليكم الآن نماذج من بعض التحليلات اللغوية التى أجريت على النصوص الأدبية ، وقد شملت معظم مستويات التحليل اللغوى ، وتبنى كثير منها المنهج الرياضى أو الإحصائى :

١- ربما كان من أبرز النماذج اللغوية لتحليل النص الأدبى المنهج الذى طرحه العالم الألمانى Busemann عام ١٩٢٥ وطبقه تلامذته من بعده مع تعديلات طفيفة ، وأجريت عليه اختبارات عديدة ، وما تزال تجرى حتى الآن .

لقد حاول هذا المنهج تحديد العلاقة بين الأحداث أو أجزاء الجملة الدالة على النشاط من جهة ، وأجزاء الجملة الدالة على الخصائص الكيفية والكمية من جهة أخرى . ثم طوره أتباعه من بعده وحولوه إلى تحديد العلاقة بين الأفعال والصفات الموجودة فى النص وفى رأيه هو وتلامذته أنه كلما زاد معدل : فعل – صفة فى النص (وهو حاصل قسمة عدد كلمات الفعل على عدد كلمات الصفة) كان ذلك دليلا على زيادة العاطفة وحدة الانفعال وأدبية النص ، والعكس بالعكس . وخرج بوزمان من تحليلاته بجملة نتائج منها :

* أن قوة الانفعال تزيد من معدل فعل – صفة .
* أن لغة الكلام تحوى معدلات أكبر من فعل – صفةعن لغة الكتابه .
* أن الأسلوب الأدبى يحوى معدلا أكبر من فعل – صفة عن الأسلوب العلمى.

• أن الفكرة أو الموضوع لا أثر لهما على معدل فعل - صفة . وقد قام Friederike Antosoch (١٩٦٩) بتطبيق نظرية بوزمان على عدد من المسرحيات وقارن شخصياتها بعضها ببعض ، كما قارن أشكالها المختلفة (مسرحية شعرية أو نثرية) بعضها ببعض ، ومستوى اللغة التى تقدم بها (فصحى أو عامية) وشكل هذا التقديم (مونولوج أو ديالوج) . وقام بمقارنة نتائج التحليل على أجناس أدبية أخرى وعلى بعض المؤلفات العلمية وجاءت نتائج التحاليل مؤيدة للفكرة التى طرحها بوزمان وتتلخص فيما يأتى :

١- زيادة معدل فعل - صفة فى الأعمال الدرامية عن الأعمال غير الدرامية .
(فى أحد النماذج كانت النسبة ٠٥, ٤ : ٦٩،١)
٢- زيادة معدل فعل - صفة فى المسرحية عن القصة .
(نسبة ٦،٢٠ :٣٩, ٣) .
٣-زيادة معدل فعل - صفة فى المسرحية النثرية عن المسرحية الشعرية.
٤- زيادة معدل فعل-صفة فىالنص المقدم بلهجةعامية عن المقدم بلغة فصحى .
٥- زيادة معدل فعل - صفة فى النص الشعرى عن النص النثرى .
٦- زيادة معدل فعل - صفة فى النص الأدبى عن النص العلمى .
٧- ارتباط معدل فعل - صفة بالنسبة لشخصيات المسرحية حسب :
أ- مواصفات الشخصية (السن - الجنس - نوع الشخصية - المستوى الثقافى).
ب- اللغة التى تتكلمها الشخصية .
جـ- الشكل الذى تقدم فيه اللغة (مونولوج - ديالوج) .
د- تصاعد الأحداث وتزايد التدخلات العاطفية العالية .

ويلاحظ ان العوامل السابقة قد تسير فى اتجاه واحد (نمو زيادة المعدل أونقصه) كما قد تتنازع الاتجاهين فتحيد الموقف أو تزيد فى أحد الاتجاهين ضد الآخر .
(انظر -the Diagnosis of Literary Style with the verb Adjective
(Ratio by Friderike Antosch ١٩٦٩

وقد استخدمت النظرية لقياس درجة الاستقرار العاطفي عند الأفراد ، والكشف عن العلاقة القوية بين زيادة المعدل والتصاق الشخصية بخصائص معينة مثل الحركية والعاطفية وانخفاض درجة الموضوعية ، والعقلانية ، وعدم توخى الدقة فى التعبير (انظر : سعد مصلوح : الأسلوب ص ٦١) . وقد قام الدكتور سعد مصلوح بتطبيق نظرية بوزمان على نصوص متنوعة فى اللغة العربية (أقسام من الأيام لطه حسين – مستقبل الثقافة فى مصر له – حياه قلم للعقاد – عدد من مسرحيات شوقى الشعرية والنثرية – رواية بعد الغروب لمحمد عبد الحليم عبد الله وميرامار لنجيب محفوظ) أيدت النتائج السابقة .

٣- إن الأسلوب كما قيل هو " ممارسة عملية لأدوات اللغة تنتفى عنها صفة العفوية " أو هو " موقف يتخذه المتكلم مما تعرضه عليه اللغة من شتى الوسائل "التعبيرية " ولهذا لا يمكن لدارس النص الأدبى أن يغفل الجانب اللغوى فى دراسته ، لأن النص الأدبى مجموعة وحدات لغوية منتقاة ، وجميع تركيباته خاضعة لظاهرة الاختيار سواء على مستوى الأصوات أو الألفاظ أو التراكيب . وقد يطغى أحد هذه المستويات على الآخر فى أهميته كما فى المستوى الصوتى الذى يكتسب أهمية خاصة فى النصوص المعدة أساسا للإلقاء ، او التلاوة ، أو الإنشاد ، ولكنها جميعا تتعاون لنقل الرسالة ، وإحداث التأثير المطلوب .

ويدخل فى إمكانات التحليل الصوتى معرفة الأصوات المسيطرة فى التركيب (شديدة أو رخوة ، مجهورة أومهموسة ، مفخمة أو مرققة ، أنفية أو فموية ، وغير ذلك) وتكرار بعض الأصوات لغرض موسيقى ، ودرجة الانسجام أو التناغم بين أصوات النص ، ونظام السواكن أو الحركات فى النص ، ونوع الحركة المسيطر (أمامية أو خلفية ، ضيقة ، واسعة ، نصف ضيقة) ، واكتشاف التأثير الموسيقى العام فى النص وربط أثره بالمعنى ، وقياس تنبه السامع أو القارىء إلى هذه الخصائص الصوتية ، واكتشاف أى علاقة عامة أو طبيعية بين أنواع الأصوات بعضها مع بعض ، وتحليل الوزن الشعرى ،

والإيقاع والقافية وخصائص أصواتها ، وكيفية استخدام النبر والتنغيم ، وأطوال المقاطع ، وماذا يشغل قاعدتها أو قمتها ، وقطار المقاطع والانتقال من مقطع إلى آخر ، والاحتمالات الممكنة لتجمعات السواكن وتأثيرها الأسلوبي وغير ذلك .

ومن الدراسات المفيدة التي تمت على مستوى الأصوات دراسة الإيقاع الصوتي لنص الانجيل العبري ، التي قدمها البروفسر Louio Finkelstein والتي خلع فيها على أصوات اللغة دلالات معينة مثل الخشونة ، والعمق ، والصلابة ، والصرامة ، والجفاف ، والامتعاض ، والتصميم ، والغضب ، والنشاط ، والهدوء وربطها بمواقف معينة تدل على الانفعال العميق ، أو الغضب المهتاج ، أو الجفاف ، أو العذوبه والعطاء ، أو الرقة واللطف ، أو الفجائية ، أو الحزن والحداد ، أو الشفقة .

ويدخل في إمكانات التحليل اللغوي على مستوى الألفاظ والمفردات جانبان ، أحدهما جانب الشكل أو الصيغة ، والآخر جانب المادة المرتبط بالمعنى المعجمي.

فمن الأول دراسة الدكتور شكري عياد لصيغ التفضيل في شعر المتنبي واعتماده في دراسته على الإحصاء المقارن لهذه الصيغة . واستنتج أن المتنبي من الشعراء الذين أكثروا من استعمال هذه الصيغة ، وأن ذلك يشكل ظاهرة تتوقف على طريقة الشاعر أكثر مما تتوقف على عصره . ثم درس بعد ذلك كيفية توزيع هذه الصيغة في أقسام قصائد المتنبي ، فلاحظ كثرة استعمالها في المطلع وقلتها في السيفيات واقترانها بالحكم . واستنتج أن الجامع بين هذه الظواهر الثلاث هو التجريد .

ومنه كذلك الدراسات التي تمت على أطوال الكلمات ونسب توزيعها في كتابات متعددة لكتاب مختلفين ، لمعرفة إلى أي مدى يحتفظ كل مؤلف بتوزيع معين .وكذلك الدراسة التي قام بها werner winter على أطوال الكلمات في الروسية وقام فيها بتحليل عينات من نصوص متنوعة لكتاب من القرنين الأخيرين . وقد وجد أن الكتابات العلمية والصحفية اشتملت على تردد نسبي عال

للكلمات الطويلة ، فى حين أن أمثلة الديالوج قدهبطت فيها النسبة إلى أقل قدر مسجل .

اما جانب المادة المرتبط بالمعنى العجمى فقد أمكن استغلاله بصورة أفضل عن طريق استخلاص " الكلمات المفاتيح " لكاتب ما وربطها بحقولها الدلالية . ونعنى بالكلمات المفاتيح تلك الكلمات التى تتردد فى نص بمعدل أعلى من ترددها فى اللغة العادية (وهى غير كلمات الموضوعات التى تتكرر طبقا لطبيعة الموضوع ، كما أنها غير الكلمات الوظيفية التى تتردد بصورة متقاربة عند كل الناس مثل الأدوات) . وقد اعتبر Epstein فى كتابه Language and style أن تردد أى كلمة أكثر من ٥٠ مرة يعطيها بروزا خاصا . ومن خلال هذه الكلمات المفتاحية يمكن تحليل البنية الداخلية للعمل اللغوى ، والوصول إلى إشارات دالة على عقلية المؤلف أو هواجسه الداخلية ، كما يمكن استنتاج قيم مجتمع ما . ومن أمثله ذلك ما يمكن استنتاجه من ترتيب ألفاظ الألوان عند نازك الملائكة،فقد احتل الأسود عندها رأس القائمة حيث تردد اثنتين وخمسين مرة، تلاه الأبيض بفارق كبير حيث تردد أربعا وثلاثين مرة، ثم الأحمر ثلاثا وثلاثين.

أما التحليل اللغوى للنص على مستوى التراكيب والجمل فيعتبره بعضهم أهم صور التحليل . بل أكثر من هذا يقصر Hayes فى بحثه A study in prose: styles دراسة الأسلوب على تركيب الجمل (ص٨١) وعلى الجانب الآخر نجد بعض الباحثين يقلل من أهمية هذا المستوى للتحليل اللغوى زاعما أن النظام النحوى لأى لغة يجعل عدد البدائل التى ينبغى الاختيار من بينها محدودا بشكل واضح . وقد استخدم Hayes فى تحليله لنثر Edward Gibbon وErnest Hemingway نموذج تشومسكي للنحوالتوليدى ووصفه بأنه " يملك القدرة على أن يمدنا بوصف تركيبى عميق لكل جملة " ، و " بأنه ذو قوة " ، و " أداة مفيدة لتحليل الأسلوب الأدبى " .

ويرى صاحب المقال أن التحويلات التى يستخدمها كاتب لشرح محتوى معين تعد جزءا هامامن أسلوبه . وهذا مبنى على أن الكتاب والمتكلمين يستخدمون نماذج للجملة مختلفة ومتعددة لشرح محتوى واحد ، مستغلين الاختيارات المتاحة لهم بالنسبة لكل موقف . فمن الممكن التعبير عن ضرب جون للكرة بجملة مبنية للمجهول :

The ball was hit by John أو بأخرى مبنية للمعلوم :

. John hit the ball والمفاضلة بينهما مجرد اختيار لغوى ، وايثار لقاعدة تحويلية على الأخرى ، وهو اختيار بين بدائل تقدمها اللغة .

كما أن من الممكن تحويل أى جملة فى أية لغة إلى عدد من الجمل " النواة " التى تتميز بشكلها البسيط . ومن الممكن كذلك بناء مجموعة من الجمل المختلفة على الجمل النواة بإدخال عناصر دلالية جديدة على كل ، مما يؤدى إلى تعديل الدلالة .

ويمكن للدراسة التحويلية ألا تكتفى بفك الجمل إلى مكوناتها الأساسية ، وتحديد أنواع التحويلات النحوية المستعملة لتكوين الجملة النصية الأخيرة ، بل تضيف إلى ذلك تحليلات لبعض الجوانب الأخرى مثل مواقع الصفات (خبر - حال - نعت) ، والتقديم والتأخير ، والاعتراض أو الزيادة ، وإحلال الصفة محل الموصوف .. إلخ

ومن الدراسة التحليلة النحوية التى تمت على اللغة الألمانية دراسة تردد الفاعل فى الموقع الأول فى الجملة . وقد تبين من الإحصاء وجود فارق فىالنسبة بين لغة الشخصيات المسرحية ولغة العلم . فقد بلغت نسبة وقوع الفاعل أولا فى النوع الأول ما بين ٦, ٧٣ و٢, ٧٩فى حين بلغت نسبة النوع الثانى ما بين ٢, ٥٤ و ٥, ٦٣ .

وهناك دراسة ثالثة أجريت على تنوع طول الجملة (أى عدد الكلمات بين كل نقطتى توقف كامل) . وقد أجرى بعضهم الدراسة على مؤلف واحد فى

أكثر من فترة من فترات عمره ليرى هل اختلاف العمر يتخذ طابعا أسلوبيا متميزا أولا .وقدأجرى Buch هذه الدراسة على مؤلف دانمركى ، وأخذ عينتين متطابقتين فى عدد الجمل ولكن بينهما ربع قرن من الزمان . وقد تبين أن العينة الأولى (عام ١٩١٥) بلغ عدد كلماتها ٢١٨٢١ كلمة فى حين أن العينة الثانية (عام ١٩٤٠) قد بلغ عدد كلماتها ١٧٨٠٢ كلمة . واستنتج من هذا " أن أسلوب المؤلف يتعرض لتغيرات عظيمة بمرور الوقت " .

وهناك دراسات إحصائية أجريت على نسبة الأسماء للأفعال فى أسلوب كاتب ما . ويكون الأسلوب اسميا إذا مال إلى تفضيل استخدام الأسماء على الأفعال ، وفعليا إذا مال إلى العكس . ولهذا أهمية كبيرة عند من يربطون بين زيادة الاسمية والرتابة وفقد الحيوية ، وبين زيادة الفعلية والاتجاه إلى التجديدوالتنويع والحركية والوضوح .

وهناك مجال تبدو فية إمكانات الاختيار لا حد لها ، وهو مجال التعبيرات والتراكيب المجازية والتصويرية ،و إمكانات التحليل اللغوى لهذه التراكيب كثيرة ومتنوعة مثل تحليلها على أساس مكوناتها اللفظية واستخدام خاصية نقل النعت من مجال إلى آخر ، ونوعية كل من طرفى التشبيه عل أساس الحس أو التجريد وقياس درجة حيوية الاستعارة أو خمودها أو غموضهاأو تحولها إلى رمز ....

***

وأخيرا أقول إن ما قدمه اللغويون من أمثلة ونماذج للتحليل اللغوى للنص ينبغى ألايكون خاتمة المطاف عند دارس الأسلوب ، إذ عليه أن يتجاوز ذلك إلى محاولة تفسير هذه التحليلات ، واستخلاص دلالتها الجمالية ،وقيمتها الفنية ، وبيان أثرها فى البنية الأدبية للنص .

ولايصح أن ننسى أن الدراسة الأسلوبية تقع على الحدود الفاصلة بين علم اللغة وفن الأدب وبهذا فلن يبوح النص بكل أسراره بأدوات البحث اللغوى البحت.

خامساً: الإحصاء اللغوى الحاسوبى

عرف الإحصاء طريقه إلى الدراسة اللغوية منذ نشأتها ، وقد قام الخليل ابن أحمد بأول محاولة من نوعها لإحصاء كلمات اللغة العربية باستخدام نظريتى التوافيق والتباديل لجميع الأحرف الهجائية بالنسبة لأحجام الكلمات المعروفة فى اللغة العربية وهى الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى مما أنتج فى الثنائى ٧٥٦ احتمالا (حاصل ضرب ٢٨ × ٢٧) ،وفى الثلاثى ١٩٦٥٦ احتمالا (حاصل ضرب ٢٨ × ٢٧ × ٢٦) ، وفى الرباعى ٤٩١٤٠٠ احتمال (حاصل ضرب ٢٨ × ٢٧ × ٢٦ ×٢٥) ، وفى الخماسى١١ , ٧٩٣٦٠٠ (حاصل ضرب ٢٨ × ٢٧ × ٢٦ × ٢٥ × ٢٤) . كما أن تجمع أحرف أى كلمة فى الثلاثى أنتج عنده ست صور ، وفى الرباعى ٢٤ صورة ، وفى الخماسى ١٢٠ صورة .

ولكن الجديد فى العصر الحديث تمثل فى التوسع فى القيام بالإحصاء اللغوى ، نتيجة الاستعانة بالحاسوب مما أصبح يدخل تحت ما يسمى بالمعالجة الآلية للغة ، وصار أحد المجالات التطبيقية الهامة لما يسمى بعلم اللغة الحاسوبى.

وقد اقتحم العرب مجال الإحصاء اللغوى الحاسوبى منذ السبعينيات ، وعقدت المؤتمرات والندوات العالمية والعربية ، كان من أهمها المؤتمر الثانى حول اللغويات الحسابية العربية الذى عقد بالكويت عام ١٩٨٩ ، وسبقه الملتقى الرابع للسانيات العربية والإعلامية بتونس الذى ناقش بحوثا مثل :

١- تدريس العربية لغير الناطقين بها بواسطة الكمبيوتر.
٢- نظام اشتقاق الكلمة العربية بالحاسب .
٣- المعالجة الآلية للكلمات والنص فىالأعمال المصطلحية .
٤- نظام اشتقاق الكلمة العربية بالحاسب .
٥- المعالجة الآلية لأوزان الشعر العربى .

كما يعد على رأس المشتغلين بحوسبة الدراسات اللغوية العربية الدكتور نبيل على الذى قدم عدة أعمال رائدة على رأسها كتابه : اللغة العربية والحاسوب ، وبحثه : ميكنة المعجم العربى باستخدام المعالج الصرفى الآلى ، وبحثه : الجيل الخامس ومعالجة اللغة العربية آليا ، وبحثه : الفهم الأوتوماتى للعربية غير المشكولة .

ومن أهم البحوث التى تناولت الموضوع – إلى جانب ما سبق – مايأتى :

١– العلاج الآلى للنصوص العربية للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح .

٢– ثلاثة إشكالات فى حوسبة المعجم العربى للدكتور عبد القادر الفاسى الفهرى .

٣– التحليل الإحصائى لأصوات اللغة العربية للدكتور محمد على الخولى .

٤– الإطار الآلى للمعالجة الآلية للغة العربية للدكتور على فرغلى .

٥– المعاجم فى الترجمة الآلية للدكتور محمود إسماعيل صينى .

٦– المعجم الإكترونى للغة العربية للدكتور محمد الحناش .

٧– معالجة اللغة العربية بالحاسوب للدكتور محمد حشيش .

وهناك عدة جهات فى العالم العربى تولى أهمية كبيرة لمثل هذا النوع من الدراسات منها :

١– الجمعية المصرية للحاسب الآلى التى تقوم – بالتعاون مع مركز أماك بصحيفة الأهرام – بتنفيذ مشروع بحثى متكامل عن اللغويات الحاسبية العربية يشتمل على أربعة مكونات هى : الذخيرة العربية ، والتعامل مع ما يقرب من أربعة آلاف وخمسمائة جذر من الجذور الشائعة وقواعدها ، وتحليل الأصوات ، والتعرف على الكلمات المكتوبة بخط اليد .

٢– المعهد العالى للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا بدمشق الذى أعد أو أشرف على عدد من البحوث منها :

أ- تعليم النحو والصرف بمساعدة الحاسوب .

ب- النظام الصرفى النحوى للعربية بالحاسب .

جـ- المعجم الحاسوبى فى نظام خبير للغة العربية .

د- نظام اشتقاق الكلمة العربية بالحاسب .

هـ- الأفعال العربية فى المعجم الحاسوبى .

٣- الشركة العالمية لبرامج الحاسب الآلى التى تتخذ مقرا لها بمدينة القاهرة وتقوم . بإنجاز عدد من المشروعات الحاسوبية العربية الهامة مثل :

أ- المكنز الآلي أو قاعدة بيانات المادة المعجمية العربية .

ب- المحلل الصرفى الآلى .

جـ- المحلل الإملائى الآلى .

د- قراءة النص العربى غير المشكول آليا .

وربما كان من أهم الأعمال التى تحتاج إلى وقفة لعرضها إحصاءات الكومبيوتر لجذور اللغة العربية التى قام بها الدكتور على حلمى موسى ، ونتحدث عنها فى إيجاز فيما يأتى :

من الأعمال الخالدة التى قامت بها دولة الكويت ، وتفخر بها جامعتها الدراسة الإحصائية التى قام بها الأستاذ الدكتور على حلمى موسى (١) أستاذ الفيزياء النظرية (سابقا) بكلية العلوم - جامعة الكويت .

وهى دراسة إحصائية لجذور مفردات اللغة العربية وحروفها الداخلة فى تركيب هذه الجذور . وقد ظهرت هذه الدراسة فى أربعة أجزاء يتناول الجزء الأول منها الجذور الثلاثية فى صحاح الجوهرى ، والثانى الجذور غير الثلاثية فيه ، والثالث جذور معجم لسان العرب لابن منظور ، والرابع جذور تاج العروس للزبيدى .



(١) اشترك معه فى الجزء الرابع الدكتور عبد الصبور شاهين

وقد أجريت هذه الدراسات والإحصاءات عن طريق استخدام الأجهزة الحاسبة الاكترونية ، أو الكومبيوتر ، وكانت المرة الأولى التى تجرى فيها مثل هذه الإحصاءات وبهذه الدقة المتناهية . وقد قدم لنا الكومبيوتر لأول مرة إحصاءات عن كلمات اللغة العربية لم تكن موجودة ، نظراً للجهد الكبير اللازم للحصول عليها بالطرق التقليدية . ولنأخذ علىَ سبيل المثال الجزء الثالث من هذه السلسلة ، وهو الخاص بإحصائيات جذور معجم لسان العرب :

يقول المؤلف فى مقدمة دراسته : " أورد ابن منظور فى معجمه جذوراً تختلف من حيث عدد حروفها ، فمنها الثنائية وهى قليلة جداً ، ومنها الثلاثية وتمثل الغالبية ، وتليها الرباعية ، ثم الخماسية ، ويندر وجود السداسية وما فوقها. والجذور الثنائية يقل عددها عن العشرين ، أى أنها تمثل جزءاً من خمسمائة جزء من جذور معجم لسان العرب . وقد استبعدت هذه الجذور من الإحصائيات لهذا السبب ، بالإضافة إلى أن تأثيرها يقل كثيراً فى تتابع الحروف لا حتواء كل جذر على تتابع واحد . أما ما زاد على خمسة أحرف ، وهو يبلغ حوالى ست عشرة كلمة فهو – فى أغلب الأحوال – من أصل غير عربى . كما أنه يمثل نسبة ضئيلة جداً من مجموع كلمات المعجم ، لذا فقد رأيت استبعاد ذلك من الإحصائيات . وعلى ذلك أصبحت الدراسة مقتصرة على الجذور الثلاثية والرباعية والخماسية الواردة فى معجم لسان العرب ، وهى تمثل أكثر من ٩٩،٦٪ من جذور المعجم.

وقد بدأت جداول الدراسة بجدول يبين تردد كل حرف من حروف الجذور الثلاثية فى الموقع الأول والموقع الثانى والموقع الثالث ، ثم يعين مجموع مرات التردد والنسبة المئوية لهذا التردد .

فمثلاتردد حرف الراء هو :

٣٤٢ فى الموقع الأول

و ٤٢٣ في الموقع الثانى

و ٤٤٠ في الموقع الثالث

فيكون المجموع = ١٢٠٥ ونسبتها ٦،١٤٤٪.

ويليه جدول ثان يبين الترتيب التنازلى لتردد الحروف في كل موقع على حدة . وقد ظهر فى هذا الجدول حرف النون فى الموقع الأول فى أعلى القائمة حيث تردد ٣٩٧ مرة ، يليه حرف الواو الذى تردد ٣٥٦ مرة ، ثم الراء الذى تردد ٢٤٢ مرة ... وهكذا .

وظهر حرف الواو فى الموقع الثانى فى أعلى القائمة ٤٧٣ مرة ، يليه الراء ٤٢٣ مرة ، يليه الياء ٣٨٥ مرة ... وهكذا .

وظهر حرف الألف (وليس الهمزة) فى الموقع الثالث فى أعلى القائمة ، حيث تردد ٥٢٦ مرة ، يليه الراء ٤٤٠ مرة ، يليه الميم ٤٢٩ مرة ... وهكذا .

أما الجدولان الثالث والرابع فيبينان على التوالى :

أ- توزيع الجذور الثلاثية بالنسبة للحرفين الأول والثالث .

ب- توزيع الجذور الثلاثية بالنسبة للحرفين الأول والثانى .

ومن الجدول الثالث مثلاً نعرف :

أن الثاء وردت كأول ، والهمزة كثالث ٤ مرات .

ووردت كأول ، والباء كثالث ٩ مرات .

ووردت كأول ، والتاء كثالث ٥ مرات .

ووردت كأول ، والثاء كثالث مرتين .

ووردت كأول ، والجيم كثالث ٨ مرات .

وأنها لم ترد كأول مع واحد من الأحرف التالية كثالث : الحاء - الذال - الزاى - السين - الصاد - الضاد - الظاء - الكاف - الواو - الياء .

ومن الجدول الرابع نعرف أن :

الثاء وقعت كأول والهمزة كثان ٨ مرات ،

والباء كثان ١٠ مرات .

والتاء كثان ٥ مرات .

ولم ترد معها كثوان الأحرف التالية : الثاء – الذال – الزاى – السين – الشين – الصاد – الضاد – الظاء – الألف .

وقدم المؤلف للجذور الرباعية ثمانية جداول (من ٧–١٤) تتناول تردد الحروف والجذور وتتابع الحروف .

ومن الجدول السابع مثلاً نعرف أن حرف اللام يتردد كأول ٢٣ مرة

وكثان ٢٨٥ مرة

وكثالث ١٦١ مرة

وكرابع ٣٢٤ مرة

ومجموع تردده ٧٩٣ مرة

بنسبة ٧،٧٨ ٪ من مجموع حروف الجذور الرباعية .

وقدم للجذور الخماسية ثمانية جداول (من ١٥–٢٢) تتناول النواحى السابق الإشارة إليها .

وتلا ذلك جداول عامة متنوعة :

فالجدول الثالث والعشرون مثلاً يبين الترتيب التنازلى للحروف فى كل نوع من الجذور (ثلاثى – رباعى – خماسى) . ومنه نعرف أن الأحرف الستة الأولى الأكثر تردداً هى على النحو التالى :

الجذر الثلاثى		الجذر الرباعى		الجذر الخماسى	
ر	١٢٠٥	ر	١١٠٢	ن	١٠٣
ن	١١٣٥	ل	٧٩٣	ر	١٠١
م	١٠٨٢	ب	٧٥٤	ل	٨٤

ولترتيب الأحرف تنازليا خصص الجدول رقم ٢٥ ، ومنه يتبين أن أعلى الأحرف فى القائمة هى :

	ر	٢٤٠٨	مرة	بنسبة	٧،٨٨٣٪
يليها	ل	١٩٠٧	‘‘	‘‘	٦،٢٠٣٪
‘‘	ن	١٨٨٧	‘‘	‘‘	٦،١٣٨٪
‘‘	ب	١٨٢٥	‘‘	‘‘	٥،٩٣٧٪
‘‘	م	١٧٧٢	‘‘	‘‘	٥،٧٦٤٪
‘‘	ع	١٥٧٥	‘‘	‘‘	٥،١٢٣٪

وقدم المؤلف جداول أخرى لترتيب الأحرف الشديدة " الانفجارية " ترتيبا تنازليا والأحرف المائعة (المتوسطة) والرخوه (الاحتكاكية) . وقد غطى ذلك الجدول رقم ٢٦ . وخصص الجدوال السابع والعشرين لترتيب الأحرف المجهورة والأحرف المهموسة ترتيبا تنازليا . أما الجدول الثلاثون فقد خصصه للمقارنة بين معجمى اللسان والصحاح ، ومنه يتبين :

	لسان العرب	الصحاح
عدد الجذور الثلاثية	٦٥٣٨	٤٨١٤
عدد الجذور الرباعية	٢٥٤٨	٧٦٦
عدد الجذور الخماسية	١٨٧	٣٨
المجمـــوع	٩٢٧٣	٥٦١٨

فتكون نسبة زيادة اللسان على الصحاح ما يقرب من ٦٥ ٪ .

وعقد مقارنة أخرى بين اللسان والصحاح فى عدد مرات الحروف فى كل من الجذور الثلاثية والرباعية والخماسية ، وخصص لذلك الجدول رقم ٣١ .

أما سائر الجداول ، وهى من رقم ٣٢ إلى رقم ١١٤ فمقسمة إلى ثلاث مجموعات : المجموعة الأولى من ٣٢- ٥٩ ، وتعالج الجذور الثلاثية التى تبدأ بحرف معين ، مع البدء بالهمزة والانتهاء بالياء .

والمجموعة الثانية من ٦٠ – ٨٧، وتعالج الجذور الثلاثية التى تثنى بحرف معين ، مع البدء بالهمزة والانتهاء بالياء .

والمجموعة الثالثة من ٨٨–١١٤، وتعالج الجذور الثلاثية التى تنتهى بحرف معين مع البدء بالهمزة والانتهاء بالألف .

وقد يتساءل متسائل : ولكن ما قيمة هذه الإحصاءات ؟ وماذ تحقق من نتائج ؟ والحقيقة أنها ذات قيمة كبيرة ، وقد حققت نتائج هامة وكثيرة منها :

١– فهى أولاً توفر جهد سنوات من العمل الشاق ، وتقدم لأول مرة صورة كاملة لنسج الكلمة العربية فى جداول ميسرة ، يمكن بنظرة سريعة استخلاص كثير من النتائج منها .

٢– أنها تساعد علماء البلاغة فى تحديد شروط الفصاحة التى من بينها خلو الكلمة من تنافر الحروف . وهم قد ذكروا التنافر دون أن يضعوا لذلك ضابطاً محدداً ، ودون أن يقوم واحد منهم بإحصاء دقيق ، اللهم إلا بعض أمثلة قليلة ، ونماذج معدودة . ومن الممكن الاستعانة بالجداول فى وضع احتمالات لترتيب التجمعات الثلاثية حسب المخارج أو المجموعات المختلفة (حلق – فم – شفة) أو (شفة – فم – حلق) لنرى مدى صحة ما قاله البلاغيون عن أن سبب التنافر هو قرب المخرج أو بعده . وهى قضية أثارها البلاغيون فى نقاش عقلى دون أن يدعموا آراءهم بالواقع اللغوى (١) .

---

(١)" يقول الرمانى فى رسالته : " النكت فى إعجاز القرآن " : " والسبب فى التلاؤم تعديل الحروف فى التأليف ، فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤماً . وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد ، وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر ، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشى المقيد ، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه ، وكلاهما صعب على اللسان ... " .

ويقول ابن سنان الخفاجى فى كتابه " سر الفصاحة " : " لا أرى التنافر بعد ما بين مخارج الحروف وإنما هو فى القرب . ويدل على صحة ذلك الاعتبار كلمة (ألم) فهى غير متنافرة ، وهى مع ذلك مبنية من حروف متباعدة المخارج – لأن الهمزة من أقصى الحلق والميم من الشفتين واللام متوسطة بينهما . وعلى مذهبه كان يجب أن يكون هذا التأليف متنافراً لأنه على غاية ما يمكن من البعد ... ومتى اعتبرت جميع الأمثلة لم تر للبعد الشديد وجهاً فى التنافر على ما ذكره ..." .

وتثبت النظرة الأولى على الإحصاءات أن كل مجموعة مـن المجموعـات الآتيـة نادراً ما تتتالى حروفها مع بعضها البعض :

أ - أ - ح - خ - ع - غ - هـ .

ب - ج - غ - ق - ك .

جـ - ب - ف - م .

د - ذ - ز - س - ص .

وتظهر الإحصاءات تتابع المجموعة الأخيرة على النحو التالى :

	ذ	ز	س	ش
ذ	١٧	–	١	–
ز	١	١٩	–	–
س	٤	–	٢٠	–
ص	١	١	–	١٩

ومنها يتضح أن تتابع الحرف مع نفسه كثير ، ولكن يندر تتابعه مع فرد آخر من أفراد المجموعة . وقد يرجح هذا رأى من قال إن الصعوبة أو التنافر فـى قـرب المخرج لا بعده .

٣- صححت الإحصاءات بعض الأحكام الخاطئة التى وردت فى كلام القدمـاء ، ومن ذلك :

أ- ما قاله القدماء من أن نسبة المجهور إلى المهموس ٤:١ ولكن الجداول تثبـت أنها ٧:٣.

ب- ما قاله ابن منظور عن نسبة تردد بعض الحروف .

وهذه مقارنة بين ما أورده ابن منظور ، وما أخرجه الكومبيوتر من نتائج :

	الفئة الأولى	الفئة الثانية	الفئة الثالثة
تقسيم ابن منظور	أ-ل-م-هـ و-ى-ن	ر-ع-ف-ت ب-ك-د-س ق-ح-ج	ظ-غ-ط-ز ث-خ-ض-ش ص-ذ
نتائج الكومبيوتر	ر-ل-ن-ب م-ع-ق	د-ف-س-ج ح-هـ-ش-ك ط-و-خ	ز-أ-ت-ص ث-غ-أ-ى ض-ذ-ظ

ومنها يتضح أن ابن منظور لم يكن مصيباً في معظم نتائجه . ومما هو جدير بالملاحظة أن حرف الراء الذى هو أقوى الحروف العربية قد وضعه ابن منظور فى الفئة الثانية .

جـ- ما قاله بعضهم من أنه لا يجتمع حرفان متماثلان فى أول المادة ، أى لا يكونان فاء وعينا فى كلمة . ولكن ذلك تنقضه الاحصاءات التالية :

التجمع	عدد مرات وروده فى لسان العرب	عدد مرات وروده فى تاج العروس
ب + ب	٦ مرات	١٣ مرة
ت + ت	مرتان	٣ مرات
ج + ج	—	٣ مرات
د + د	٥ مرات	٦ مرات
ذ + ذ	مرة واحدة	٣ مرات
ر + ر	مرة واحدة	مرتان
ز + ز	مرة واحدة	٤ مرات
س + س	مرة واحدة	٧ مرات

ش + ش	مرة واحدة	٣ مرات
ص + ص	—	مرتان
ط + ط	—	مرة واحدة
ف + ف	—	مرة واحدة
ق + ق	٧ مرات	٦ مرات
ك + ك	—	مرة واحدة
ل + ل	—	مرة واحدة
م + م	مرة واحدة	٣ مرات
ن + ن	مرة واحدة	٤ مرات
هـ + هـ	—	مرة واحدة
و + و	مرة واحدة	مرة واحدة
ى + ى	مرة واحدة	مرة واحدة

٤- تمنح هذه الإحصاءات الثقة لبعض النظريات اللغوية الخاصة بتأصيل الكلمات العربية ، وتمييز الدخيل والمعرب فيها ، عن طريق حصر النماذج العربية ، واعتبار ما عداها غير عربى .

ومن ذلك قول القدماء :

أ- لابد أن تشتمل كل كلمة رباعية أو خماسية الأصل على حرف من أحرف الذلاقة (ر-ل-ن-ف-ب-م) ، ما عدا كلمة " عسجد " بمعنى ذهب .

ب- لا تقع نون وبعدها راء فى كلمة عربية ، فكلمة " نرجس " أعجمية .

جـ- لا تجتمع الجيم والقاف فى كلمة عربية الأصل ، ولذلك تعد كلمة " منجنيق" أعجمية .

د- لا تجتمع الجيم والصاد فى كلمة عربية الأصل ، ولذلك تعد كلمتا " جص " و" صولجان " مما اقترضه العرب .

هـ- لا تكون الزاى بعد دال فى كلمة عربية ، فكلمة " مهندز " كلمة أعجمية .

٥- أنها يمكن أن تساعد فى دراسة قوافى الشعر ، وتعليل تردد بعض القوافى وندرة بعضها الآخر فى الشعر العربى .

٦- أنها تبين توزيع الكلمات العربية بالنظر إلى عدد حروفها ، فنسبة ٨٥٪ من الكلمات المستعملة مكون من ثلاثة أحرف ، ونسبة ١٣،٦ ٪ مكون من أربعة أحرف . ولما كان عدد الجذور الثلاثية الممكنة فى اللغة العربية حسابياً هى $٢٨^{٣}$، وهو يساوى ٢١٩٥٢ جذراً وكان عدد المستعمل منها هو ٤٨١٤ كما فى الصحاح تكون النسبة ٢١،٩٣ من العدد المسموح به رياضياً ، أو ٦٥٣٨ كما فى اللسان تكون النسبة ٢٩،٧٨ ٪ من العدد المسموح به رياضياً ،أو ٧٥٩٧ كما فى تاج العروس تكون النسبة حوالى الثلث .

أما عدد الجذور الرباعية الممكنة فى اللغة العربية فتزيد على نصف المليون.وقد أورد الجوهرى فى الصحاح ٧٦٦ جذرا رباعيا فقط تمثل حوالى ١،٣ فى الألف من العدد المسموح به وأورد ابن منظور فى اللسان ٢٥٤٨ جذراً تمثل حوالى ٤ فى الألف من العدد المسموح به رياضياً

أما عدد الجذور الخماسية المسموح به رياضياً فهو يزيد على سبعة عشر مليوناً من الجذور وقد ورد فى الصحاح ٣٨جذراً خماسياً فقط بنسبة٦٧٤ ,.٪ (هكذا ورد فى إحصاءات الدكتور على حلمى موسى . وبمراجعة النسبة يتبين أنها تبلغ فقط ...٢٢٣٥,.٪أى حوالى اثنين من مليون).

٧- أنها تكشف عن أن الأماكن الأولى والأخيرة من الكلمة تملأ عادة بحروف من ذوات التردد العالى عامة .

٨- إذا راجعنا جداول التردد فى الواقع المختلفة نلاحظ أن الأماكن الخمسة الأولى تخص الأحرف التالية :

ر- ل - ن - ب -م

وهى تكاد تتطابق مع ما سماه ابن جنى بأحرف الذلاقة ، وهى الأحرف التى يسهل النطق بها فيما عدا أنه أضاف إليها حرف الفاء ، فى حين أن الحرف السادس فى الجداول هو العين .

٩- تؤكد الجداول أن أكثر الحروف تكراراً فى موقعين متتاليين هى الحروف :

ر - ل - ن - م

وهذه أيضاً هى أحرف الذلاقة ، وهى تؤيد التفسير السابق .

١٠- تظهر الجداول أن أحرف الذلاقة لا قيود عليها فى مجاورة الأحرف الأخرى إلا ما ندر :

فحرف الراء يدخل فى أى تتابع فى جميع الحروف الأخرى دون استثناء .

أما حرف اللام فمقيد بأنه لا يتبعه شين ، ولا يسبقة نون .

وأما حرف النون فمقيد بأنه لا يتبعه نون . ويجوز أن يسبقه أى حرف من الحروف العربية .

وأما حرف الباء فمقيد بأنه لا يتبعه ولا يسبقه راء ولا نون ولا فاء .

وأما حرف الفاء فمقيد بأنه لا يتبعه واو أوفاء أوباءولا يسبقه باءأو واو أو ميم .

وأما حرف الميم فمقيد بأنه لا يتبعه التوأمان الياء والفاء. ويمكن أن يسبق بأى حرف .

فإذا قارنا هذا بأحرف أخرى لا حظنا قيود الاستعمال الكثيرة :

أ - فمثلا حرف التاء مقيد بأنه :

لا يتبعه : ث ، ذ، ص ، ض ، ط ، ظ .

ولا يسبقه : ج ، د ، ذ ، ض ، ط ، ظ .

ب- وحرف الحاء مقيد بأنه :

لا يتبعه : أ ، خ ، ع ، غ ، هـ .

ولا يسبقه : ث ، خ ، ظ ، ع ، غ ، هـ .

جـ- وحرف الذال مقيد بأنه :

لا يتبعه : ت ، ث ، د ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ظ ، غ .

ولا يسبقه : ت ، ث ، د ، ز ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ى .

١١- تثبت الإحصاءات أن أكثر الأحرف ترددا في الموقع الأول بالنسبة للثلاثي هى :

ن ثم ر ثم و

بينما تثبت أن أكثر الأحرف ترددا في الموقع الأول بالنسبة للرباعى هى :

ع ثم ب ثم ق

مما يوضح اختلاف بدء الجذر في الحالتين اختلافا كبيرا .

١٢- وهناك ظاهرة تستحق النظر كذلك ، وهى أن حرف الميم يرد فى نهاية الجذر الرباعى بكثرة ، حتى إن عدد الجذور التى تنتهى بهذا الحرف تزيد على مجموع عدد الجذور التى يوجد بها فى المواقع الثلاثة الأولى .

وهذه ظاهرة تحتاج إلى دراسة لأنها تلفت النظر إلى احتمال ثلاثية هذه الأصول الرباعية أو دخولها تحت ما يعرف بظاهرة " التمييم " فى اللهجات العربية الجنوبية مقابل التنوين فى غيرها (١) .

١٣- أمكن عن طريق هذه الإحصاءات مقارنة حجم المادة فى كل من المعاجم الثلاثة : الصحاح ، واللسان ، وتاج العروس .

وهى على النحو التالى :

المعجم	الثلاثي	الرباعي	الخماسي	المجموع
الصحاح	٤٨١٤	٧٦٦	٣٨	٥٦١٨
اللسان	٦٥٣٨	٢٥٤٨	١٨٧	٩٢٧٣
تاج العروس	٧٥٩٧	٤٠٨١	٣٠٠	١١٩٧٨

---

(١) انظر فى هذه الظاهرة " فقه اللغة المقارن " للدكتور إبراهيم السامرائى ص ١٣٤.

ومن هذه المقارنه يتضح أن ما جاء فى اللسان يبلغ نحواً من ٧٥٪من جذور تاج العروس ، وما جاء فى الصحاح يمثل نحواً من ٥٠ ٪ منها .

ويتمثل تميز التاج فى الجذور الرباعية والخماسية حيث اشتمل فى كل على مثلى ما فى اللسان تقريباً.

١٤- لوحظ من دارسة الإحصاءات أن المجموعة الضعيفة التردد تضم بين أفرادها أصوات الإطباق الأربعة (ص-ض-ط-ظ) ، وتضم معها صوتى (خ-غ) وهما يفخمان فى بعض المواقع . ومعنى هذا أن اللغة لا تميل إلى الإكثار من استعمال الأصوات المفخمة .

١٥- أمكن تفسير بعض الظواهر اللغوية بالاستفادة من نماذج التجمعات الصوتية فى الكلمة العربية . ومن ذلك ظاهرة القلب المكانى التى يمكن تفسيرها على أساس " من اختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية فى اللغة العربية " . فالقلب يقع فى بعض الأمثلة ليحقق تتابعاً صوتياً أكثر اتساقاً مع النماذج المسموح بها أو الشائعة فى اللغة . وحينئذ تكون النماذج التوزيعية أو التركيب الفونولوجى للغة هى السبب فى حدوث القلب .

ومن أمثلة ذلك الفعلان " جذب " و " جبذ " . فنحن نفترض أن الأصل " جذب " ثم قلب إلى " جبذ " ليتسق مع النموذج الشائع :

ج- ذ فى الأول = ٨ مرات .

وذ - ب فى الآخر = ٥ مرات .

فى حين أن : ج - ب فى الأول = ١١ مرة .

وب - ذ فى الآخر = ٩ مرات .

وما زلنا ننتظر الكثير الكثير من هذه الإحصاءات .

سادساً: وسائل الاتصال غير اللفظية

لم تعالج وسائل الاتصال غير اللفظية معالجة علمية إلا منذ أوائل الخمسينيات من هذا القرن حينما نشر عالم الأنثروبولوجيا الأمريكى Birdwhistell دراسته العلمية التنظيمية عن حركات الجسم عام ١٩٥٢ فى كتاب بعنوان " مدخل الى علم الحركة الجسمية (١) ".

وتزامن ظهور هذا الكتاب مع أنشطة علمية أخرى قام بها علماء النفس والتحليل النفسى والاجتماع (٢) .

وقد كان المنطلق الذى بدأ منه Birdwhistell هو أن اللغة بوصفها نظاما ، لا تحدث منفردة ، وانما تصحبها عادة نظم أخرى منها الحركات الجسمية (٣). وقد قام بتحليل هذه الحركات الى مكوناتها الأساسية التى سماها " كينات " (قارن هذا بالمصطلح الصوتى : فونات) . ثم لاحظ أن هذه " الكينات " تتجمع فى وحدات أو كما قال " كينيمات " (قارن هذا بالمصطلح الصوتى فونيمات) . كما لاحظ أن هذه الحركات قد تتتابع فتأخذ شكل جملة ، أو حتى فقرة ،واستخلص من مجموع الحركات التى لاحظها ما بين خمسين وستين " كينا " ذات معنى ، تركز نحو ثلاثين منها فى منطقة الوجه والرأس (يشترك فيها الرأس والحاجب والعين والجفن والأنف والفم والشفة والذقن والخد) (٤).

وقد رد العلماء تأخر الاهتمام بدراسة الإشارات غير اللفظية فى العصر الحديث إلى جملة عوامل منها :

أولاً: الظن الخاطىء أن الوسائل غير اللفظية ذات أهمية ثانوية بالنسبة للوسائل اللفظية . وقد زال هذا الوهم بعد أن أثبت العلماء أن الإشارات غير

---

(١) المرجع ٤/٩٣ ، ١٦٧/١١ .

(٢) المرجع ١١/ ١٦٦ .

(٣) السابق / ١٦٨ .

(٤) المرجع ٤ / ٩٥ .

اللفظية تقف على قدم المساواة مع الإشارات اللفظية كناقلات أولية للمعانى(١).

بل منهم من رجح كفة الإشارات غير اللفظية ونسب إليها ما يقرب من ٦٥٪ من المعنى الاجتماعى للمحادثة أو الاتصال المباشر . وتطرف بعضهم فأعطى للإشارات غير اللفظية فى مجال التعبير عن الانفعالات والمشاعر ما يقرب من ٩٣٪ من التأثير الكلى للرسالة ، تاركا للكلمات ٧٪ فقط (٢) .

ثانياً: أما العامل الثانى الذى أخر الاهتمام بدراسة الإشارات غير اللفظية فقد كان الظن الخاطىء بعدم تقعيد هذه الإشارات حتى يمكن تعملها ، وبعجزها عن التعبير عن الأفكار المركبة أو الهامة ، وبكثرة ما تحويه من إشارات ولإيماءات تحول بين المرء وبين دراستها وحفظها ز وقد تبين أيضا فساد هذا الظن حيث أثبت العلماء أن الإشارات غير اللفظية لغة متكاملة ذات قواعد ، وأنها تكتسب بصورة فطرية ؛ أو تتعلم بصورة اجتماعية ، وأنها قابلة للدراسة والتحليل والتجميع على نمط يحدث بالنسبة للغة اللفظية (٣) .

ثالثاً: وهناك عامل ثالث ذو طبيعة منهجية ؛ إذ تقتضى دراسة الإشارات غير اللفظية تكرار رؤيتها وإعادة مشاهدتها حتى يمكن تحليلها بدقة . وقد كان هذا يشكل عائقا فى الماضى لتكلفته العالية . أما الآن بعد اختراع التصوير العادى والبطىء والتصوير بالسينما ، والتسجيل بالفيديو ، واستخدام جهاز عرض الشرائح فقد زالت العقبة المنهجية ، ولم يعد هناك تكلفة مادية عالية فى دراستها(٤).

---

(١) الرجع ٥ / ٨ ،٩ .

(٢) المرجع ١ / ١٠٩ ، ٥/٤ ، ٨ / ٧ .

(٣) المرجع ٥/٨ ، ١٠ .

(٤) السابق / ٨ ، ١١ .

ويمكن تقسيم وسائل الاتصال غير اللفظية قسمين هما :

١ – الوسائل الصوتية Vocalic غير اللفظية non- Verbal .

٢ – والوسائل غير الصوتية non- Vocalic .

أما الوسائل الصوتية غير اللفظيـة فتضـم الأصـوات المستقلة غير اللغويـة التـى يصدرهـا الإنسـان بوعـى أو بغير وعـى ، للتعبير عن حالـة من حالاتـه الداخلية ، كصوت التنفس ، أو الشخير ، أو الغطيط فى النـوم ، أو التجشؤ ، أو السـعال ، أو الدندنـة ،أو طقطقـة الأصـابع (١) . كمـا تضـم صـور التداخـلات الصوتية الوقتية فى تيار الكلام مثل الوقفات والتهتهة واللعثمـة وعثرات اللسـان والأصوات الحشوية (مثل : آه .. آم .. يعنى ..) (٢) .

لكن الأهم من هذا وذاك أنها تضـم الملامـح النطقيـة غـير التركيبيـة المصاحبـة للعلمية الكلامية ، والمشاركة لها فـى أداء الرسـالة ، والمسـتخدمة لتمييز نمـاذج الأصـوات ، مثـل النـبر ، والتنغيـم ، ودرجـة الصـوت ، ومعـدل سـرعته أو استمراريته ونوعيته ، ومدى ارتفاعه ، وهو ما يمكن اعتباره واقعـا فـى منطقـة وسط بين المجالين اللفظى وغير اللفظى .

ومن أمثلة النبر التمييزى نطـق الكلمـة الانجليزيـة permit بوضـع النـبر علـى المقطع الأول إذا كانت اسما ، وعلـى المقطـع الثـانى إذا كـانت فعـلا . والكلمـة العربية " ارم " بنبر المقطع الاول مع المذكر (ارم الكرة) والمقطـع الثـانى مـع المؤنث (ارمى الكرة) .

أما التنغيم فيمكن التمثيل له بكلمة " لا " التى إذا نطقت بنغمة هابطـة تكـون جملة تقريرية بمعنى : لا أوافق . وإذا نطقت صاعدة هابطة صاعدة تدل على دهشة أو اسـتنكار . وإذا نطقت صـاعدة هابطـة تكـون توكيديـة (٣) . كمـا يمكـن التمثيـل لـه بالجملـة : " السـاعة الخامسـة " التـى تـأتى إجابـة عـن سـؤال :

---

(١) المرجع ١ / ١٠٣ ، ١٠٤ . (٢) المرجع ١ / ١٠٨ ، ٥ / ١٣٣ .

(٣) المرجع ١٢/ ١٨٩ ، ٣١٥ .

متى تزورني ؟ فيمكن أن تنطق بنغمة الخبر : الساعة الخامسة ، أو بنغمة الاستفهام: الساعة الخامسة ؟

أما درجة الصوت فيعني بها التردد الأساسي للتصويت ، أو النوتة الموسيقية التي ينتجها الصوت (١) . ويتوقف هذا التردد على طول الوترين الصوتيين ، ووزنهما ، ودرجة توترهما . كما يتوقف على جملة من العوامل الأخرى من أهمها الانفعال .فالشخص الحزين أو الذاهل من الأقرب أن يستعمل درجة صوتية أخفض . والشخص الثائر أو المبتهج من الأقرب أن يستعمل درجة صوتية أعلى . ومن العوامل كذلك درجة اهتمام المتكلم ، ومحتوى كلامه (حقائقيا أو عاطفيا مثلا) (٢) .

أما معدل السرعة Tempo فيشير إلى عدد الأصوات المقذوف بها خلال وحدة زمنية معينة عادة ما تكون الثانية . ولمعدل السرعة أثر كبير على تحسين الاتصال .والوضوح أو الاستيعاب (أو كلاهما) يتناقص حينما يتجاوز المعدل ٣٠٠ كلمة في الدقيقة ، على الرغم من أن الأفراد يمكن أن يدربوا على استيعاب مادة تقدم بمعدلات أسرع . وحين يجيء معدل السرعة منخفضا أو أبطأ من المعتاد يفقد السامع اهتمامه بالشخص الذي يحاول الاتصال به ، وحين يجيء بمعدل عادي فإنه يحقق خاصة التعرف على الأصوات ، ويمكن من نقل المعاني بدون عوائق ، وحين يزيد على المعدل فعادة ما يعكس اهتياجا أو استثارة أو انفعالا . وكثيرا ما يتخذ معدل السرعة كمعيار للحكم على طلاقة الشخص اللغوية ، وعلى درجة تأثيره في الآخرين (٣) .

---

(١) يشبه ذلك بالضغط على مفاتيح البيانو . فحين يضغط العازف على (c) المتوسطة في البيانو فان وتر الـ(c) يتذبذب عند معدل ٢٥٦ مرة في الثانية . ومثل هذا يحدث للصوت البشري الذي ينتج نغمة (c) المتوسطة . وكل شخص يملك شكلا معينا من درجات الصوت يتردد أو يتكرر أكثر من غيره في كلامه العفوي (انظر المرجع ٥ / ١١٩ ، ١٢٠) .

(٢) المرجع ١ / ١٠٥ ، ٥ / ١٢٠ .

(٣) المرجع ١ / ١٠٥ ، ٥ / ١٢٠ ، ١٢١ .

أما نوعية الصوت Voice quality فتشير الى الملامح الصوتية التى تمكن السامع من تمييز صوت شخص عن شخص آخر . وهى ملامح لا تتكرر عند اثنين ، ولذا أطلق عليها بعضهم " البصمة الصوتية " . وتختلف هذه الملامح من شخص الى آخر نتيجة الاختلاف فى شكل وحجم التجاويف الأنفية والفموية ، وفى تركيب الحنجرة وحجم تجويفها ، وفى طريقة تحريك أعضاء النطق ، بالإضافة الى طول الوترين الصوتيين ، ووزنهما ، ودرجة توترهما . وكل هذه العوامل تستقر عند سن البلوغ ، وتظهر فى شكل خطوط بيانية عن طريق "الراسم الطيفى " تتجمع لتكوّن شكلا معينا ذا فردية مطلقة ، لا يستطيع الشخص إخفاءه أو تغييره . ويساعد فى تكوين النوعية الكلية للصوت ملامح أخرى مثل الأنفية وعدمها ، والنفسية والبحة ، والجشة ، والخشونة ، والحدة ، والانسياب ، والانكتام (١) ...

أما مدى ارتفاع الصوت فيعطى لمحات وقتية أو لحظية عن المتصل وشكل تفاعله مع الآخرين . " الوشوشة " مثلا صفة صوتية مميزة . وهى تعنى أن المتصل ينقل معلومات خاصة ، أو أنه يحصر رسالته فى منطقة محدودة جدا ، مستبعدا أولئك الذين يبعدون عن منطقته . وعكس هذا الصياح ، أو رفع الصوت الذى يدل على أن المتصل يوسع من مجال نظامه التواصلى(٢) . ويحدد ارتفاع الصوت عادة على مقياس متدرج يبدأ من ١٠ ديسيبل decible إلى ١١٠ ديسيبل . وإذا تجاوزت شدة الصوت ذلك يصبح مؤذيا ومزعجا (٣) . وإذا بلغ ١٤٠ ديسيبل يسبب ألما حادا (٤) .

---

(١) المرجع ٥ / ١٢١ ، ١٢٢ ، ٧ / ١ ، ٢ .

(٢) المرجع ١ / ١٠٨ .

(٣) المرجع ٥ / ١٨٨ ، ١٩٩ ، ١٢ / ٣١ .

(٤) توضع الوشوشة عند نقطة ١٠ ديسيبل ، والمحادثة العادية (على مسافة ٣ أقدام) عند نقطة ٦٥ ديسيبل ، وأصوات المرور فى شارع مزدحم عند ٦٨ ديسيبل (انظر المرجع ٥ / ١١٩) .

وأخيرا لا ننسى أن نشير إلى بعض الأمثلة الأخرى للأصوات النطقية غير اللفظية مثل طرقعة اللسان (وبخاصة عند السودانيين) ، والضحك بقصد السخرية ، والسعال لتنبيه شخص إلى خطأ وقع فيه (مثل تطرقه الى موضوع حساس) ، والنحنحة التى نستخدمها لتنبيه شخص إلى دخولنا غرفته واقتحامنا فراغه (١) .

وتأتى أهمية المفاتيح الصوتية السابقة من أنها تنتج نحوا من ٣٨ ٪ من الرسالة اللغوية ، وأنها يمكن أن تساعد فى تحديد نوع الانفعال بدقة ، كما يحدث فى الحياة العامة حين تسمع صوتا آتيا من بيت جارك دون أن تميز الكلمات ، ومع ذلك يمكنك أن تقرر ما اذا كان المتحدث يمزح أو يتشاجر ، أو كان الجار يقيم حفلا (٢) . كما أنها يمكن أن يكون لها تأثير إيجابى على المتلقى حين تستخدم باتقان ،أو تأثير سلبى حين يساء استخدامها . فإن درجة صوت بمعدل أقل من ٣ نغمات قد تعطى انطباعا بشك المتكلم أو عدم ثقته فى نفسه . وغلبة الصفة الأنفية ، أو النفسية على صوت المتكلم قد تقلل من قدرته على تبليغ المعلومات بوضوح (٣) . وقد أجرى العلماء عددا من التجارب لفصل الإشارات أو المفاتيح الصوتية عن المحتوى اللفظى ، وقياس مدى فاعلية الأولى . ومن هذه التجارب:

أولاً: محاولة استخدام نصوص غامضة لا تحمل معانى واضحة للسامع ، تنطق بطريقة تجعلها تحمل انفعالات معينة عن طريق تلوين الصوت ، واستخدام الإشارات الصوتية الملائمة .

وهناك تجربة ثانية قامت على أساس نطق المتكلم بكلمات ومقاطع لا معنى لها لتقليص أو محو دور المحتوى اللفظى ؛ مع استخدام الإشارات الصوتية الملائمة .

---

(١) المرجع ١ / ١٠٩ ، ١١٠ .
(٢) السابق /١١٠
(٣) المرجع ٥ / ١٢٣

ولكن أفضل هذه التجارب وأدقها وأكثرها علمية كانت تلك التى قامت على أساس نطق جمل بلغة لا يعرفها السامع ، ويطلب منه أن يخمن دلالاتها الانفعالية أو العاطفية عن طريق الإشارات أو المفاتيح الصوتية .

وقد اشترك فى إجراء هذه التجارب فريقان : فريق المتحدث ويضم عددا من الممثلين الأكفاء المدربين على الإلقاء ، وفريق السامع ويضم عددا من طلاب الجامعة وغيرهم .

وقد طلب من السامعين أن يقوموا بتوزيع الإشارات الصوتية التى يتلقونها على المشاعر الخمسة : الاحتقار - الغضب - الخوف - الحزن - اللامبالاة ، فجاءت نسبة الدقة فى التعرف على النحو التالى :

٨٨ ٪ اللامبالاة .

٨٤ ٪ الاحتقار .

٧٨٪ الغضب - الحزن .

٦٦٪الخوف .

وقد أثبتت جميع هذه التجارب مايأتى :

أولا : أن الاحتقار واللامبالاة احتلا أعلى القوائم فى نسبة التعرف عليها بدرجة عالية من الدقة .

ثانياً: أن الحب والخوف احتلا أسفل القوائم حيث ظهر أنهما يصعب تمييزهما بالاعتماد كلية على الإشارات الصوتية .

ثالثاً: أن بعض هذه الانفعالات كان يشتبه بالآخر بدرجة عالية . فقد خلط الخوف بالاهتياج تارة ، وبالتعاسة أخرى . واختلط الزهو بالرضا تارة وبالسعادة تارة أخرى .

رابعاً: أن هناك فروقا واضحة بين الأفراد فى قدرتهم على توصيل أنواع الانفعالات عن طريق الإشارات الصوتية ، أو فى قدرتهم على التعرف على

الانفعالات التى يعبر عنها الآخرون صوتيا ، وإن حاول العلماء زيادة درجة الحساسية عن طريق تدريبات خاصة (١) .

ولا تقف أهمية المفاتيح الصوتية عند مساهمتها فى نقل المعنى وأداء الرسالة اللغوية بل تتعدى ذلك بتدخلها فى الحكم على شخصية المتكلم ، وعلى مستواه الثقافى والاجتماعى ، ونوع المهنة التى يمارسها ، مما فتح الباب أمام التفكير فى إعداد تدريبات صوتية بقصد إحداث تغيير فى إدراك الآخرين لشخصية المتكلم . وقد بدأ العلماء اختبارات هذا النوع منذ بدأ استخدام الراديو ، بقصد التعرف على الملامح التى تجذب جمهور السامعين أو تنفرهم . واستمرت التجارب والدراسات نحوا من خمسين سنة ، وكان من أهم نتائجها .

أولاً: أن الصوت يحمل معلومات صحيحة عن داخل وخارج الشخصية ، وأن الملامح الصوتية كانت دقيقة الدلالة على الأبعاد الهامة للشخصية مثل الانطوائية أو الانبساطية ؛ السيطرة ، أو الخضوع ؛ الانفعالية أو الهدوء .

ثانياً: أن أكثر الصفات الشخصية قابلية للتنبؤ بها من سماع الأصوات هى : الجنس (ذكر – أنثى) والسن (شاب – عجوز) ، يليها صفات أخرى مثل التحمس أو الفتور ، النشاط أو الكسل ، الانفعالية أو الهدوء،العاطفية أو العقلية ، الاتزان أو السفاهة ، الاهتمام أو اللامبالاة ، العدوانية أو المسالمة .

ثالثاً: أن السامعين قد حكموا على من يستخدم تنوعا أكبر من درجة الصوت، أو معدلا أعلى من السرعة بالنشاط والحيوية ، ومن تغلب عليهم النغمات المستوية بالكسل والبرود وبطء الحركة والانسحاب من الحياة (٢). وحكموا على من تظهر صفة الأنفية فى حديثهم بالكسل والحمق وفقد الجاذبية .

أما الوسائل غير الصوتية فيدخل تحتها ثلاثة أشياء هى :

---

(١) المرجع ٥ / ١٢٤ – ١٢٨ .

(٢) المرجع ٥ / ١٣١ – ١٣٢ .

أولاً: المظهر الخارجي .

ثانياً: حركة ، أو حركات الجسم ، والبعد الجسدى بين الشخصين .

ثالثاً: حركة ، أو حركات عضو من أعضاء الجسم .

ولنبدأ بالمظهر الخارجي :

يعطى المظهر الخارجى للشخص معلومات ديموجرافية عنه تشمل الجنس والعمر والموطن كما أنه يلعب دورا هاما فى النظام العام للتواصل غير اللفظى ويخلق استجابات إيجابية أو سلبية عند الآخرين ، سواء كان بمفرده ، أو فى وجود إشارات لغوية أو غير لغوية أخرى (١) .

وقد قسم العلماء مفاتيح المظهر الخارجي الى ثلاثة أقسام :

* فمنها ما هو ثابت مثل عمر الشخص ، وجنسه ، وموطنه ، ومركزه الاجتماعى ، ووظيفته . وكذلك ما يميزه من صفات جسمية كالصلع ، وبياض الشعر ، وتجاعيد الوجه ، والسمنه أو النحافة ، ولون الجلد ، والعينين ..
* ومنها ما هو شبه ثابت ، وهو نوع أقل استقرارا ولكنه يظل ثابتا خلال فترة التفاعل الواحد . وتشمل مفاتيح هذا النوع ملامح مثل طول الشعر ، وطريقة تصفيفه ،ودرجة الاهتمام بأناقة المظهر .

ومثل هذا النوع من المفاتيح يحدد مفاهيم الشخص عن الجمال ، وطريقة تعامله مع الآخرين ، ومقدار طموحه .

* أما النوع الثالث فهو الوقتى أو اللحظى . ويتمثل فى تعبيرات الوجه السريعة الزوال مثل رفع الحاجب ، أو تحريك الشفتين ، أو المصمصة بهما ، أو إنزال العينين ، أو حك الذقن ، أو تمشيط اللحية بأطراف الأصابع ، أو النظر فى الساعة ، أو التلفت يمنة ويسرة .

---

(١) المرجع ١ / ١٣٢ ، ٤ / ٨٦ .

ومثل هذا النوع من المفاتيح يكشف عن الانفعالات الداخلية ، ويمكن أن يقرأ لمعرفة نوع تجاوب الشخص ، ومدى شعوره بالسآمة أو الاهتمام ، وإحساسه بالتصديق أو الشك ، واتجاهه نحو القبول أو الرفض .

ويمكن أن يتدخل الشخص لتغيير كثير من هذه المفاتيح سواء منها الثابت وشبه الثابت واللحظى ، كأن يرتدى شعرا مستعارا ، أو يصبغ شعره ، أو يخفى تجاعيد وجهه عن طريق الشد ، أو تجاعيد الرقبة عن طريق إيشارب أو كوفية أو بلوفر ذى رقبة عالية ، أو يستخدم أدوات التجميل ، أو يلبس نظارة سوداء لإخفاء الخطوط الموجودة حول العين أو يجرى عملية بلاستيكية للتجميل (١) . وقد سمى العلماء هذا النوع من التدخل بنظام التواصل الاصطناعى وأدخلوا فيه كل الأشياء التى يرتديها الشخص أو تتصل بجسمه من أجل تعديل مظهره (٢) .

وعادة ما يحكم الانسان على الشخص الغريب من خلال مظهره الخارجى، ويحدد على ضوء هذا الحكم مدى القرب منه ، أو البعد عنه . بل أكثر من هذا يخلع على هذا الغريب صفات شخصية قد تقرب أو تبعد عن الواقع .

وقد أثبتت الدراسة أن المظهر هام فى حفلات التعارف ، وفى قرارات الزواج . وكثيرا ما يتدخل المظهر غير المقبول فى عدم حدوث التقارب بين راغبى الزواج . وفى استبيان أجرى فى الولايات المتحدة عن الصفات ذات الأولوية فى الزواج (مثل المركز الاقتصادى – المنظر الحسن – السلطة – دين الأسرة – الأخلاق الصحة – الثقافة – الذكاء – السن ..) تبين أن الرجال يرفضون عادة المرأة التى يعيبها مظهرها .

ولا يختص الأمر بالولايات المتحدة فقد أجريت دراسات فى بلدان أخرى من العالم انتهت إلى أن الرجل يبحث عن المرأة الأجمل منه مظهرا ، وأن المرأة

---

(١) جاء فى أحد الاحصاءات أنه فى عام ١٩٧٥ قام أكثر من مليون أمريكى بإجراء عمليات جراحية من هذا النوع (انظر المرجع ٥ / ٦١٠) .

(٢) المرجع ١ / ١١٥ ، ١٣٢ ، ١٤٨ ، ٥ / ١٠٩ ، ١١٠ .

تميل نحو الرجل الذى لا يقل عنها فى جماله الجسدى . ومن بحث أجرى على نحو سبعمائة طالب جامعى أمريكى حضروا حفلا راقصا للطلاب الجدد تبين أن المظهر الخارجى والجاذبية الجسدية كانت أهم عامل فى تقبل الشخص أو رفضه من قرينه أو قرينته (١) . وهناك عبارة شهيرة تنسب الى شرلوك هولمز تقول : " من أظفار الشخص من كم سترته .. من حذائه .. من ثنية بنطلونه .. من شكل سبابته أو إبهامه .. من أسورة قميصه .. من أى شىء من هذه الأشياء وغيرها تعرف حقيقة الشخص وتوجهاته" (٢) .

وهناك أنماط للجسم قد وضعت فى شكل مقاييس ، عن طريق تحديدها يمكن تخمين صفات الشخص ، ومفاتيح شخصيته :

١- فالشخص السمين الجسم يصنف على أنه حسن الطوية ، ألوف ، كسول ، كثير الكلام . ويتوقع منه أن يكون دمث الخلق ، حنونا ، متعاطفا مع غيره ، يميل إلى موافقة الآخرين .

٢- والشخص الرياضى الجسم ، المفتول العضلات يصنف على أنه قوى ، معتمد على نفسه ، مغامر ، ناضج ، ويتوقع منه أن يكون نشيطا ، متنافسا ، أكثر طبيعية مع الآخرين .

٣- والشخص النحيف الطويل يصنف على أنه عصبى ، متشائم ، ويتوقع منه أن يكون متوترا ، متشككا ، متقلب المزاج منطوياعلى نفسه (٣) .

وهناك دراستان طريفتان أخريان تتعلقان بتأثير المظهر الخارجى على الآخرين :

أما **أولاهما** فتتعلق باستخدام الطالبات الجامعيات لعامل المظهر والجاذبية الخارجية كوسيلة تأثيرية على الأساتذة للحصول على درجات أعلى من درجات

---

(١) المرجع ٤ / ٦٦ - ٦٨ .
(٢) السابق / ٦٣ .
(٣) المرجع ١ / ١٣٢ ، ٥ / ١١٠ .

الطلاب .وقد أجريت التجربة على نحو مائتى طالبة مستجدة حصل الباحث على صورلهن ، وطلب من أربعين عضوا من أعضاء هيئة التدريس ترتيب الصور حسب المظهر والجاذبية . وحين قارن الباحث الترتيب الناتج مع معدل الدرجات وترتيب الطالبة فى الميلاد بين إخوتها وجد هناك علاقة موجبة بين ارتفاع معدل الدرجات وجاذبية الطالبة ، وكونها أكبر إخوتها . ثم تساءل الباحث: لماذا كان هذا صحيحا بالنسبة للطالبة الأولى فى أسرتها ؟ وأجاب بأن ذلك يرجع إلى أن البنت الأولى فى الميلاد تظهر نوعا من السلوك المظهرى الاستعراضى ، وتميل إلى الجلوس فى الصفوف الأولى ، وتأخذ مواعيد مستمرة للقاء الأساتذة فى ساعاتهم المكتبية ، مما يجعل الأساتذة يتذكرونهن بسهولة ويمالئونهن (١) .

وأما الأخرى فقد أجريت خلال الحملة الانتخابية فى الولايات المتحدة عام ١٩٦٠ بين كيندى ونكسون . وقد عزا المحللون انتصار كندى على خصمه إلى اللقاءات التلفزيونية التى تمت بينهما ، على الرغم من أن كيندى لم يكن حتى ذلك الوقت سوى " سناتور " غير مشهور ، فى حين كان نكسون نائبا للرئيس لمدة ثمانى سنوات .

وقد كانت استطلاعات الرأى – قبل الحوار التلفزيونى الأول – تظهر تفوق نكسون على كيندى ، ولكن بعد هذا الحوار الذى شاهده حوالى ١٧ مليون أمريكى أظهرت استطلاعات الرأى تقدم كيندى بدرجة بسيطة . ثم زاد تقدمه بعد ذلك حتى كسب المعركة الانتخابية .

ومن اللافت للنظر أن الذين سمعوا الحوار فى الراديو خرجوا بانطباع متعادل وربما فى صالح نكسون ، وكذلك الذين قرأوا الحوار بعد هذا فى الصحف قد خرجوا بنفس الانطباع . أما الذين شاهدوا الحوار التلفزيونى فقد وضعوا كيندى قبل منافسه .

---

(١) المرجع ٤ / ٦٤ .

وقد كانت الأسئلة المطروحة حينئذ : ما الذى غير انطباعات الناخبين ؟ ولماذا اختلف حكم المشاهدين عن السامعين والقارئين ؟ وماذا حملت الرسالة المرئية غير اللفظية من مرجعات ؟

لقد وصف جمهور المشاهدين الرجلين بصفات متساوية تتعلق بالبعد اللفظى ، مثل وضوح النطق ، والتركيز ، والإنصاف . ولكن بالنسبة لأبعاد أخرى غير لفظية كانت النتيجة مختلفة :

فبالنسبة لصفات الشخصية : وصف كيندى بأنه أكثر جاذبية مما كان متوقعا ، أكثر صداقة ، نشيط ، قوى ، نابض بالحياة ، متكلم على سجيته ، هادىء ، عميق ، مجرب ، حكيم ، مكتمل الرجولة .

أما نكسون فقد وصف بصفات عكسية مثل : ممل ، فاتر ، سلبى ، ضعيف غير مشوق ، متوتر ، ضحل ، قليل التجربة ، أحمق .

وبالنسبة للمفاتيح الثابتة للمظهر الخارجى وملامح الوجه : وصف كيندى بأنه وسيم يوحى وجهه بالاهتمام بالآخرين ، والتعاطف معهم .

في حين وصف نكسون بأنه سيىء المظهر (ربما لعدم ملاءمة ملابسه له بعد إنقاصه وزنه) ، ووصف وجهه بأنه يعطى انطباعا بالمشاعر الجامدة المرتبطة بالغضب .

وبالنسبة للمفاتيح اللحظية للمظهر الخارجى : كان مظهر كيندى يعطى انطباعا باللياقة البدنية ، وكان فى وقفته منتصبا ، ويشير بيده اليمنى ، ويحدد أفكاره بصورة قاطعة .

أما نكسون فكان يبدو مريضا مرهقا . وكان يقف على رجل واحدة (لوجود جرح فى ركبته) ، ويمسك المنصة بكلتا يديه . وكان يبدو متوترا ، والعرق يتصبب منه .

وكان كيندى يرتدى سترة داكنة ، ورباط عنق مناسبا ، وكلاهما يتقابل بوضوح مع خلفية المنظر . على عكس نيكسون الذى كان يرتدى سترة فاتحة ورباط عنق فاتحا . وكان كيندى أثناء استماعه لنكسون مشغولا بالخربشه بقلمه، هازا رأسه ، ومظهرا عدم الموافقة على ما يقوله نكسون .

فى حين كان نكسون يجلس قابضا على ركبته ، مومئا برأسه كأنه موافق على ما يقوله كيندى (١) .

وهكذا انتصر البعد غير اللفظى على البعد اللفظى ، وحدد نتيجة الانتخابات.

أما الوسيلة الثانية من الوسائل غير الصوتيه فهى حركة أو حركات الجسم ، والبعد الجسدى بين الشخصين . وتتميز هذه الوسيلة عن حركة عضو من أعضاء الجسم بما يأتى :

١- أن الوسيلة المستخدمة هى كامل الجسم ، أو عدد من أعضائه يتضمن نصف الجسم على الأقل .

٢- أنها قد تأخذ شكل الثبات أو توقيف الحركة لفترة ما فتشكل وضعا معينا position يستغرق عدة ثوان .وقد تأخذ شكل حركات متتابعة قابلة للملاحظة ببداية محددة ، ونهاية محددة ، وتضم مجموعة من الأوضاع المتسقة فى عملية التنويع .

٣- أن مقدار أجزاء الجسم المشتركة فى الاتصال ليس وحده المسئول عن تمييز هذه الوسيلة عن حركة عضو واحد ، فإن الوقت المستخدم فى الاتصال كذلك يعد عاملا هاما . فالإنسان ينتقل من حركة إلى أخرى بسرعة ، ولكن وضع الجسم يتحقق فى عدة ثوان ، وقد يحتاج إلى عدة دقائق (٢) .

---

(١) المرجع ١ / ١٧٢ - ١٧٥ .

(٢)المرجع ٥ / ٣٥ .

أما الرسالة التى تحملها هذه الوسيلة فتتنوع لتشمل ما يأتى :

أولاً : رسالة شخصية تتعلق بالشخص نفسه ، لا تتعداه للكشف عن اتجاهه نحو الآخرين ، ولا تقوم بوظيفة بين شخصية أو تفاعلية . وهذه يمكن قراءتها للتوصل إلى مكانة الشخص ، أو مدى حيويته ، أو ثقته بذاته ، أو لتحديد جنسه(١) .

وقد أثبتت الدراسة أن لكل جنس طريقته المعينة فى الحركة والجلوس والوقوف . فحركة النساء مثلا محدودة غير مفرطة (ربما لملابسهن الضيقة أو القصيرة ولأحذيتهن غير المريحة) ، ولا تشغل إلا جزءا قليلا من الفراغ (ربما نتيجة النقص فى نفوذهن الاجتماعى) . أما الرجال فيتجنبون الحركات الناعمة ، والإشارات المعينة التى تقلل أو تشكك فى رجولتهم (٢) .

ومعيار السلوك لكل جنس يحدد كذلك حركته ، ويقيدها أو يطلقها . فمن الممكن للرجل أن يجلس مائلا إلى الخلف كثيرا ، أو مادا رجليه إلى الأمام ، أو يحرك جزءه الأسفل دون خجل ، وهو ما يحظر على المرأة . ولهذا قال بعضهم إنه عن طريق ملاحظة الحركة وحدها يمكن فى الظلام وعن طريق ضوء خافت تمييز كل جنس عن الآخر (٣) .

كما أثبتت الدراسة أن حالة الشخص العاطفية ومزاجه كثيرا ما ينعكسان فى حركاته وسكناته . فحالة الإثارة العاطفية الحادة ترتبط بقدر كبير من حركات الجسم . وحالة الاكتئاب ترتبط بحركات قليلة من الرأس واليدين ولكن بحركات كثيرة من الأرجل (٤) .

ومن بعض الدراسات العلاجية : النفسية والسريرية تبين أن المريض قد يغطى وجهه بيديه حين يناقش أشياء يخجل من ذكرها ، وقد يقوم بحركات بجمع

---

(١) المرجع ٦ / ١١٩ .
(٢) السابق / ١٢٤.
(٣) السابق / ١٣٢ .
(٤) المرجع ٤ / ١٠٢ .

كفه أو يشبك أصابعه ، أو يعبث ببعض الأشياء الموجودة أمامه حين يكون مهتاجا أو فى حالة عصبية ، وقد يدلى يديه المفتوحتين بين رجليه حين يكون مصابا بالاحباط ، ويميل إلى الأمام وإلى أسفل(١) .

ثانياً: رسالة تفاعلية أو بين شخصية مستقلة بنفسها ، وذلك حين تقوم حركات الجسم بتسريب معلومات عن مدى علاقة الأشخاص بعضهم ببعض .

وقد ثبت أنه فى مواقف التفاعل البينى فإن الشخص يكيف نفسه بالنسبة للآخرين. فهو قد يقف فى مقابل شخص أو يقف دونه . يواجهه مباشرة أو يزور بجسده عنه . قد يميل إلى الأمام أو يستلقى إلى الخلف . قد يجلس منتصبا أو مسترخيا. قد يطوى ذراعيه وساقيه فى جلسه مشدودة متحفزة ، وقد يفتحهما فى وضع امتداد واسترخاء . كما ثبت بالملاحظة أن وضع الشخص يده فى خصره أثناء الكلام يكثر وقوعه من الأعلى حين يتحدث للأدنى ، وأن وضع الأيدى والأرجل فى حالة استرخاء يحدث عادة حينما يكون المخاطب أقل مكانة (٢) . كذلك لاحظ أحد الدارسين (Goffman) أنه فى لقاء بأحد المستشفيات ضم جميع العاملين به – كان الأفراد ذوو المكانه العالية يجلسون فى وضع استرخاء واضعين أقدامهم فوق الموائد ، وغائرين فى كراسيهم فى وضع استلقاء ، فى حين جلس الأقل مكانة بصورة أكثر رسمية ، معتدلين فى كراسيهم (٣) .

ومثل هذه الأوضاع قد تأخذ طابعا اجتماعيا ثقافيا ، ولذ تختلف من شعب إلى شعب ، ومن ثقافة إلى ثقافة . ففى ثقافات كثيرة ينحنى الصغير أمام الكبير ، أو [illegible]س عند قدمى الأعلى مقاما ، أو يتجنب الصغير أن يولى الكبير ظهره عند المغادرة ... وهكذا (٤) .

---

(١) المرجع ٤ / ١٠٢ .

(٢) المرجع ١ / ١٣٣ ، ٤ / ١٠ .

(٣) المرجع ٤/١٠١ .

(٤)المرجع ١٣٣/١

وقد تمت دراسة كثير من الحركات وربطها بدلالات أو مشاعر معينة . فدرجة الحب مثلا تنعكس فى جلسة الشخص وفى وضع كتفيه ورجليه . فحين يكون الحديث بين أشخاص متحابين جدا تكون جلستهم حرة غير خاضعة للتكيف، والعكس بالعكس .

وحين يراد طلب التأييد تصدر عن الشخص مجموعة من الإشارات تشمل الابتسام والإيماء بالرأس وتحريك اليد وغيرها . وحين يراد إدخال شخص فى الحديث أو إبعاده يأخذ الجسم اتجاها يفهم منه : "لسنا مستعدين لادخال آخرين " ، أو اتجاها يفهم منه : " أنا معك لست معه " (١) .

وقد قاس العلماء درجات الحيز أو الفراغ بين الشخصين وربطوها بفحوى الرسالة ، وبنمط التفاعل البينى . فأقرب مسافة إلى الشخص تسمى " الفراغ الخصوصى " وتتراوح بين التماس وحوالى ٤٠ سم . وهذا المجال خاص بالأسرار والأمور الشخصية التى لا يراد الجهر بها.ويلى ذلك " الفراغ المعتاد " الذى يرتبط بمعاملات الناس العادية ، ويتراوح بين ٤٠ سم و ١٢٠ سم ، ثم " الفراغ الاجتماعى " الذى يتعلق بالتعامل فى الأمور غير الشخصية ويتراوح بين ١٢٠ سم وثلاثة أمتار ونصف . وأخيرا يأتى " الفراغ العام " ، وهو المجال الذى يخاطب فيه المتكلم جمهورا كبيرا ويمتد من ثلاثة أمتار ونصف إلى مدى السماع (٢) .

ثالثاً: رسالة تفاعلية أو بين شخصية مصاحبة أو مواكبة لرسالة لفظية تأتى لتأييدها وإيضاحها . فحين يحاول الشخص ذلك يغير – أثناء الكلام – وضع رأسه وعينيه مع كل مجموعة من الجمل القليلة ، وربما أمال رأسه يمينا أو يساراً ، أو انحدر به إلى أسفل ، أو رفعه إلى أعلى . وقد يثنى رقبته أو يمدها ليتمكن من النظر إلى الأرض أو السقف .

---

(١) المرجع ٤ / ١٠٠ ، ١٠٣ . (٢) المرجع ١ / ١٥٠ ، ١٥١ .

ومثل هذا النوع من الحركات يقتضى تغييرا سريعا ، ومواءمة الحركات بعضها مع بعض ، ولا يعتبر من النوع الذى نتحدث عنه إلا إذا وقع كجزء من تجمع حركى مركب ، وتتابع ليأخذ شكل جملة . فإذا كان الشخص يتكلم عن العدوان أو الانتقام فمن الممكن أن يقرن كلامه بحركات تدل على ذلك كأن يمسك جمع كفه بإحكام ، ويغير ملامح وجهه ، ويلوح بيديه فى الهواء . وإذا أراد استثارة دموع الجماهير فإنه يقوم بإمرار يديه حول عينيه ، أو يخلع نظارته ويمسح عينيه بمنديله . وإذا أراد أن يظهر أنه لا يريد أن يرى مالا يرضاه فقد يقوم بتغطية عينيه بيديه أو يشيح بوجهه (١) . واذا كان الشخص يتحدث أمام جمهور كبير فإنه يستخدم معظم أعضاء جسمه أثناء التواصل : يأخذ جلسة معينة – يستعمل يديه – يميل إلى الأمام – يتجه إلى الوراء – يشير – يضرب بكفه المائدة – تتحرك يداه على إيقاع كلماته – يطوى ذراعيه – يقاطع بين ساقيه – يتحرك إلى الأمام أو الوراء (٢) .

وقد تصحب هذه الحركات حركات هندامية ، مثل تعديل رباط العنق ، أو رفع الجورب ، أو حركات دقيقة مثل الاتصال بالعين – الإيماء – الابتسام ، أو معدلات ذاتية مثل تسوية الشعر أو العض على الإصبع ، أو معدلات شيئية كاستعمال شيء موجود فى المكان واللعب به ، أو دقة ، أو الضغط عليه (٣) .

أما الوسيلة الثالثة من الوسائل غير الصوتية فهى استخدام عضو من أعضاء الجسم (غير جهازه النطقى) لإبلاغ الرسالة ، أو للمشاركة فى إبلاغها. وتتكون هذه الوسيلة من نظامين :

أولهما : النظام المرئى (ويتضمن أنظمة فرعية من الحركات) .

وثانيهما : النظام غير المرئى (ويدخل فيه الشم واللمس) (٤) .

---

(١) السابق / ١٣٧ ، ٤ / ٩٥ .
(٢) المرجع ١ / ١٣٢ .
(٣) السابق / ١٣٦ ، ١٣٧ .
(٤) المرجع ٥ / ١٤ .

وتضم هذه الوسيلة سبع مناطق ذات مغزى هى :

كامل الرأس - الوجه - الرقبة - منطقة الكتف والذراع - منطقة الكف - منطقة الرجل والساق - منطقة القدم .

وتعد مناطق الرجل والساق والقدم قليلة الأهمية ، لأنه نادرا ما يمكن رؤيتها(١) ، أما باقى المناطق فيمكن دمجها فى منطقتين اثنتين هما :

أولاً: منطقة الرأس والوجه (الأخير بأجزائه التعبيرية المتعددة كالجبين ، والعينين ، والحاجبين ، والفم ، والأنف) .

ثانياً: منطقة اليدين (بأجزائهما التعبيرية المتعددة كالكفين والأصابع والأنامل). ويعتبر العلماء هاتين المنطقتين - بأجزائهما المتعددة - أهم الأدوات المستخدمة أثناء الاتصال ، أو لتحقيق الاتصال:

فهى أولا التى تزودنا بتدفقات من الإشارات والمنظمات التى تضمن امتداد الاتصال ، وتمكن كل مشارك من الحكم على كيفية استمرار التفاعل . وهذه الإشارات أو الأدوات التنظيمية يقوم كل أعضاء الثقافة المعينة باستخدامها بإتقان، بوعى أو بدون وعى .

كما أنها ثانيا تعد وسيلة هامه لتزويد أبناء الثقافة الواحدة بالشعارات أو الرموز المتفق عليها مثل حركة الإبهام (إشارة إلى طلب التوصيل فى الطريق) وعلامة النصر (التى ترسم بإصبعين على شكل V) . وهذا النوع من الشعارات يمكن ترجمته بجملة أو عبارة ، كما يمكن فهمه منفردا أو مقترنا برمز نطقى . وهو من النوع المكتسب الذى يتعلمه أبناء الثقافة الواحدة كما يتعلمون اللغة المنطوقة . وعادة ما يكون استخدامه عن وعى وقصد للاتصال ونقل رسالة ما .

---

(١) المرجع ٥ / ٢٠ ، ٢١

وهى ثالثا يمكن استخدامها فى صحبة رموز نطقية بقصد الإيضـاح . وتعد حينئذ بمثابة تعليقات على الأحداث مصاحبة للشريط المنطوق . إنها تقوم بدور الموضـح ، أو المحدد ، أو المبرز ، أو المؤكد ، أو المكبر ، وبعبارة أخـرى بدور واضع العلامـة ، أو واضع الخط تحت الشـىء الهام . ومن أمثلة ذلك الإشارة بالإصبع إلى الشىء المعنىّ ، واستخدام اليدين لبيان شكل الشىء .

وهى رابعا وسيلة هامة من وسائل إظهار الانفعالات والمشاعر ، سواء تمت بقصد أو بدون قصد . ويعد الوجه المنطقة الأولى لهذه الوظيفة على الرغم من أن حركات كامل الجسد ربما اتخـذت كمفاتيح لفهم الانفعالات الإيجابية أو السلبية .

وقد ذهب كثير من العلماء الى أن عرض هذه الصور الدالـة علـى الانفعال انما هو شىء عـالمى . فكل النـاس فـى جميع أنحاء العالم ينتجون " إشارات وجهية " حينما يتعرضون لانفعال معين ، ولكن الثقافات تختلف فى قواعد هذا العرض ، وفى كيفية التحكم فى التعبير عن هذه الانفعـالات (إظهـارا أو تخفيفا أو إخفاء) . كما أن الشخص المتصل قد يظهر انفعالا معينا بقصد إخفاء انفعالـه الحقيقى ، كأن يظهر وجها سعيدا حين يكـون تعيسا ، أو يظهـر أمارات القبول وهو رافض فى قرارة نفسه (١) .

ولنبدأ بمنطقة الرأس والوجه فنقول إن إشـاراتها تعد أغنـى أنظمـة الرموز عند الإنسان لأنها تحوى معظم أعضـاء الإحساس مـن ناحيـة (العينيـن – الأذنين–الأنف – الفم) ، وتتمتع بقدرة عالية على حمل المعلومات ونقلها من ناحية أخرى (٢) .

ويعد تحريك الرأس ككل،والإيماء به إلى أسفل وأعلى بقصد إظهار الموافقة ،

---

(١) المرجع ١ / ١٠١ ، ٨ ، ٦ – ١٠ .
(٢) المرجع ١ / ١١٤ ، ١٣٨ ، ٤ / ١٠٢ .

أو إلى اليمين واليسار بقصد إظهار المخالفة – يعد ظاهرة عالمية . وبعضهم يرد أصل هاتين الإشارتين إلى سن الرضاع حين يحرك الرضيع رأسه إلى أعلى وإلى أسفل باحثا عن ثدى أمه ، وحين يحرك رأسه جانبا ليتخلص من حلمة الثدى أثناء الإرضاع . وتعد حركة الرأس إلى أعلى وأسفل معززا قويا أثناء الاتصال اللغوى ، وتشجيعا للمتحدث أن يستمر فى حديثه . وحين تكون الحركة بطيئة فإنها قد تحتفظ بالمتحدث لأطول فترة ممكنة ، أما حين تكون سريعة فتدل على أن السامع يتعجل إنهاء المتحدث لكلامه ربما ليأخذ هو دوره فى الحديث (١) .

أما الوجه فقد كان الشغل الشاغل لكثير من الدارسين ، وخرج بنصيب الأسد من اهتمامهم . ويمكن التمييز فى دراساتهم بين نوعين مستقلين هما :

أولاً: دراسة أسارير الوجه وملامحه .

ثانياً: دراسة تعبيرات الوجه واشاراته .

ولا يدخل النوع الأول فى اهتمام اللغويين لأنه ينضوى تحت علم الفراسة أو قراءة أسارير الوجه personology أو physiognomy لتخمين ملامح الشخصية . ففضلا عما فى هذه المحاولة من مغامرة واعتماد على التخمين فإنها تدرس ملامح لا تدخل تحت أنظمة الرموز إلا بمقدار ما تكشف عنه من مفاتيح المظهر الخارجى . وحتى الآن لم تستطع الأبحاث الخاصة بالموضوع أن تكشف عن العلاقة بين أسارير الوجه وملامح الشخصية كالموهبة ، والذكاء ، والحظ ، برغم ما قيل مثلا من دلالة انخفاض الجبهة على الغباء أو انخفاض معدل الذكاء ، ودلالة ضيق العينين على اتجاه إجرامى ، وبرغم ما ادعى من إمكانية التنبؤ بمستقبل الشخص عن طريق النظر إلى وجهه (٢) .

---

(١) المرجع ١ / ١٢٦ ، ١٢٧ .   (٢) السابق / ١١٦ ، ١١٨ .

أما النوع الثانى ، وهو دراسة تعبيرات الوجه وإشاراته فهو موضع اهتمام اللغويين ، لأنه يتعامل مع حركات إرادية من ناحية ، ولأنه أمكن – عن طريق ملاحظته وإجراء التجارب عليه – تقنينه من ناحية أخرى .

هناك إجماع بين الباحثين على أن الوجه أغنى أجزاء الجسم فى طاقاته التواصلية ،وأنه الوسيلة الأولى للتعبير عن الحالات العاطفية ، وأنه المصدر الأساسى للمعلومات بعد الكلام (١) ، حتى قال بعضهم " إن البحث عن المعنى فى هذا العالم يبدأ وينتهى عند التعبير الوجهى " (٢) .

ونقاط البحث الممكن تناولها حول هذا الموضوع كثيرة ، ولكننا سنقتصر منها على نقطتين اثنتين هما :

*أنواع الانفعالات الممكن للوجه التعبيرعنها،والحركات الوجهية المصاحبة لها .

* التعرف على المشاعر عن طريق الحركات الوجهية .

أما النقطة الأولى الخاصة بأنواع الانفعالات ، وما يقابلها من حركات وجهية فقد كانت وما تزال مثار جدل طويل منذ ألف دارون كتابه " التعبير عن الإحساسات عند الانسان والحيوان " الذى دافع فيه عن فكرة أن للتعبيرات الوجهية جذورها فى السلوك الحيوانى ، وأن كثيرا من التعبيرات الجهية التى تظهر على الإنسان توجد كلك فى الحيوانات الدنيا ، وأن تعبيرات الوجه الدالة على الإحساس واحدة فى كل أنحاء العالم (٣) .

ورغم كثرة المعارضين لنظرية دارون عن عالمية التعبيرات الوجهية – فقد أثبتت الدراسات العملية صحتها إلى حد كبير ، بعد أن أمكن الفصل بين أنواع الانفعالات الأساسية ، ووضع مقابل تعبيرى لكل منها (٤) .

---

(١) المرجع ٤ / ١٩٩ .
(٢) المرجع ٥/ ٢١ .
(٣) المرجع ١ / ١١٨ .
(٤) السابق / ١٩-١٠١ .

وقد ظهر من الملاحظة الدقيقة أن التعبير الكامل عن المشاعر يؤدى إلى تحركات العضلات فى مناطق الوجه الثلاث (الجبين – العينين – الفم) باستثناء تعبير السعادة الذى ينعكس فى العين والفم أساسا (١). كما ظهر أنه من الممكن للشخص أن يعبر عن مشاعره تعبيرا جزئيا باستخدام قسم واحد من الوجه كأن يعبر عن الدهشة برفع حاجبيه فقط ، أو بتوسيع عينيه .

وتبين كذلك أن بعض تعبيرات الوجه يتم إطلاقها بسرعة فائقة لا يمكن للعين المجردة ملاحظتها ، وقد أمكن رصدها وتحليلها عن طريق التصوير البطىء (٢) .

ولم يتفق العلماء على عدد الإحساسات التى يكشف عنها الوجه ويمكن تعرف الآخرين عليها :

١- فمنهم من قدم قائمة سداسية تضم : السعادة – التعاسة – الغضب – الدهشة الخوف – الاشمئزاز .

٢-ومنهم من قدم قائمة سداسية أخرى تضم السعادة والدهشة والاشمئزاز (كالسابقة) ولكنها تضع الألم والتصميم والاحتقار مكان التعاسة والغضب والخوف .

٣- ومنهم من قدم قائمة ثمانيةهى القائمة الأولى بزيادة الاحتقار والاهتمام،واعتبر هذه القائمة قائمة " بأجناس الانفعال " مما يعنى أن هناك عددا آخر من التعبيرات الوجهية المتشابهة يمكن أن يدخل تحت كل جنس (٣) .

٤- ومنهم من أضاف فى قائمته التفوق والارتباك .

---

(١) كثير من الدراسات عن التعبير الوجهى تأثرت بنظرية الاحساس التى طورها Silvan Tomkins والتى نظرت الى الوجه كمفتاح للأحاسيس . فحينما يثار احساس ما عند شخص فان جهازه العصبى يبرق برسالة الى وجهه فتقوم بعض عضلاته بالاسترخاء وبعضها بالتقلص (انظر (١ / ١١٩) .

(٢) المرجع ١ / ١٢١ .

(٣) فمثلا تحت الاشمئزاز يمكن أن يوجد النفور والكره والبغض .

٥- ومنهم من قدم قائمة عشرية لا يخرج مجموع معانيها عن الصفات السابق ذكرها (١) .

أما النقطة الثانية وهى التعرف على المشاعر عن طريق الحركات الوجهية فهى النقطة الجوهرية فى الموضوع ، لأنها هى التى تحول الحركة الوجهية إلى ناقل لرسالة ، ورمزله دلالته الاجتماعية ومحتواه اللغوى . وعن طريق هذه الحركات الوجهية يمكن للمرء أن يتعرف على أحاسيس الآخرين ، وما يعتمل فى نفوسهم،وبخاصة أن كثيرا منها يتم دون تحكم أو تدخل من مرسل الإشارة . إن النظر إلى وجوه الآخرين أثناء التفاعل معهم ، وترجمة ملامح وجوههم قد يكون بمثابة إنذار مبكر لحالة اهتياج أو غضب ، يمكن تجنبها قبل وقوعها ، أو إرهاص مبشر بحالة سعادة ورضا يمكن استثمارها والاستفادة منها .

ويختلف الأفراد فى درجة دقتهم فى التعرف على مفاتيح الوجه ، وترجمة إشاراته والتمييز بين الصادق منها والكاذب : فمنهم من تختلط عليه الأمور ، ومنهم من يتصف بالقدرة على التعرف حتى على أدق صور التعبير الوجهى . ويعد ذلك ضروريا لشاغلى بعض الوظائف مثل مسئولى القروض فى البنوك ، والمحللين النفسيين ، ورجال الشرطة ، والجمارك (٢) .

وقد أجريت اختبارات متعددة لمعرفة ردود الأفعال غير الإدارية التىتظهر على الوجه فى المواقف المختلفة. ومن ذلك تجربة تركزت حول السؤال التالى : إلى أى حد تكشف معالم الوجه عما يختلج فى النفس من مشاعر وانطباعات بين أفراد ينتمون إلى جنسيات مختلفة . فى بداية التجربة أطلع العلماء الأفراد المشتركين فى التجربة على مجموعة من الصور المتناقضة .. بعضها يعبر عن مناظر طبيعية بالغة الرقة والجمال ، بينما تحمل ملامح الصور الأخرى مشاهد

(١) المرجع ٥ / ٢٤ . (٢) المرجع ١/ ١٢٢ ، ١٢٣ .

دامية بدءا من صور لإصابات أليمة لعدد من الناس حتى صور الحروق المخيفة لضحايا عدد من الكوارث . وفى اللحظة التى كان المتطوعون فيها يشاهدون الصور تحركت آلة التصوير بسرعة لتسجل ما يرتسم على الوجوه من تعابير . ولأن الكاميرا كانت مخبأة عن أنظارهم فلم يشعر أحد منهم بوجودها . وبعد ذلك جاءت الخطوة الثانية حيث عرضت الصور على كل من اشترك فى التجربة ليصف كل تعبير على حدة ، ويتحدث عن نوع المنظر الذى أسهم فى خلق هذا التعبير . وكانت النتيجة مثيرة للاهتمام . جميع المتطوعين من الجنسيات المختلفة نجحوا فى تحديد الصور الصحيحة اعتمادا على تعابير الوجه ، الأمر الذى يدعم النظرية التى تقول إن البشر فى كل مكان لديهم القدرة على ترجمة هذا النوع من الاتصال غير المنطوق مهما اختلفت جذورهم الثقافية (١) .

كما أجريت اختبارات وفحوص كثيرة لقياس قدرات الأشخاص على التعرف على مفاتيح الوجه ، ولتحديد الرسائل التى يسهل أو يصعب حل شفرتها. وقد تبين من هذه الاختبارات والفحوص ما يأتى :

١- أن المعانى الآتية أمكن لتعبيرات الوجه نقلها ، وأمكن التعرف عليها بنسبة تزيد على ٩٢ ٪ وهى :

الألم - السعادة - التفوق - التصميم - الدهشة - الاهتمام - الارتباك - الخوف- الاحتقار .

٢- هناك معان سببت اضطرابا للمشاهدين .فقد وجدوا صعوبة فى التمييز بين كل من : الكراهية والغضب / خيبة الأمل والتعاسة / الاشمئزاز والاحتقار (٢) .

٣- أثبتت التجارب أن النساء أكثر قدرة على قراءة تعابير الوجه لأسباب لم يمكن تحديدها ، وإن كان من المحتمل إرجاعها إلى ما تتصف به المرأة من

---

(١) المرجع ١٣

(٢) المرجع ص – ٣١ .

حساسية مفرطة ، وإلى خبرتها الطويلة فى قراءة وجه الرجل ، وما يحمله من تعبيرات شديدة التناقض (١) .

٤- أظهرت كثير من التجارب أن النساء أقدر من الرجال على استخدام التعبيرات الوجهية . فمن بين ست دراسات أثبتت خمس منها أن وجوه النساء كانت أكثر تعبيرية (٢) .

٥- من أبرز تعبيرات الوجوه التى تجيد النساء استخدامها تعبير التبسم والضحك بأنواعه المختلفة (٣) ، سواء كان اجتماعيا بقصد التعبير عن الحرارة والصداقة والبهجة ، أو بقصد بث الهدوء والطمأنينة والرضا ، أو كان غير اجتماعى كما يحدث حين يكون الشخص وحده يأكل فى مطعم ، أو يحل لغز كلمات ، أو يستمع إلى قصة مضحكة من الراديو أو نحو ذلك (٤) .

وقد قام أحد الدارسين (Ragan ١٩٨٢) بتحليلات لصور عدد من "الكتب السنوية " لطلبة وطالبات بعض الكليات والمدارس الثانوية ، فأظهرت التحليلات ابتسامات أنثوية أكثر (٥) .

ويحتل السلوك العينى مكانا خاصا بين أنواع الحركة الجسمية ، نظرا لقدراته التعبيرية المتنوعة . ولذا يشار إلى العين فى الشعر الإنجليزى على أنها " نافذة الروح " The Window to the soul ، وذلك لكثرة ما يمكن أن تقوله ، ولاستطاعتها أن تقول مالا يمكن أن يقال (٦) .

وما أظننا نغفل عن الحركات العينية المرتبطة بأنواع الانفعال ، مثل شخوص البصر عند الدهشة ، كما فى قوله تعالى : " واقترب الوعد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا " ، أو إدارة العين يمينا وشمالا عند الخوف ،

---

(١) المرجع ١٣ . (٢) المرجع ٦ / ٥٩ .

(٣) لماذا تبتسم المرأة وتضحك أكثر ؟ ربما كان ذلك نتيجة المقولبات الاجتماعية عن ال[illegible]جة رؤيتها فى وسائل الإعلام و الاعلان وفى حياتها العادية . ولهذا فهى كثيرا ما تبتسم لغير هدف [illegible]اع بل تلبية للضغوط عليها لملاءمة سلوكها مع المقولبات الاجتماعية (المرجع ٦ / ٧١) . [illegible] / ٢٢

(٤) المرجع ٦ / ٦٠ - ٦٤ (٥) السابق / ٦٥ (٦) [illegible] / ١٢٤

كقوله تعالى : " تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت " . أو ننسى كثرة التعرض لحركات العين والجفن والطرف فى تراثنا العربى للتعبير عن معان خاصة ، كقول الشاعر :

ترى عينها عينى فتعرف وحيها * وتعرف عينى ما به الوحى يرجع

وقول الثانى :

جفنه علم الغزل * ومن العلم ما قتل

وقول الثالث :

فغض الطرف إنك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وفى القرآن الكريم : " ينظرون من طرف خفى " ، وفيه : " ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت " .

وينقسم سلوك العين إلى قسمين : قسم لا إرادى يتم دون قصد من الشخص مثل ضيق حدقة العين عند تعرضها لضوء قوى ، أو اتساعها عند وجود الشخص فى ضوء خافت ، أو نتيجة عوامل نفسية تسببها رؤية الأشياء المثيرة سواء كانت مبهجة جدا(فتاة جميلة – رجل أنيق – لوحة فنية رائعة) أو مقززة جدا(حية–جثة مشوهة–عنكبوت).وهذا النوع لايمكن اعتباره رمزا تواصليا .

أما القسم الثانى الذى يهمنا فهو القسم الإدارى الذى يقوم بدور التواصل البينى . ومن صور هذا التواصل استخدام الإشارة بالعين أو الجفن للتفاهم بين اثنين بطريقة تخفى على الآخرين . وقد أشار الجاحظ الى هذا النوع من التواصل فى كتابه البيان والتبيين فقال : " وفى الإشارة بالطرف والحاجب .. مرفق كبير ومعونة حاضرة فى أمور يسترها بعض الناس من بعض ، ويخفونها من الجليس وغير الجليس " (١) .

ومن صوره كذلك ما يسمى" بالتحديق" أو مقدار إطالة النظر إلى الشىء .وهو

---

(١) المرجع ١١ / ١٠٠ .

سلوك شبه فطرى يتم عن طريقه توصيل المشاعر إلى الأطفال الرضع الذين يظهرون استجابة مبكرة لنظرات العين إليهم (١) . كما أنه سلوك تختلف دلالته باختلاف السياق الذى يرد فيه ، كما أنه قد يقوم بدور الرمز المستقل ، أو بدور مصاحب لحركات غير لفظية أخرى . ومن أهم الدلالات التى رصدها العلماء للتحديق :

١- الاهتمام والعناية ، فيدل على المودة والدعوة إلى توثيق العلاقة حين يأخذ شكله الإيجابى ، ويدل على النفور والكراهية حين يأخذ شكله السلبى (٢) .

٢- وحين تصحب الحملقة المطولة بتصرف ملائم ، فإنها قد تعنى هجوما وشيك الوقوع (وأظهر نموذج لذلك حالة الحيوانات الشبيهة بالإنسان) ، ولكنها مع تصرف آخر قد تكشف عن شعوربالحب والوله،أو شعور بالسيطرة والتفوق(٣) .

٣- وقد تحمل قلة التحديق على النفور والكراهية . كما أن تحويل النظر عن الشىء قد يحمل نفس المعنى ، أو يحمل معنى الخجل من النظر إلى الشىء(٤).

٤- أما إغلاق العين أثناء التواصل البينى فقد يحمل إما على استغراق الشخص فى التفكير ، أو على عدم رغبته فى استمرار التواصل (٥) .

٥- وعادة مايتم تبادل التحديق بين المتحاورين أثناء تحاورهم ، أو بين المتكلم والسامع . وكثيرا ما يتطلع المتكلم إلى عيون سامعيه إما ليجذب انتباههم ، أو ليستشف مدى متابعتهم له ، أو ليتبين حجم تأييدهم وموافقتهم له .

وقد أثبتت الملاحظة الدقيقة أن نظرات المشاركين إلى بعض تتراوح - أثناء التفاعل الحوارى - بين ٢٥٪ إلى ٧٥ ٪ من الوقت . وتزيد النسبة حين يندمج المتحادثون فى الحوار ، أو حين تكون العلاقة بين الأطراف حميمة (٦) .

---

(١) المرجع ٦ / ٧٣ .

(٢) المرجع ٣ / ١٨٨ ، ٦ / ٧٣ .

(٣) المرجع ٣ / ١٨٨ .

(٤) السابق والصفحة .

(٥) المرجع ١ / ١٢٥ .

(٦) السابق/ ١٢٦ ، ٥ / ٣٧ .

وأثبتت الملاحظة كذلك أن درجة التحديق تختلف من جنس إلى جنس ، ومن ثقافة إلى ثقافة .

أمابالنسبة لعامل الجنس فقد تمت عليه دراسات متعددة وكثيرة انتهت إلى جملة من النتائج منها :

١- أن المرأة تطيل التحديق أكثرمن الرجل (١) ، وأن هذه الخاصة تبدأ عندها منذ سنّ الرضاع ، وتمتد إلى سنّ الطفولة (٢) .

٢- أن المرأة تظهر استجابة أسرع من الرجل للاتصال بالعين .

٣- أن المرأة تستخدم نسبة تكرار أكبر من الاتصال بالعين ، ونسبة منوية أعلى للوقت المنفق فى الاتصال بالعين (٣) .

٤- أن السلوك التحديقى للمرأة جزء من وظيفتها الأمومية ، إذ إن شعورها الحنون بالنسبة لوليدها لا يتطور إلا عند بدء الوليد إظهار القدرة على عمل اتصال بالعين (٤) .

٥- أن استخدام المرأة للتحديق يزيد كلما كانت المسافة قريبة (لا تزيد على ستة أقدام) ، لأن قرب المسافة يجعل المرأة تنظر للتفاعل على أنه طبيعى وصادق مما يعد مشجعا لها على التحديق . ولكن الوضع يختلف بالنسبة للرجل، إذ يزيد وقت الحملقة عنده كلما زادت المسافة (٥) .

٦- أن المرأة تشعر بعدم الارتياح أكثر مما يشعر الرجل حين لا ترى الشخص الذى تتحدث إليه (٦) .

وأما بالنسبة للعامل الثقافى فقد ثبت أن الانجليز يحدقون أكثر من الأمريكان. ولذا تقتضى آداب السلوك فى بريطانيا أن يحدق الشخص فى محدثه بانتباه،ويطرف ببصره من آن لآخر ، دلالة على اهتمامه بالحديث . أما فى

---

(١) المرجع ٥/٣٧، ٦/٧٨ .

(٢) المرجع ٣ / ١٨٩ ، ٦ / ٧٥ .

(٣) المرجع ٣/١٨٩ .

(٤)السابق والصفحة .

(٥) المرجع ٦/٧٨ ، ٨٣.

(٦) السابق/٨٣ .

أمريكا فلاتلتقى العيون أثناء المحادثة العادية إلا بمقدار ثانية ، ثم يتحول النظر بعد ذلك الى اتجاه آخر (١) . ومن عادة الإيطالى أن يحدق فى المارة ، وفى الناس الذين يجلسون من حوله فى المطعم أو النادى أو المقهى . أما فى الإسلام فغض البصر مطلوب وبخاصة حين يختلف الجنسان ، وهو من التعاليم التى وردت فى القرآن الكريم وفى الحديث النبوى الشريف . وفى بعض الثقافات يكون من الأدب أن تصرف نظرك عن محدثك حين يكون أكبر منك سنا أو مقاما (٢) .

ويدخل كذلك فى منطقة الوجه دور الأنف فى تلقى الروائح . وعلى الرغم من أن ذلك يتم بطريقة لا إرادية فى العادة فإنه يؤثر على نوع الاستجابة ، وعلى الانفعالات ، وعلى سلوكيات الأفراد ، ربما أكثر من أى إحساس آخر (٣).

وقد ثبت أن رائحة الجسم المعينة تقوم عند الحيوانات بنقل رسائل ذات تأثير معين ومدهش على سلوكها . وعلى سبيل المثال فإن أنثى الفئران تتعرف على الذكر عن طريق الرسائل الكيميائية التى تستقبلها منه عن طريق رائحة جسمه . ومن لاحظ مجتمع النمل لابد أن يدهش لهذه الحشرة البدائية وهى تدير نظام اجتماعيا معقدا ، يبنى المسكن بدقة فائقة ، ويقسم العمل ، ويحارب الآخرين ، ويسير دفة مملكته أو مستعمرته عن طريق تحريك ملايين النمل بواسطة حاسة الشم البدائية. وقد أثبتت الأبحاث أن نفس الشىء يدور فى عالم الإنسان ، ولذا وجد اتجاه الآن بأن الانسان يرسل ويستقبل رسائل كيميائية خاصة يعمل كثير منها بدون وعى .

وكما يختلف الأفراد فى دقة استقبالهم للرسائل اللغوية وغير اللغوية يختلفون أيضا فى استقبال المعانى المأخوذة من رسائل كيميائية خارجية عن طريق حاسة

---

(١) المرجع ١٢٦/١، ١١، /١٦٥ (٢) المرجع ١٢٦/١.

(٣) المرجع ٧٦/٤، ١٥٧/٥.

الشم .وقد لوحظ أن الفصاميين يملكون حساسية مضاعفة تجاه الرسائل الكيميائية ،وأنهم قادرون على إدراك روائح كثيرة لا يدركها الفرد العادى . ولذا فهم عادة ما يتحدثون عن قوى خارجية غريبة تؤثر فيهم .

وقد استطاع العلماء مؤخرا وضع قائمة تضم مائة واثنتين وثلاثين رائحة تتوزع على عدة مجموعات منها :

* مجموعة الروائح الجميلة ، وتضم سبع عشرة رائحة على رأسها : رائحة الورد الأحمر ، والفراولة الطازجة ، وزهور البازلا . وتضم القائمة كذلك رائحة زيت البرتقال ، والليمون الحلو ، والموز .
* مجموعة الروائح الكريهة ، وتضم خمس عشرة رائحة منها رائحة مشتقات البترول ، والسمك ، والعرق ، والمواد المحترقة .
* وجاء فى مجموعة الوسط : روائح البصل ، والليمون الحامض ، والكرز ، والبنفسج .

وإن التطبيقات التواصلية لنتائج التصنيفات السابقة تعد ذات أهمية كبيرة . فما دمنا نعرف الروائح التى يتلقاها الناس كروائح جميلة فإنه عن طريق الاستخدام الصحيح لهذه الروائح يمكن ترك أثر مفيد على " النموذج الشخصى " وإتاحة فرص أمام الأفراد لتحقيق النجاح الاجتماعى والشخصى عن طريق الروائح التى يشمها غيرهم منهم .

وفى هذه الأعوام الأخيرة ظهر توسع فى استخدام الروائح المصنعة بطرق متعددة . فبعض الشامبوهات تبيع أكثر بسبب شذاها العطر ، وليس بقدرتها على تنظيف الشعر . وحتى الملابس الداخلية والجوارب وأوراق التواليت صار لرائحتها العطرة دخل كبير فى رفع نسبة مبيعاتها . كما زاد بيع العطور مؤخرا بدرجة ملحوظة لسبب رئيسى هو أن الناس يتطلعون إلى زيادة جاذبيتهم ، والحصول على تأثير أكبر عن طريق الرائحة التى تفوح منهم (١) .

---

(١) المرجع ٥ / ١٥٨ ١٦٤

وهناك صور أخرى من السلوك الحركى ترتبط بمنطقة الوجه ، لا يتسع المجال لتفصيل الحديث عنها ، مثل رفع الحاجبين عند الدهشة أو المفاجأة ، واستخدام حركات الشفتين فى ابتسامة باهتة صفراء تنم عن السخرية ، أو فى ابتسامة عريضة تنم عن السرور . وقد نبتسم ابتسامة الغيظ بحيث نكشر عن أنيابنا (١) ، وقد حذر الشاعر القديم من الاغترار بظاهر هذه الابتسامة فقال :

إذا رأيت نيوب الليث بارزة . فلا تظنن أن الليث يبتسم

والآن بعد أن انتهينا من الحديث عن المنطقة الأولى من مناطق التفاهم التى تضم الرأس والوجه وأجزاءهما ننتقل الى الحديث عن المنطقة الثانية التى تضم اليدين وأجزاءهما .

ومنذ القديم أشار الجاحظ فى كتابه " البيان والتبيين " إلى حسن الإشارة باليد والرأس ، واعتبرهما من تمام حسن البيان باللسان . كما نعى على أحد المتحدثين عدم استخدامه الإشارة باليد (وغيرها) ووصف كلامه بأنه " كأنما يخرج من صدع صخرة " (٢) .

وفى القرآن الكريم إشارات كثيرة إلى حركات اليدين أو أجزائهما كرموز لغوية ذات دلالات كاملة مثل :

* غل اليدين الى العنق (للإشارة إلى البخل) : " ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك " .
* بسط اليد (للإشارة إلى الكرم) : " بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء " .
* عض اليدين (للإشارة إلى الندم) : " ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا " .
* وضع الإصبع فى الأذن (للإشارة إلى الإعراض) : " وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم " .

---

(١) المرجع ١١ / ١٦٩ .
(٢) السابق / ١٠١ .

* تقليب الكف (للإشارة إلى الحسرة والندامة) : " فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها " .

بل هناك من الآيات ما ينسب الكلام إلى اليدين كقوله تعالى : " اليوم نختم على أفواههم ، وتكلمنا أيديهم " .

أما فى العصر الحديث فقد بدأ الاهتمام بحركات اليدين منذ الثلاثينيات حين ظهرت نظرية قسمت شعوب العالم إلى أجناس أربعة أساسية،وارتبطت بها نظريةأخرى تدعى إمكانية التعرف على جنس الشخص من حركاته وإشاراته(١) .

ومن الممكن أن تقسم الوظائف التى تؤديها حركات اليد إلى أقسام أربعة هى :

أولاً: الوظيفة المستقلة حين تؤدى معنى كاملا يمكن أن يعبر عنه بمقابل لفظى مباشر ، وهى حينئذ تأخذ شكل الشعار **emblem** أو الاصطلاح المتفق عليه بين شعوب العالم ، أو بين أبناء ثقافة معينة ، أو أبناء مجموعة متجانسة .

فمما له دلالة عالمية : إدارة الإصبع على الرقبة التى تعنى الذبح ، ووضع الإصبعين على شكل (V) للإشارة إلى النصر . وهى حركة اشتهرت منذ عام ١٩٤١حين ابتدعها محام بلجيكى ، ثم نشرها تشرشل حين استخدمها فى الحرب العالمية الثانية إشارة إلى النصر (٢) . ومنها كذلك رفع إصبع الإبهام فى طريق السيارات العابرة طلبا للتوصيل إلى أى مكان (٣) . وكذلك توجيه راحتى اليدين وتحريكهما نحو الجمهور بحركة مسرحية ، فتفيد التحية إذا كانت الحركة من اليمين إلى اليسار وبالعكس وتفيد طلب الصمت والإنصات إذا كانت من الأمام الى الخلف وبالعكس .

ومما له دلالة محلية ويختلف باختلاف الثقافات ، وربما يؤدى إلى صعوبات أو مواقف حرجة الإشارتان الآتيتان :

---

(١) المرجع ١ / ١٣٣ .
(٢) السابق / ١٣٨ ، ١٠ / ٧ .
(٣) المرجع ١٠ / ٧

* من عادة الزعماء الروس حين يظهرون فى أمريكا أن يقوموا بإشارة روسية شائعة هى " يدان متعانقتان فوق الرأس " تعبيرا عن المحبة،وتقديرا للحفاوة التى قوبلوا بها . ولكن هذه الإشارة تحمل دلالة خاصة عند الأمريكيين لأنها مرتبطة عندهم بحلبة الملاكمة حيث يستخدمها الملاكم حين ينتصر على خصمه (١) .

* عمل شكل دائرة عن طريق الأصابع (بواسطة السبابة والإبهام) محاكاة لحرف (O) الذى يعنى .O.K ، أو موافق . فهذه الإشارة تحمل فى بعض الثقافات دلالات جنسية (٢) . ومما تنحصر دلالته بين أبناء المهنة الواحدة أو التخصص الواحد :

* إمرار الإصبع على الرقبة فى استوديوهات الإذاعة والتلفزيون للإشارة إلى ضرورة الانتهاء والتوقف (٣) .

* حركات اليد التى يستخدمها مستقبلو الطائرات فى المطارات ، لتوجيه الطائرة وإرشاد الطيار عند الهبوط .

* الإشارات التى يستخدمها الحكام فى ملاعب الكرة (٤) .

ثانياً: الوظيفة التوضيحية (٥) ، أو التأكيدية ، وذلك حين تأتى حركات اليد مصاحبة للكلام بقصد إيضاحه أو تأكيده (٦). وتمثل هذه الوظيفة الحركات الآتية:

* الإشارة إلى الشىء باستخدام السبابة ، وهى تعنى : أريد هذا الشىء أو تعنى الاتهام وتحديد المسئولية (٧) .

---

(١) المرجع ١/١٣٨ .

(٢) تشير إلى عضو التناسل عند المرأة . ولذا فهى ترمى إلى هدف جنسى حين توجه إلى المرأة ، وتعنى التشكيك فى الرجولة إذا وجهت إلى الرجل (انظر المرجع ١ / ١٣٨ ، ١٠ / ٧) .

(٣) المرجع ١ / ١٣٨ .

(٤) السابق / ١٣٩، ٣٨/٥ .

(٥) يمكن أداء هذه الوظيفة بأعضاء أخرى غير اليد ، أو مع اليد .

(٦) المرجع ١١ / ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٧) المرجع ١ / ١٣٤ ، ١١ / ١٧٥ .

* استخدام راحة اليد – أثناء الكلام – بطريقة معينة . فالأحكام المصحوبة بتوجيه راحة اليد إلى أعلى تدل على مجرد الظن ، أما الى أسفل فتأتى مصاحبة للعبارات التأكيدية . أما المصحوبة بتوجيه ظهر اليد إلى أعلى فتعنى : انتظر ، أو : دعنى أتكلم (١) .

ومعظم نماذج الوظيفة التوضيحية يتعلمها الأفراد من الأسرة التى تمتص بدورها النماذج الثقافية فى المجتمع . وتكثر النماذج التوضيحية حين يكون المتكلم متحمسا ، أو مستغرقا فى فكرته ، وكثيرا ما يستعملها دون وعى أو قصد . ولذا فليس من الغريب أن نرى المتكلم يستخدمها حتى حينما يكون بمفرده كأن يتكلم فى التليفزيون ، أو من خلالها جهاز الإنتركوم (٢) .

ثالثاً: الوظيفة التصويرية أو الوصيفة التى تقوم فيها حركات اليد بتصوير الشىء فى الهواء ، أو تتخذ شكل الشىء الذى يتحدث عنه المتكلم كالحجم ، أو الطول .. وذلك عن طريق وضع المتكلم يديه متباعدتين يمينا وشمالا بقدر الحجم المراد تعيينه ، أو فوق وتحت بقدر الطول المراد تحديده (٣) . ومن أمثلة الوظيفة التصويرية كذلك استخدام السبابة ، وإدارتها فى الهواء عدة مرات لتصوير الشكل الحلزونى .

رابعاً: الوظيفة التنظيمية التى تقوم بضبط التفاعل البينى ، وتتحكم فى إجراءاته. فهى تحدد متى يسكت شخص ، ومتى يبدأ آخر فى الكلام . وقد تدل حركة يدوية معينة للمتكلم على معنى : " انتظر " ، أو " تمهل " ، أو " دعنى أتكلم " أو " لا تقاطعنى " . (بتحريك اليد عدة مرات بطريقة معينة) ، أو تدل على معنى " الدعوة إلى الصمت " (عن طريق وضع اليد على الفم) .

وهذا النوع من الوظائف يتعلم من خلال الثقافة ، وربما من خلال التعامل

---

(١) المرجع ١/١٣٥.

(٢) المرجع السابق والصفحة ، ١١ – ١٥٩.

(٣) المرجع ١ / ١٣٤ ، ١١ ، ١٠٣ .

مع أفراد الأسرة ، أو مع أى تجمعات أخرى . وحين ينتقل الشخص إلى ثقافة أخرى فربما يجد صعوبة فى التكيف مع الحركات التنظيمية ، أو لا يتبين الفروق بينها (١) .

كذلك من الممكن تقسيم حركات اليد حسب طريقة استخدامها على النحو التالى :

١- حركات تقوم بها اليد (أو اليدان) على انفراد ، وذلك مثل تجميع أصابع اليد بطريقة معينة متجهة إلى أعلى ، وذلك طلبا للتأنى أو التحلى بالهدوء . وقد تدل هذه الحركة على التهديد والوعيد . ومثل التلويح باليد على سبيل التحية ، ومثل تدوير إصبعى السبابة والإبهام تمثيلا لحرف (O) من O . K ، ومثل رفع الإبهام إلى أعلى الذى يعنى الموافقة والتأييد والاستحسان ، ويعنى كذلك طلب توقيف سيارة .

٢- حركات تقوم بها اليد نتيجة التقائها بعضو آخر من أعضاء الجسم ، مثل وضع طرف السبابة على الخد تحت العين اليمنى أولا ثم تحت العين اليسرى ثانيا للتعبير عن الاستعداد لتقديم المساعدة المطلوبة (من عينى دى وعينى دى)، ومثل عض الإصبع (علامة الندم) ، ومثل التحية عن طريق وضع اليد اليمنى ممتدة عبر الصدر (٢) . وقد تفيد نفس الحركة فى مواقف أخرى التوسل (علشان خاطرى) ، كماقد تفيد الاعتذار (حقك على) (٣) .

٣- حركات تقوم بها اليد نتيجة التقائها بشىء خارج عنها ، ويدخل فى ذلك عادة الحركات الهندامية مثل تعديل رباط العنق ، أو رفع الجورب ، أو جذب الفتاة ذيل ثوبها القصير لكى تغطى ركبتيها العاريتين وهى جالسة ، أو تسوية الشعر ، أو حك الجسد . كما يدخل الإمساك بشىء موجود فى المكان أو العبث به ، أو دقه أو الضغط عليه . كما يدخل فيه جذب الطفل كم رداء أمه أو ثوبها ليلفت نظرها (٤) .

---

(١) المرجع ١ / ١٣٦ .
(٢) السابق / ١٣٩ .
(٣) المرجع ١١ / ١٠٢ .
(٤) المرجع ١ / ١٣٧ ، ٥ / ٣٨ ، ١١ / ١٧٠ .

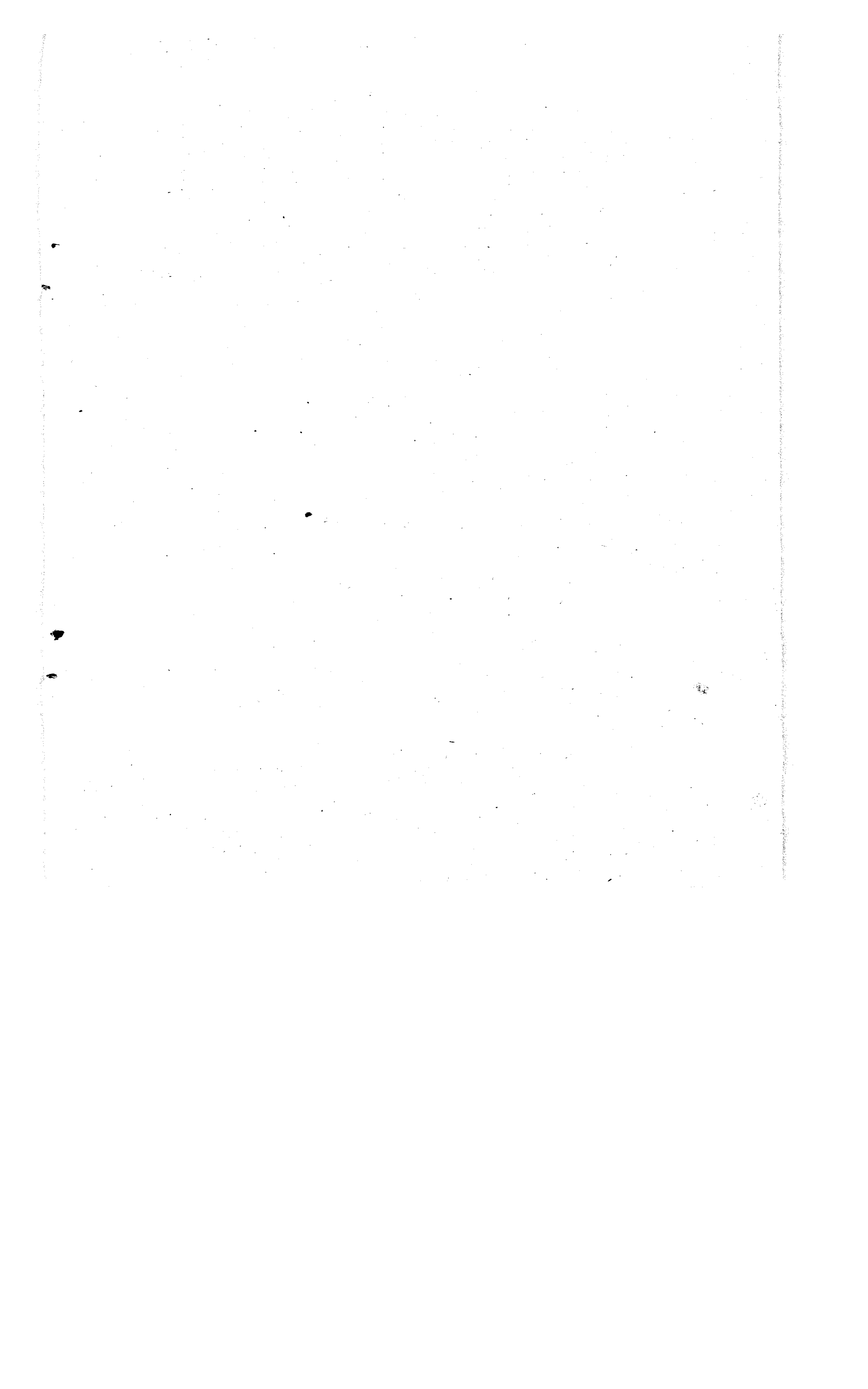
٤- حركات يقوم بها الشخص نحو الغير ، وهو ما يدخل تحت المصافحة أو الملامسة . وتختلف قواعد المصافحة من بلد إلى بلد ، وبخاصة حين يختلف جنس المتصافحين . ففى أمريكا اللاتينية مثلا يقوم النساء بالمصافحة حين يقدمن إلى رجل ، ولكن فى أمريكا الشمالية ، المصافحة هنا ليست ضرورية وإنما هى اختيارية ، ولا تكون ضرورية إلا فى المقابلات الرسمية (١) .

أما الملامسة فيمكن أن تتم بأى عضو من أعضاء الجسم ، ولكن اليد هى وسيلتها الأولى . وتحتاج معالجة هذه النقطة إلى بحث مستقل (٢) .

وتختلف الشعوب فى درجة استخدامها لإشارات اليد . فشعوب أمريكا اللاتينية وشعوب البحر المتوسط تكثر من إصدار الحركات الجسمية ، وبخاصة اليدوية أثناء الكلام (٣) . وكثيرا ما يلفت نظر السائح للبلاد العربية كثرة التلويح باليدين بمناسبة وبغير مناسبة . وقد لاحظ بعض الزائرين للجزائر وجود لافتة معلقة بجوار السائق فى المركبات العامة تقول : " ممنوع التكلم مع السائق إذ إنه يحتاج إلى يديه حين يسوق " (٤) .

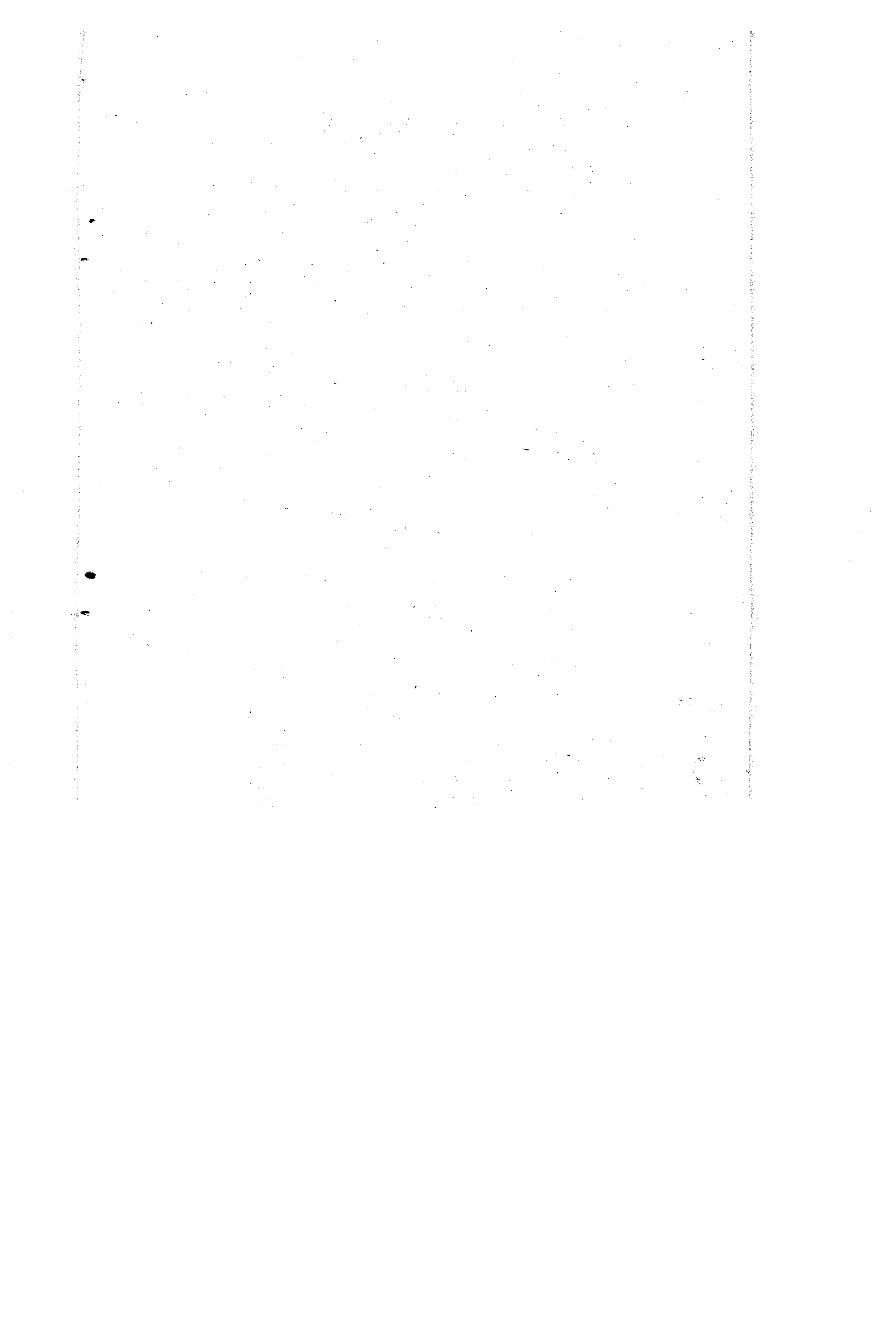
---

(١) المرجع ١ / ١٣٩ .
(٢) انظر المرجع ٩ .
(٣) المرجع ١١ / ١٥٩ .
(٤) السابق / ١٦٣ .



الفصل الرابع

أهم الاتجاهات اللغوية الحديثة



٤- أهم الاتجاهات اللغوية الحديثة

أ- بلومفيلد واتجاهه البنيوى

من أوضح الصور التى عبرت من خلالها البنيوية عن نفسها ما ذكره بلومفيلد (١٨٨٧-١٩٤٩) فى كتابه اللغة (الذى نشره عام ١٩٣٣).

ويقوم المذهب البنيوى على أساس منطقى يقول إن كل لغة متفردة ، ويجب أن توصف من خلال أنماطها الخاصة .

ويتصور البنيويون اللغة نظاما معقدا يتحرك من الصوت إلى الجملة ، ومشتملا على وحدات ذات مغزى فى كل مستوى تحكمها قوانين تربط بينها . وقد بدأوا بالصوت وعرفوا الفونيم بأنه : أصغر وحدة فى النظام الصوتى للغة ، وانتقلوا من الفونيمات إلى المورفيمات وعرفوها بأنها أصغر الوحدات فى نظام الجملة (وهى حرة ومقيدة) . والمورفيمات الحرة تتكافأ مع الكلمات ، وتحدد طوائف الكلمات من خلال الشكل والوظيفة دون الاعتماد على المعنى .

ويختلف البنيويون عن اللغويين السابقين من حيث إعطاؤهم الأولوية للكلام، وفى افتراضهم أنه إذا استخدم المتكلمون الأصليون بنية معينة بشكل مطرد تصبح هى البنية الصحيحة ، وفى عدم اعتمادهم على المعنى ، وفى تقديمهم توجيهات دقيقة خاصة بتركيب الفونيمات لتصبح كلمات ، وتركيب الكلمات لتصبح جملا وعبارات ، وتركيزهم على البنية السطحية للغة ، ودراسة العناصر المحسوسة الموجودة فى تراكيب النص الذى يراد تحليله تحليلا علميا . فميدان اهتمام اللغوى هو ما يراه من رموز حسية مادية منطوقة ، بعيدا عن الفرضيات السيكولوجية أو الفلسفية الغامضة والمضللة لما تسببه من تشويه وإفساد للنص اللغوى بما يفترضه الباحث مسبقا من تصورات يضعها فى ذهنه قبل دراسة النص أو تحليله .

وهناك نقطة أخرى فى نظريـة بلومفيلد جديـرة بالاهتمـام ، وهـى أن اللغـة عنده نتاج آلى ، واستجابة كلامية لحافز سلوكى ظاهر (يغفـل العمليـات النفسـية السـابقة علـى عمليـة الكـلام ، وإصـدار الإشـارات الصوتيـة ، ويهتـم بـالحدث الكلامى، والتصرف السلوكى الذى ترتب عليه ، لأن اللغـة عنده سلسلة مـن الاستجابات الكلامية لحوافـز ليست ميدان بحث الباحث اللغوى ، إنمـا ميدانـه الحقيقـى دراسـة التصـرف الكلامـى لا غـير ، يصـف مـا فيـه مـن فونيمـات ومورفيمات توزع فى إطار جملى (راجع نظريته السلوكية للدراسـة الدلاليـة ، وقصة جاك وجيل) ، (وانظر دى سوسير وتـأثير فكره البنيوى علـى مدرسـة براغ) .

ب- دى سوسير وآراؤه اللغوية

ولد العالم اللغوى فردناند دى سوسير عام ١٨٥٧ مـن أسـرة سويسـرية ذات أصل فرنسى ، ودرس علم اللغـة العـام ، ونبـغ فيـه حتـى اعتبره بعضهـم رائـد الدراسات اللغوية فـى عصـره ، وزعيـم المدرسـة اللغويـة الوصفيـة التشـكيلية ، ومؤسس الاتجاه البنيوى فى أوربا وأول لغوى تجرأ على القيام بـدرس فـى علـم اللغة العام . وقد نشر تلامذته بعد وفاته بثلاثة أعوام كتـابا له بعنـوان : " محـاضرات فـى علـم اللغـة العـام " عـام ١٩١٦ ، هـو مجمـوع مـا ألقـاه مـن محاضرات فى هذا العلم كما سجلها طلابه.

وتتلخص أراء دى سوسير فيما يأتى :

١- أن أفضل منهج لدراسة اللغة هو أن تحاول وصفها كما هى فى فـترة زمنيـة معينة ، ومـن هـذا الوصـف نصـل إلـى القواعـد أو القوانيـن التـى تحكـم اللغـة ، ونعرف بنيتها الداخلية والخارجية .

٢- نظر دى سوسير إلى اللغـة علـى أنهـا ظـاهرة اجتماعيـة ، وهـى رغـم ذلـك تستقل عن كل فرد من أفراد المجتمع ، ولا ترتبط بأى فـرد علـى حـدة ، بـل إن كل فرد فى المجتمع خاضع لها .

٣- ميز دى سوسير بين اللغة والكلام ، فالأولى ظاهرة اجتماعية مستقلة عن كل فرد وهى بمثابة المستودع الذى يأخذ منه الأفراد ما يحتاجونه ، والثانية هى اللغة المنطوقة أو اللغة الحديث ، التى تعكس الجانب الفردى فى اللغة ، والتى هى الوسيلة الوحيدة المتوفرة لدراسة اللغة .

٤- اعتبر الرموز الصوتية أو الكتابة عديمة المعنى فى ذاتها ، وهى على الرغم من عشوائيتهافإنها اصطلاحيةاتفاقية ثابتة بالنسبةللغة الواحدة والمجتمع الواحد .

٥- فصل بين المنهجين الوصفى والتاريخى .

وقد كانت أفكار دى سوسير ذات تأثير كبير فى أوربا ، وكانت الأساس الذى قامت عليه أفكار مدرسة براغ اللغوية التى بدأت أعمالها بعد وفاة دى سوسير بخمسة عشر عاما (توفى عام ١٩١١ ، وتشكلت مدرسة براغ أو مجموعة براغ اللغوية عام ١٩٢٦) .

جـ- تشومسكى ومنهجه التحويلى التوليدى

ولد أفرام نعوم تشومسكى فى ولاية فيلادلفيا عام ١٩٢٨ من عائلة يهودية متطرفة سياسيا ، من أصل روسى . وقد درس الى جانب علم اللغة الرياضيات والفلسفة والمنطق ، مما ترك أثرا واضحا على تفكيره وعلى بناء نظريته .

ويعد رومان جاكوبسن (انظر مدرسة براغ اللغوية) المؤثر الأول على فكرتشومسكى ، وكان ينادى بمبدأ " العموميات اللغوية " بما فيها الصوتية ، ويرى أن الأبنية الصوتية المختلفة الموجودة فى لغات العالم ماهى الا مجرد تنوعات ظاهرية تخضع لنظام أساسى عام . وقد كانت هذه الفكرة هى الجوهر أو الأساس الذى قام عليه منهج تشومسكى الذى يدعى أن هناك عموميات لغوية فى مجال التركيب ، وإن كان لتشومسكى فضل تطوير هذه النظرية وإثرائها وتعميقها .

وقد تمثلت النواة الأولى لنظرية تشومسكى فى كتابه الذى نشرة عام ١٩٥٧ بعنوان : التراكيب النحوية ، الذى اعتبر ثورة فى علم اللغة مما أهله ليصبح

زعيم المدرسة اللغوية فى الولايات المتحدة الأمريكية بعد نقده لآراء بلومفيلد ورفضه لاتجاهه السلوكى من ناحية والبنيوى من ناحية أخرى ، وإنشائه مدرسته على أنقاضها.

ويمكن تلخيص الأسس التى قام عليها مذهب تشومسكى فى جملة أفكار هى (مع الأخذ فى الاعتبار أن تشومسكى خلال رحلته الطويلة قد أدخل تعديلات كثيرة على مذهبه) :

١- التفرقة بين الكفاية competence والأداء performance ويعنى بالكفاية قدرة ابن اللغة على فهم تراكيب لغته وقواعدها ، وقدرته - من الناحية النظرية والمثالية - على أن يركب ويفهم عددا غير محدود من الجمل ، وأن يدرك صوابية التراكيب أو عدم صوابيتها . ويعنى بالأداء الإنجاز أو الأداء اللغوى الفعلى لفظا أو كتابة الذى يظهر عند أبناء اللغة ، والذى يعتمد على عنصر الكفاية أو المعرفة ، لكن من الممكن أن يكون ذا عيوب أو نقائص .

٢- التمييز بين البنية التحتية أو العميقة deep structure والبنية السطحية surface structure ويعنى بالأولى بنية التركيب المجردة وغير الظاهرة التى يمكن تمثيلها برسم بيانى يظهر العلاقة بين الكلمات . وهى البنية التى تسمح بالتفرقة بين الجمل ذات اللبس النحوى (قابلت عشرين طالبا وطالبة) ، كما تسمح بتوحيد المعنى لجملتين مختلفتين فى تركيبهما السطحى (عاد خالد من الجامعة قبل ساعتين - عاد خالد قبل ساعتين من الجامعة) .ويعنى بالثانية بنية التركيب الأقرب إلى الكلام المنطوق أو المسموع ، والتى لا تسمح بالتفرقة بين الجمل ذات اللبس النحوى ، كما لا تسمح بتوحيد المعنى لجملتين مختلفتين فى تركيبهما السطحى .

٣- القول بوجود قواعد وقوانين تحكم كل لغة تسمى قواعد التوليد والتحويل generative and transformational rules ويمكن تطبيقه فى لغة بمجملها لاستخراج جميع الجمل النحوية لتلك اللغة دون الجمل غير النحوية ، ولتحويل

الجمل من شكل إلى شكل آخر والانتقال بها من إحدى البنيتين إلى الأخرى كتحويل الجملة المبنية للمعلوم إلى جملة مبنية للمجهول .

٤- القول بمبدأ الفطرية اللغوية فى ذهن الإنسان ، التى تمكنه من إنتاج الجمل والتعبير عما بنفسه . وقد مثل لذلك بما رآه من تدرج الطفل الصغير فى الكلام، وفى انتقاله إلى تعلم اللغة . فالطفل يبدأ فى سن معينة (سنة أو اثنتين) إنتاج الجمل ، وما أن يصل إلى سن أخرى (السابعة مثلا) حتى يكون قادرا على التعبير عما فى نفسه بعدد كبير من الجمل التى لم يكن قد سمعها من قبل ، وقادرا أيضا - الى حد ما - على إدراك السليم من الجمل التى يسمعها من غير السليم .

وقد قاده هذا المبدأ إلى مبدأ آخر يتعلق به ، وهو أن هذه الفطرية الذهنية قائمة على عدد من الكليات النحوية أو القواعد الكلية التى تقوم بضبط الجمل التى ينتجها المتكلم ، والتى يختار منها ما يتصل بلغته من قوالب وقواعد .

وهو بهذا المبدأ يخالف السلوكيين الذين يرون أن اكتساب اللغة يتم بالتقليد والمحاكاة والتخزين فى الذهن .

٥- القول بوجود ما يسمى بالجمل النواة kernel sentences وتعنى الجمل الأساسية أو الأصولية التى تشكل البنية العميقة ويتم تجسيدها بكلمات متتابعة منطوقة تشكل بنية سطحية أو جملة تحويلية .

وقد ساق تشومسكى المثال الآتى ليوضح هذه النقطة :

الله الذى لايُرى خلق العالم المرئى

فهذه جملة تحويلية ، وهى بنية سطحية لمعان ذهنية مجردة يمكن تمثيلها بالجمل النواة التالية :

الله لايُرى .

العالم مرئى .

خلق الله العالم .



وهذه الجمل يتم ربطها أو تحويلها بواسطة عدد من العناصر التى تستخدم لربط الجمل النواة ببعضها .

وبعد: فإنه إذا كان بعض الباحثين قد شكك فى استحقاق آراء تشومسكى أن تكون ثورة فى علم اللغة ، وفى اعتبار النظرية التوليدية التحويلية انسلاخا عما سبقها من نظريات لغوية ، فإنه لا يمكن للباحث المحايد إلا أن يسلم بما يأتى :

١- أن الإسهام الأساسى لتشومسكى أنه " بانى نظام " ، ومكون لصورة كلية لطبيعة اللغة ومستعملها . كما أنه يعد الوحيد من بين اللغويين الذى استطاع أن يربط بين اللغة والطبيعة البشرية ، بشكل جعل آرءه عن الطبيعة البشرية تغذى آراءه فى اللغة ، وآراءه فى اللغة بدورها تغذى آراءه فى النفس البشرية .

٢- أنه قدم إطارا متناسقا متكاملا لدراسة اللغة لم يسبق تقديمه من قبل ، وكجزء من هذا الإطار نادى بأن الإنسان مهيأ بالطبيعة لتعلم نماذج معينة من اللغة ، وأن اللغات التى تستمر فى الوجود هى التى يكون الأطفال مستعدين بالفطرة لتعلمها . وقد أيد دعواه هذه بحقيقتين هما :

أ- أن اللغات البشرية تعكس تشابها ملحوظا .

ب- أن الأطفال يتبعون طرقا متشابهة فى تعلم اللغات .

٣- أن حديثه عن البنية العميقة قد لفت نظر الباحثين إلى ما يمكن أن يوصف بالعمومية ، ليس فقط على مستوى مجموعة من الجمل داخل اللغة الواحدة ، ولكن كذلك على مستوى نماذج القواعد عبر اللغات .

٤- أن آراءه عدلت الميزان الذى اختل فى يد اللغويين الشكليين والبنيويين الذين أهملوا أوقللوا الاهتمام بجانب المعنى ، فقط أصبح المعنى داخل النحو التوليدى ضرورة حتمية حيث إن ربط الصورة الخارجية للجملة بمعناها استلزم فى أى وصف لغوى كامل أن يحوى تقريرا عن المعنى .

٥- أن ماقدمه تشومسكى من آراء تشكل اتجاهه التحويلى يعد طريقة جديدة للنظرإلى بعض إلى الأفكار التقليدية والقديمة عن اللغة .

د- مدرســـة بــراغ اللــغويـــة

١- مدخـــل

فى كتابنا " البحث اللغوى عند العرب " اشترطنا لإطلاق اسم مدرسة على أى جماعة يقيمون فى منطقة معينة شرطين أساسيين أولهما : أن يوجد الرائد أو الأستاذ الذى يرسم الخط ويحدد المنهج والأتباع أو المريدون الذين يتبنون المنهج ويعملون على تطويره والخط الفكرى الذى يربط الجميع . وثانيهما : أن ندخل فى المدرسة كل مؤيد أو متفق فى الرأى مهما كان موطنه ، ونخرج كل مخالف ، ولو كان منتسبا الى المنطقة بالميلاد أو الإقامة وبهذ المفهوم لمصطلح " مدرسة " لم نتردد فى استخدام العنوان " مدرسة براغ اللغوية " ، ولا فى إدخال عدد من اللغويين الروس أو غيرهم تحت هذه المدرسة ، ولم نحس بالحرج كما أحس Vachek الذى بعد أن عنون أحد كتبه The Linguistic School of Prague قال فى صدر كتابه : " ربما كان أدق أن نطلق على ما سميناه بمدرسة براغ اللغوية: منهج براغ فى معالجة بعض المشاكل الأساسية لعلم اللغة " وعلى هذا فنحن نتفق مع Garvin فى قوله عن مدرسة براغ " إن جذورها ليست محلية فقط بل عالمية ، فجاكوب سن روسى وكذلك كان عدد آخر من أعلام هذه المدرسة إما هولنديين أو فرنسيين " . ولعل تعدد أصول هذه المدرسة وتنوع جذورها كان من أهم العوامل التى أعطت أعمالها اللغوية خصوبة فى التفكير، وتفتحا فى النظرة ، واتساعا فى الأفق ، ورحابة فى التصور قلما تيسرت لغيرهم من اللغويين ، ولكن مع الاحتفاظ بشخصيتها المستقلة ، ومن غير أن تفقد رؤيتها لأهدافها فى تحليل الواقع اللغوى ، ودون فرض أى تحديد مسبق على المادة .



ولهذا فإن مدرسة براغ رغم قلة إمكانياتها ، وحداثة عهدها ، قد حققت لنفسها الشهرة بسرعة فائقة ، فانتشرت أفكارها وآراؤها ، وغزت ميادين علم اللغة فى

ثقة وثبات ، ووجدت لها أنصارا ومؤيدين فى القارة الأوربية ، بل وفى الولايات المتحدة الأمريكية ، ولم يقتصر نشاطها ، أو يقف تأثيره عند حدودها المكانية ، يقول Garvin : " مدرسة براغ مدرسة عريقة مشهورة ، أسهمت فى تطورعلم اللغة التركيبى الحديث على مستوى عالمى واسع " ويقول : " من المهم أن نلاحظ الانتشار الواسع الذى تتمتع به المطبوعات اللغوية التشيكية ، سواء فى شكل دوريات ، أو كتب مستقله " . ورغم كل هذا فإذا تلفتنا ناحية عالمنا العربى لا نرى لهذه المدرسة أى صدى عندنا ، ولا نجد لآرائها ، وبخاصة فى مجال علم اللغة التطبيقى ، أو علم اللغة للمجتمع ، أي انتشار . وندر أن نجد – ولو إشارة عابرة – إلى بعض أعلامها أو أهم اتجاهاتها . فكتاب الدكتور محمود السعران " علم اللغة " لا يتعرض لها الا فى بضعة أسطر، وكتاب تاريخ علم اللغة لجورج مونين لايشير إلى اسمى: Jakobson أو Trubetzkoy الا إشارة عابرة وكتب الأصوات اللغوية الثلاثة للدكاترة ابراهيم أنيس وعبد الرحمن أيوب وكمال بشر لا تتعرض لآراء مدرسة براغ الصوتية فيماعدا ما كتبه الدكتور كمال بشر خاصا برأى مدرسة براغ فى التفريق بين الفوناتيك والفنولوجيا ، مع ماهو معروف من أن دراسات مدرسة براغ الصوتية تعد واحدة من أهم إنجازاتها اللغوية . ومن أجل هذا كله رأينا أن نخص مدرسة براغ بهذه الدراسة التى نقدمها الآن للقارىء العربى آملين أن يفتح هذا البحث عيون اللغويين العرب على منفذ ضوء جديد ، ويرهف آذانهم نحو هذا الصوت الآتى اليهم من هذا البلد الأوربى الشرقى ولعل هذا يكون حافزا لنا أو لغيرنا على المضى فى الكشف عن مناهج الدراسات اللغوية المختلفة فى مناطق أخرى من العالم مثل الاتحاد السوفييتى السابق ، واليابان ، ويوجوسلافيا السابقة ، ودول أمريكا اللاتينية .

٢- نظرة تاريخية

يعتبر عام ١٩٢٦ عام الخروج إلى الضوء بالنسبة للغويى براغ . ففيه تم- برياسة Vilem Matheaius -تشكيل ما عرف باسم " حلقة براغ اللغوية " Prague Linguistic Circle التى ضمت أعلام اللغويين فى تشيكوسلوفاكيا .

وقد كان أساس الحلقة ثلاثة لغويين تشيك هم :

V. Mathesius

و B. Trnka

و B. Havra nek

وثلاثة من الروس المهاجرين هم :

R. Jakobson

و S. Karacevakij

و N. Trubetzkoy

وتلاهم جيل أحدث من اللغويين مثل J. Vachek

و V. Skalicka

و A. Isacenko

وقد أثرت الحلقة على المنهج والتفكير اللغوى الحديث تأثيرا ربما يفوق تأثير أى جماعة لغوية أخرى فى تاريخ علم اللغة ، واتفق أعضاؤها على اتخاذ الفكرة التركيبية والوظيفية فى اللغة كأساس فى الدراسة اللغوية ، وإن اختلفوا فى مجال التطبيق ، وفى بعض التفصيلات . وواصلت الحلقة نشاطها لفترة تقرب من عشر سنوات ، ثم توقفت أعمالها تماما لبضع سنوات نتيجة نشوب الحرب العالمية الثانية ، وفرار Jakobson من أيدى النازيين ، وموت Trubetzkoy عام ١٩٣٩ ، وغلق جامعات تشيكوسلوفاكيا عند نهاية عام ١٩٣٩ ، ثم موت Mathesius قبل نهاية الحرب فى ابريل ١٩٤٥.

وقد أعلنت حلقة براغ برنامجها عام ١٩٢٩ في أول عدد من نشرتها : Travaux du Cercie Linguistique de prague وشمل هذا البرنامج الأسس الآتية ، التى ما تزال متمسكة بها حتى الآن :

١- اللغة نظام من وسائل التعبير تخدم غرض التفاهم المتبادل . ولذا فإن على اللغويين أن يدرسوا الوظيفة الفعلية للمنطوقات المستقرة : ماذا يكون موضوع الاتصال ؟ وكيف ؟ ولمن ؟ وفي أي مناسبة ؟

٢- اللغة حقيقة واقعة ، أعنى ظاهرة طبيعية فعلية ، نموذجها مشروط بعوامل خارجية (غير لغوية) مثل المحيط الاجتماعى ، والسامعين ، والموضوع . ولهذا لابد من التمييز بين لغة الثقافة بوجه عام ، ولغة الأعمال الأدبية ، وبين لغة المجلات العلمية ولغة الصحف اليومية ،وبين لغة الشارع ولغة المكتب..الخ

٣- اللغة تتضمن كلا من المظهر العقلى والمظهر العاطفى للشخصية الإنسانية . وعلى هذا ، فالبحث اللغوى يجب أن يتضمن العلاقة القائمة بين الصيغ اللغوية التى بها تنتقل الأفكار والانفعالات .

٤-اللغة المتكلمة واللغة المكتوبة ليستا متطابقتين ، فكل منهما له خصائصه المعينة . ويجب أن تفحص بطريقة علمية العلاقة بين اللغة المتكلمة واللغة المكتوبة.

٥- الفحص التزامنى Synchronic يجب أن يكون موضع اهتمام اللغوى بالدرجة الأولى لأنه يملك تأثيره المباشر على الواقع اللغوى الفعلى . ولكن هذا لا يعنى أن تاريخ اللغة يصح أن يستبعد من مجال الاهتمام اللغوى .

٦- المنهج المقارن فى علم اللغة مطلوب كذلك .

٧- البحث الفونولوجي يجب أن يهتم أساسا بالنماذج المستعملة ذات التقابلات الفونيمية فى لغات معينة .

٨- الظواهر الصرفية لا يصح أن تفصل عن الفونولوجية ، فعادة ما ترتبط التقابلات الفونيمية بالتغيرات الصرفية .

وفي أوائل الخمسينيات تم تشكيل منظمات جديدة للنشاط العلمي في تشيكوسلوفاكيا كان لها أثر كبير على الجماعة اللغوية ، وأدى الى استبدال منظمات جديده بالمنظمات القديمة ، وشمل ذلك " حلقة براغ اللغوية " التي حل محلها :

أ- " الجمعية اللغوية " ، وتشمل تقريبا كل المتخصصين في علم اللغة العام .

ب- " جمعية علم اللغة الوظيفي " المتعاونة مع معهد اللغات والآداب .

أما الآن فتوجه كل واحدة من جامعات تشيكوسلوفاكيا الكبيرة (مثل prague وBrno وBratislava وOlomouc) وكذا أكاديمية العلوم التشيكية - توجه اهتمامها للدراسات اللغوية،ويوجد في كل منها تنوع من اللغويين المتخصصين .

ويوجد في براغ الآن معهد اللغات الشرقية ، ومعهد اللغة التشيكية ، والأخير يناظر مجمع اللغة العربية ولكنه مبكر النشأة ، إذ أنشيء عام ١٩١٢ ، وهو يضم سته أقسام وظيفتها الأولى القيام بالأبحاث اللغوية ، ويصدر مجلة دورية ينشر فيها أبحاثه وإنجازاته . أما أقسامه فهي :

أ- قسم القاموس ، ويهدف إلى عمل قاموس كبير للغة التشيكية .

ب- قسم اللغة الأدبية الحديثة ، وقد وضع لنفسه برنامجا يتلخص في إصدار " موسوعة في قواعد اللغة الأدبية الحديثة " .

جـ- قسم تاريخ اللغة ، ومهمته الأساسية عمل أطلس لغوي للغة التشيكية .

هـ- قسم اللغويات الرياضة .

و- قسم الصوتيات الذي يضم معملا حديثا للتحليل الصوتي ، مزودا بعدد كاف من الأجهزة .

٣- أشهر أعلامها

ضمت مدرسة براغ عشرات الأعلام التي لمعت في مجال علم اللغة ، سواء منهم التشيكوسلوفاكيون أو الأوكرانيون ، أو الروس ، أو الألمان ... وليس

مرادنا حصر هذه الأعلام ، والتعريف بها . فهذا يحتاج إلى مجلد مستقل يتعاون في إخراجه فريق من الباحثين . وإنما مرادنا أن نعرف – وفي إيجاز – بعدد من أبرز هؤلاء الأعلام ولا سيما الرواد منهم الذين تحملوا عبء تأسيس " حلقة براغ اللغوية " ، ونشر أفكارها وآرائها في مختلف أنحاء العالم .

١– Vilem Mathesius

ولد Mathesius عام ١٨٨٢ ودرس في براغ ، وصار محاضرا ثم أستاذا للغة الانجليزية بها . وتوفي عام ١٩٤٥ أو عام ١٩٤٦ . ويعد Mathesius رائد الدراسة الوصفية او التزامنية في اللغة ، كما أن له أبحاثا لغوية استخدم فيها المنهج المقارن التحليلي ، كما أنه مؤسس ورئيس " حلقة براغ اللغوية " . وبرز كرائد للتركيبية Structuralism في المجالين الأدبي واللغوي .

يرد Mathesius التطور اللغوي إلى الاحتكاك الدائم بين الفرد والجماعة ، حيث إن الفرد لابد أن يشرح تجربته الذاتية من خلال وسائل جماعية اصطلاحية حتى يمكن فهمه. وهذا هو السبب في التهذيب المستمر ، والخلق الدائم لصيغ جديدة تصبح بانتشارها وعموميتها تغيرات ثابته .

ولم يكن Mathesius يعتقد في القوانين دون استثناءات ، ولذا فقد توصل إلى التعبير " اتجاهات " tendencies بدلا من " قوانين" laws في تحليله للكلام الفردي الفعلي . أما إسهامه الحقيقي في الفونولوجي فكان ملاحظته للمحصل الوظيفي ، وقابلية التجمع للفونيمات ، ونسبة تردد الفونيمات وتجمعاتها في الكلام الحقيقي ، وفحص العناصر الأجنبية في الفونولوجي .

من أشهر مؤلفاته :

١– اللغة التشيكية وعلم اللغة العام (براغ ١٩٤٧) .

٢– تحليل وظيفي لانجليزية اليوم على أسس لغوية عامة (براغ ١٩٦١) .

٢- Roman Jakobson

ولد Jakobson فى موسكو عام ١٨٩٦ ، وذهب إلى براغ فى أوائل العشرنيات ، واشتغل أستاذا بها (١٩٣٣ -١٩٣٩) . وهو من مؤسسى حلقة براغ اللغوية ، وأول نائب لرئيسها .

وقد غادر تشيكوسلوفاكيا أيام الاحتلال النازى وذهب إلى الدانمرك ثم النرويج ، إلى أن استقر فى الولايات المتحدة ، حيث شغل منصب أستاذ اللغات السلافية والأدب فى جامعة هارفارد ، وأستاذ علم اللغة العام فى جامعة كمبردج. وإليه يرجع الفضل فى ارتقاء مدرسة هارفارد للدراسات السلافية إلى مصاف المدارس المميزة فى العالم .

اشتهر جاكوب سن بدراساته الفونولوجية ويعد أحد الرواد لها . وبمجهوداته شق علم الفونولوجى طريقه الثابت بعد موت Trubetzkoy ، كما أنه خصص سلسلة من أعماله للغة الأطفال ولعيوب النطق والكلام .

وقد عرف الفونيم بأنه حزمة من الملامح التمييزية ، وأقام تحليله الفونيمى على نظرية الثنائية binarism أو dichotomy التى تعنى ان الوحدات اللغوية تقع أعضاء فى تقابلات ثنائية تتميز بوجود أو غياب الملمح التمييزى . كما طبق نظرية الثنائية فى الصرف كذلك . فالأنواع الصرفية morphological categories تصنف نفسها تبعا للأساس الثنائى . وقد كان يرد التغيرات الهامة الصوتية إلى عامل التوازن التركيبى structural balance وفى عام ١٩٢٩ نشر بحثا ناقش فيه مشاكل التطور الفونولوجى للغة الروسية ، وكان يعرض وجهة نظر دى سوسير ، ثم يعطى وجهة النظر المخالفة .

من مؤلفاته :

١- Selected Writings

٢- Sound and Meaning

Nikilaj Trubetzkoy- ٣

ولد فى موسكو عام ١٨٩٠ ، ومات كضحية للنازى عام ١٩٣٨ أو ١٩٣٩. وهو أحد مؤسسى حلقة براغ اللغوية . وكانت صداقته لجاكوب سن ، واهتمامه بتطوير النماذج الفلولوجية من أهم العوامل التى ربطته جيدا بمجموعة براغ اللغوية . وقد درس علم اللغة على يد اللغوى الروسى الفذ Porzezinskoj كما درس فى ليبزج منذ عام١٩١٣على أيدى النحاة المحدثين .

كان أستاذا لعلم اللغة السلافى فى أكثر من جامعة أوربية . ومنذ عام ١٩٢٢ صار أستاذا لكرسى الدراسات السلافية فى فيينا .

عرف Trubetzkoy بثقافته اللغوية الواسعة وقد بدأ نجمه فى الصعود منذ عام ١٩٠٧ حين درس بعض المجموعات اللغوية ، ثم قام بوضع نحو ومعجم لإحدى اللغات المنقرضة . وقد نشر كتابا فى الفونولوجى طبع فى براغ ١٩٣٦). ونشر كتبا أخرى فى فيينا (١٩٣٥ - ١٩٥٦) .

Serge Kracevakij - ٤

لغوى روسى ولد عام ١٨٨٤ أو ١٨٨٧ ، ومات عام ١٩٥٥ . درس فى جنيف وتأثر بأفكارها وأخذ فرصة اكتساب معلومات مباشرة من آراء دى سوسير ونظرياته ، كما اشترك فى بناء شخصيته تدريب أستاذيه Charles Bally و Albert Sechehaye ، ومناقشاته فى لجنة موسكو للهجات التابعة للأكاديمية الروسية للعلوم وتعاونه الطويل مع أستاذ النحو الروسى Peskovskij ثم إرشادات أستاذه Maillet ، أثناء محاضراته المبكرة فى ستراسبورج ، وكذلك فترة تدريسه فى براغ فى أواخر العشرينيات ، وصلته الوثيقه بحلقة براغ اللغوية وبخاصة فى منتصف العشرينيات . وقد شغل منصب مدير معهد الدراسات السلافية فى جنيف عام ١٩٢٨ ، وصار فيما بعد أستاذا بجامعة جنيف .

أهم إنتاجــه :

١- كتاب فى نظم الأفعال (براغ ١٩٢٧) .

٢- كتاب فى الفونولوجى (براغ ١٩٣١) .

٣- دراسة للاشتقاق الاسمى للغة الروسية .

وكـان ينشـر أبحاثـه بالروسـية والفرنسـية . وقـد عـرف باهتمامـه الزائـد باللغـة الروسية ، ولذا كان يقول : " أنا - فى عملى - رجل ذو حب واحد ، هذا الحب هو للغة الروسية " ، مما أعطـى عملـه دقـة عاليـة ، وعمقـا فـى التحليـل ، ولـذا اعتبر أول لغوى " من مدرسة دى سوسير يحاول وصف قواعد اللغـة الروسـية بطريقة منهجية بعدأن كان الاهتمام منصبا قبل ذلك على الدراسة المعجمية .

٥- Josef Vachek

ولـد فـــى بـــراغ عـــام ١٩٠٩ ، ودرس فـــى جامعاتهـــا وتتلمـــذ علـــى V.Mathesius و B.Trnka . وبعد الحرب العالمية الثانية عين محاضرا للغـة الانجليزية فى جامعة Brno ثم أستاذا فى عام ١٩٤٧ . ومنذ عـام ١٩٦٢ وهـو يشرف على الباحثين اللغويين وطلبة الدراسـات العليـا فـى معهـد اللغـة التشـيكية التابع لاكاديمية العلوم ببراغ . وقد كانت اهتماماته الرئيسية متوجهة إلى الدراسة الفونولوجية والتاريخية والنحويـة للغتيـن الإنجليزيـة والتشـيكية ، بالإضافـة إلـى الجانب النظرى فى اللغات المكتوبة . وقد أخرج المؤلف كتبا منها :

١- Two Chapters on written English

نشر فى براغ ١٩٥٩ .

٢- On Some Less Familiar Aspects of the Analytical Trend of English نشر فى براغ ١٩٦١ .

٣- The Linguistic School of prague

وهـو سلسلةمحاضرات ألقاهـا المؤلـف عـام ١٩٦٤ فـى المعهـد اللغـوى التـابع لجامعة إنديانا ، وتتنـاول موضـوع النظريـة والتطبيـق لمدرسـة بـراغ اللغويـة ،

ونشر عام ١٩٦٦ . بالإضافة إلى نشره معجم المصطلحات اللغوية لحلقة براغ (١٩٦٠) ، وإشرافه على تحقيق مجموعة من الأبحاث نشرت بعنوان
A Prague School Reader in Linguistics

٤- آراؤها وأفكارها اللغوية

ربما كان أبرز ما اهتمت به مدرسة براغ فى مجال المنهج والتطبيق ما يأتى :

١- التفريق بين المنهجين التزامنى والتاريخى فى دراسة اللغة ، وتقنين كل منهما .

٢- التركيز على الجانب الوظيفى فى اللغة ودراستها .

٣- تبنى النظرية التركيبية فى دراسة اللغة وتحليلها .

٤- الاهتمام بالتشكيل الصوتى (الفونولوجى) على أساس من نظرية الفونيم .

ولذا سنخص كل نقطة منها بعرض موجز . مع الإشارة - كلما كان ذلك مفيدا - إلى الاتجاهات اللغوية الأخرى، والآراء المتعارضة حول النقطة الواحدة .

المنهج التزامنى والمنهج التاريخى

إذا نظرنا إلى الوراء نظرة عامة فى تاريخ البحث اللغوى منذ نشأته فى أوائل القرن التاسع عشر نجد أن هذا البحث قد أخذ خطين ، أحدهما أقرب الى الاتجاه التاريخى الذى يحاول أن يتغلغل فى تاريخ اللغات حتى يصل إلى فتراتها قبل التاريخية ، ويحاول أن يعيد تشكيل الأصوات والكلمات المتعلقة بصور وصيغ لم تصلنا ، وذلك عن طريق مقارنة ما وصلنا بعضه ببعض . ومن أمثلة هذا الفريق Franz Bopp فى ألمانيا . أما الخط الآخر فقد كان أهم ما يميزه محاولة دراسة اللغة كظاهرة حية ، ومحاولة تحليلها على أساس تزامنى . وقد كان لهذا الخط رواد كثيرون مثل Wilhelm von Humboldt ولكن عيب هذا الخط أن أصحابه لم يستطيعوا أن يؤسسوا مناهج عملية تقف على قدم المساواة مع الخط الأول . وقد شرح أصحاب هذا الخط الخلاف بين اللغات على أنه

خلافات ترجع الى التركيب العضوى للجماعات المستعملة للغات . وبذلك نقلوا المشكلة من دائرة الى دائرة أخرى . ولعل أول من عالج من البراغيين بحسم التفرقة بين المنهجين ، وحدد أسسهما العلامة Mathesius الذى حاول تجنب مساوىء كلا الخطين السابقين وتبنى لنفسه منهجا حاول فيه أن يجمع بين محاسن كل .

وقد ظهرت بذور هذه التفرقة فى المحاضرة التى ألقاها Mathesius فى السادس من فبراير ١٩١١ باللغة التشيكية أمام Royal Learned Society

كما أن تصورا لهذه التفرقة أو لهذا المنهج فى دراسة اللغة قد ورد فى بحث قرأه المؤلف أثناء دراسته الجامعية ، وكان متعلقا بملاحظات Masaryk اللغوية المذكورة فى بحث منشور له فى فيينا عام ١٨٨٧ .

ويقول Vachek عن محاضرة Mathesius السابق الاشارة اليها :

" المحاضرة تدافع بطريقة مقنعة فصيحة عن المنهج التزامنى Synchronistic لظاهرة اللغة وهوالمنهج الذى أصبح معروفا فى مجال علم اللغة بعد أن نشر de Saussure كتابه المسمى Courus de liguistique generale ولكن مع الأسف لم تعرف محاضرة Mathesius لأنها لم تنشر بلغة عالمية إلا مؤخرا حيث ترجمت إلى الانجليزية فى الستينيات . ويدل على قيمة هذه المحاضرة وسبقها لعصرها تعقيب Roman Jakobson عليها حين اطلع عليها لأول مرة فى منتصف العشرينيات ، وهو قوله : لو أن Mathesius ألقى محاضرته فى موسكو وليس فى براغ لسبب هناك ثورة حقيقة فى علم اللغة " . ويعلق Vachek على هذا بقوله : " ففى ذلك الوقت لم يكن الجو متفتحا فى براغ بالقدر الكافى ، ولم يكن متهيئا للانفعال بأفكار Mathesius وآرائه . وقد فشلت محاضرته فى أن تثير أى نوع من المناقشة " .

وتقوم نظرة لغويي براغ إلى المنهجين التزامنى والتاريخى على الأسس الآتية :

١- أن التحليل العلمي المنظم لأى لغة إنما يتحقق عن طريق الفحص التزامنى فقط ، وبمساعدة المقارنه التحليلية التى تشمل مقارنة اللغات ذات النماذج المختلفة ، دون إشارة إلى علاقاتها التاريخية .

٢- لابد لتقدم البحث فى علم اللغة من أن ترصد الخصائص اللغوية لكل لغة فى مراحل مختلفة من تطورها على أساس تزامنى .

٣- ينبغى بالنسبة للغات الحية أن يبدأ الفحص من المرحلة المعاصرة لأنها المرحلة الوحيده التى تقدم للباحث مادة واضحة كاملة .

٤- حتى المنهج التزامنى فى وصف اللغة يجب أن يأخذ فى الاعتبار الصفة المتحركة للغة فى إطار الفترة الزمنية المعينة ولهذا ظهر عند Mathesius المصطلحان Static oscillation ويعنى التقلب الثابت أو عدم الاستقراربالنسبة لفترة معينة وdynamic changeabillity ويعنى التغير الديناميكى الذى يحدث بمرور الوقت .

٥- يترتب على الأساس السابق أن الوصف التزامنى ليس صورة متحركة ، وإنما هو أشبه باللقطة التصويرية ، ولكننا نحاول أن نكتشف عن طريق التصوير المتحرك – نكتشف العرض المتزامن للتحركات ، وهى التغيرات داخل اللغة .

٦- الاتجاه الموصل من المستقر Static أو التزامنى Synchronistic إلى المتحرك dynamic أو التاريخى أو التتابعى diachronistic هو أسلم طريق فى علم اللغة . ولا يمكن سلوك الاتجاه التتابعى إلا بعد بحث مستفيض فى لغات منفردة فى وقت معين لشىء ثابت مستقر وبعدها يمكن للمرء أن يتساءل عن مدى امتداد الظاهرة المستقرة : هل بقيت كما هى ؟ هل تغيرت قليلا ؟ هل حل محلها ظاهرة أخرى ؟

٧- لابد أن يتصور التطور التاريخى للغة على أنه تموج مستمر ، واختيار من بين صيغ تعيش فى اللغة جنبا إلى جنب .

النظرة الوظيفية

ربما كان واحدا من أهم الاتجاهات الثابتة لمدرسة براغ خلال تطورها منذ البداية حتى الآن التأكيد على الوظيفة function سواء في جانب اللغة أو اللغوى. فوظيفة اللغوى فى الحياة الثقافية ، ووظيفة العناصر وعلاقاتها التركيبية ، ووظيفة اللغة فى المجتمع ، والوظيفة الجمالية للغة ، ودورها فى الأدب والفن الكلامى ومشكلة الجوانب المختلفة ، ومستويات اللغة من وجهة النظر الوظيفية – كل أولئك كان موطن اهتمامهم . وهم حتى فى دراستهم الصوتية قد نظروا إلى الجانب الوظيفى للنموذج الصوتى داخل النظام العام للغة .

وأما من حيث وظيفة اللغوى فإن علم اللغة لعلم اللغة لم يكن محل اهتمام لغويى براغ ، ولا سيما أعضاء حلقة براغ اللغوية الذين حصروا اهتمامهم فى تلبية رغبات المجتمع وتوجيه النتائج لتناسب حاجات الحياة اليومية ، وتساعد فى حل المشاكل العاجلة فى كل يوم .

ومعنى هذا أنهم انتقوا من بين المشكلات ذات الأهمية اللغوية تلك التى تتمتع بالأهمية على المستوى الاجتماعى . ومن أمثلة ذلك اللغة المعيارية standard language والتخطيط اللغوى language planning ، وعمل المعاجم الأحادية اللغة monolingual lexicography ، ولهذا يقول vachek : " أعضاء الحلقة اللغوية لم يقصروا أنفسهم على مشاكل من النوع النظرى العالمى ، ولكن ناقشوا كذلك بهمة فائقة مشاكلهم الخاصة المحلية ، وطبقوا نتائجهم عليها " .

ولعل هذا هو السبب الأساسى فى تمتع لغويى براغ بمكانه عظيمة فى مجتمعهم التشيكى ، وفى تأثيرهم على الحياة الثقافية بوجه عام . وكان هذا فى زمانهم شيئا لافتا للنظر إذا قيس بوضع علماء اللغة الاميركيين الذين كانوا معزولين عن مجتمعهم ، وكانت أبحاثهم لا تلقى الرواج الكافى بين أفراد المجتمع . أما النظرة الوظيفية إلى اللغة فقد انبثقت من الاعتراف بها كأداة tool

أكثر منها كموضوع ، وتمثلت فى الاهتمام بالجانب العملى للغة من اللغة المتكلمة إلى لغة الشعر والفن .

وطبيعى أن يأتى فى قمة اهتمامهم بالجانب العملى للغة دراستهم لجوانب اللغة المعاصرة ، وبخاصة اللغة المعيارية standard language وقد تساءلت مجلة Slovo a Slovesnost (التى أسست عام ١٩٣٥ ، وذكرت كهدف من أهدافها نشر اتجاهات جديدة فى دراسة اللغة المعاصرة) تساءلت فى افتتاحية عددها لعام ١٩٦٠: ماذا يمكن لعلم اللغة أن يعطى اللغة المعيارية ؟ هل يحصر نفسه فى ترديد القواعد والأحكام التقليدية وتحديد الممنوعات والمسموحات ؟ أو أنه يمكن أن يقوم بدور ايجابى لتطويرها ؟ ثم عقبت قائلة : هذا يتوقف على نوع علم اللغة الذى نتصوره فى أذهاننا .

وقد ارتبط مصطلح علم اللغة الوظيفى functional liguistics والتركيز على الوظيفة التى يتضمنها – إلى حد كبير – باسم Vilem Mathesius.

وواحد من أحسن الأمثلة لتطور المنهج الوظيفى فى اللغة على يد Mathesius وتلامذته هو عملهم حول " منظور الجملة الوظيفى "Functional sentence perspective ، أو ما يسمى بنسق الكلمات word order . إن توظيف الرموز الكلامية يرتبط بثلاثة مكونات للموقف الكلامى وهى المتكلم والسامع ، ثم الأشياء . وتتنوع رموز الكلام التى تكون الحدث الكلامى تبعا لتنوع أى واحد من هذه المكونات . وكل تنوع يشكل وظيفة معينة للغة :

إن تنوع الرمز مع المتكلم يشكل الوظيفة الشارحه expressive function ومع السامع يشكل وظيفة المناشدة appeal function ومع الأشياء يشكل الوظيفه الاتصالية :communicative function وسماها عالم النفس النمساوى karl Buhler الوظيفة التمثيلية rebresentative function والأخيرة تعد الوظيفة الأولى للغة ، ولذا ركز عليها Trubetzkoy واعتبرها أهم الوظائف وقد اكتفى Buhler بهذه الثلاثه ، ولكن زادت مدرسة براغ عليه وظيفة رابعة وهى

الوظيف الجمالية ، وقد كان ممثلها الفذ فى الثلاثينيات وأوئل الأربعينيات Jan Mukarovsky الذى تصور تلك الوظيفة كالآتى : كل شيء أو فعل - ويدخل فى ذلك اللغة - يمكن أن يربط بوظيفة عملية " الاتصال بالنسبة للغة مثلا " . فإذا أصبح شيء ما ، أو فعل ما موضع اهتمام لذاته لاللوظيفة العملية التى يؤديها فانه يقال إنه يؤدى وظيفة جمالية esthetic function . فهو محل اهتمام من ناحية " ما هو " وليس من ناحية " لماذا هو " ؟

وهناك منطقة أخرى إضافية للبحث اهتم بها لغويو مدرسة براغ وهى دراسة دور اللغة فى " التباين الاجتماعى " social differentiation . فهنا تدرس وظيفة اللغة لا على أساس الموقف الكلامى speech situation كما كان يفعل Buhler ولكن على أساس الوضع الاجتماعى للنموذج الكلامى ككل . ومعنى هذا أن هذه الدراسة تهتم بما قد نسميه الوظيفة الاجتماعية sociological function للغة أو وظيفتها فى خدمة طبقات مختلفة من المجتمع .

ومجال آخر لعلم اللغة الوظيفى ، هو دراسة اللغة المعيارية كجانب من جوانب المستويات الوظيفية فى اللغة . وقد كان هذا موضوع اهتمام مدرسة براغ سواء للأهمية التخصصية ، أو للمساهمة فى الحياة الثقافية للمجتمع .

وقد عرفت مدرسة براغ اللغة المعيارية standard language على أنها " صيغة مقننة من اللغة قبلها واستخدمها كنموذج قطاع كبير من المجتمع " ، وذكرت لها خاصتين هما الاستقرار المرن flexible stability ، والعقلانية intellectualization . فهى لكى تؤدى وظيفتها بكفاءة يجب أن تكون مستمرة عن طريق التقعيد الملائم . ولكنها يجب فى نفس الوقت أن تكون مرنة فى قواعدها بشكل يسمح بالتغير والتطور فى مصاحبة التغيرات الثقافية . أما العقلانية فتعنى بها " ميل متصاعد نحو تعبير أكثر دقة وتحديدا "أو " ميل نحو تصنيف مترابط وتوضيح للعبارة " . والأول يتعلق بالنحو ، والثانى بالمعجم . وقد اعتبرت مدرسة براغ مفهوم " اللغة المعيارية " مقابلا لمفهوم " الكلام

الشعبى " Falk speech الذى يعنى عندهم النماذج الكلامية غير الخاضعة للتقعيد ، واهتمت بدراسة التفاعل بين اللغة النموذجية والكلام الشعبى ، وبخاصة دراسة النماذج الكلامية المختلطة التى تحوى عناصر من كلا المصدرين .

أما دراسة مدرسة براغ للفونولوجى الذى هو دراسة التميز الوظيفى للنموذج الصوتى داخل النظام العام للغة فقد قام على تصورها الأساسى لدور النماذج الصوتية فى اللغة وهو " التفريق بين وحدات الكلام ذات المعانى ، الواحدة من الأخرى " . وعلى هذا فالوحدة الصغرى للنماذج الفونولوجية (الفونيم) يعرف على أساس مساهمته فى الوظيفة الشارحة أو التمثيلية ، وخصائصه التى تميز أى ناقل للمعنى من آخر .وسنزيد هذه النقطة تفصيلا حين حديثنا عن " التحليل الفونولوجى ونظرية الفونيم ".

المنهج التركيبى

ربما عرفت التركيبية structuralism على أنها " اتجاه فى علم اللغة يهتم بتحليل العلاقات بين جزيئات segments اللغة المنظور اليها ككل منسق " . وهذا الاتجاه فى دراسة اللغة قد برز فى فترة ما بين الحربين العالميتين ويمثله عدة مجموعات فى كل من أوربا وأمريكا أهمها :

١- مجموعة مدرسة جنيف .
٢- أعضاء حلقة براغ اللغوية .
٣- أعضاء حلقة كوبنهاجن اللغوية .
٤- اللغويون الأمريكيون المرتبطون باسم ليونارد بلومفيلد.

وتتفق هذه المجموعات أو القيادات في ملمحين أساسيين هما :

١- رفض مناهج النحاة المحدثين Neogrammarians التى مالت نحو السيكولوجية Psychologization والتجزىء atomization للواقع اللغوى .

٢- إقامة علم اللغة الذى كان القدماء ينظرون اليه على أنه خليط من علوم النفس والاجتماع ووظائف الأعضاء - إقامته كعلم مستقل قائم على أساس التصور للرموز اللغوية .

وفيما عدا هذا يختلف التركيبيون بصورة كبيرة الواحد عن الآخر حتى فى الأساسيات ، ولهذا فضل بعضهم أن يطلق اسماً خاصاً على كل مجموعة :

١- فأطلق اسم علم اللغة الوظيفىfunctional linguistics على مدرسة براغ.

٢- واسم الجلوسيماتيك glossematics على مدرسة كوبنهاجن أتباع Hjelmslev .

٣- واسم علم اللغة الوصفى descriptive linguistics على أتباع بلومفيلد Bloomfieldians .ولم يقع لغويو براغ تحت تأثير الجلوسيماتيين كما أن اتصالهم بمدرسة بلومفيلد كان مقطوعا ولهذا تطورت التركيبة فى كل من أوربا وأمريكا ولكن دون تبادل الاتصال .

أما أقرب المدارس بالنسبة لهم وأكثرها أثرا عليهم فهى مدرسة جنيف بزعامة دىسوسير الذى يتلخص رأيه فى علم اللغة التركيبى فيما يأتى :

١- اللغة نظام ، ويجب دراستها باعتبارها كذلك .والحقائق الفردية لا يصح أخذها منفصلة ولكن كأجزاء من كل ، مع الأخذ فى الاعتبار أن كل جزئية مصممة لتأخذ مكانها فى هذا النظام .

٢- اللغة أساساً ظاهرة اجتماعية تخدم غرض التفاهم المتبادل ، ويجب أن تدرس باعتبارها كذلك .

٣- العلاقة المتبادلة بين الصوت والمعنى يجب أن تؤخذ فى الاعتبار لأنها ذات أهمية خاصة فى عملية الاتصال .

٤- تطور اللغة وحالتها الواقعية أمران مختلفان جذريا ، ولذا لايصح استخدام المعيار التاريخى فى تفسير الحالة الحاضرة للغة .

٥- فى علم اللغة - كما فى سائر حقول المعرفة - تعطى التركيبية اهتماما بكل من البحث عن الأمور الثابتة وبذل الجهد للعزل بين الأشياء الملائمة والأشياء الزائدة .

وقد قدم علماء اللغة التشيك تصورا للتركيبية structuralism يتصف بالسعة ، وكان من عوامل انتشار آرائهم خارج مجال علم اللغة .

يقول Gravin فى عرض تصورهم : " التركيبية ليست نظرية ولا منهجا ، ولكنها نظرة ادراكية . إنها تبدأ من ملاحظة أن كل عنصر فى نظام معين تتحدد صفته وشكله بالنظر إلى كل العناصر الأخرى فى داخل نفس النظام ، وليس له قيمة فى نفسه منفردا . إنه لا يصير قاطعا وقابلا للتصنيف والتحديد إلا حين يندمج ويتحد داخل النظام ، ويكون تركيبه مشكلا لجزء معين ، وله مكانه الثابت المحدد " . ويقول vachek : " أول أساس هام فى علم اللغة التركيبى تصور اللغة كنظام مكوناته ذات علاقات متبادلة من جهات متعددة ويؤثر كل منهما على الآخر " .

ورغم أن فترة علم اللغة التركيبى قد بدأت فى كل من أوربا وأمريكا قبل أن تبدأ عند البراغيين كما يتضح من قول Mathesius فى مقالة نشرها عام ١٩٣٦ : " الأهمية الكاملة للتصور الوظيفى والتركيبى الجديد قد اعترف بها منذ أكثر من نصف قرن فى شكل تصور طرحه النحاه المحدثون Neogrammarians ، ولا بد أن يعد الفونولوجى التركيبى مستقرا جدا الآن "

- رغم ذلك فإن أهم مايميز التركيبية البراغية ما يأتى :

١- اتجاهها الوظيفى (راجع : النظرة الوظيفية) .

٢- الفصل بين الظاهرة التاريخية وملامح النظام اللغوى فى فترة معينة .

٣- خلو اتجاههم من الإغراق فىالتجريد كما فعل الجلوسيماتيون .

٤- رفض الاتجاه الشكلى formalistic method دون إشارة إلى المعنى كما فعل البلومفيلديون .

وأخيرا نقول إن Trubetzkoy كان أحد اثنين (الآخر دي سوسير) وضعا النظرية المتناسقة للتحليل التركيبى ، وإن الذين اشتركوا فى تطوير الاتجاه من مدرسة براغ كثيرون منهم : Josef Zubaty (١٨٥٥- ١٩٣٢) وتلامذته ، و Vilem Mathesius (١٨٨٢ - ١٩٤٥) وتلامذته الذين أشهرهم Trnka و Vachek.

التحليل الفونولوجي ونظرية الفونيم

لم تحظ أى دراسة لغوية بالشهرة خارج مدرسة براغ مثلما حظيت دراساتها الفونولوجية ، بل إن بعض اللغويين لا يستحضر فى ذهنه من مدرسة براغ سوى جهودها فى التحليل الفونيمى . ولا عجب فى ذلك ، فالمستوى الصوتى للغة كان موضع الاهتمام الكبير من مدرسة براغ حتى لقد اتهمها خصومها بأنها فعلت ذلك " على حساب المستويات اللغوية العليا التى عالجتها بصورة أقل وطريقة غير كافية " . ولا أدل على أهمية التحليل الفونولوجى البراغى من أنه عقب اشتراك حلقة براغ اللغوية فى مؤتمر جنيف ١٩٣١ شكلت الحلقة اللغوية بكوبنهاجن مجلسا فونولوجيا يهدف إلى اخراج وصف فونولوجى للدانمركية يطبق نظريات مدرسة براغ . وربما كان أهم انجاز قدمته مدرسة براغ هو مناقشاتها الواسعة حول " الفونيم " منذ اللحظة الأولى لتأسيس حلقة براغ باعتباره أهم مبحث فى الفونولوجى الذى هو " دراسة التمييز الوظيفى للنموذج الصوتى داخل النظام العام للغة " . يقول البراغيون ردا على من تشكك فى قيمة التحليل الفونيمى : الفونيمات عناصر للكلمات ، ولا يمكن إبعادها من اللغة . إن الكلمة التى تحيا قبل استخدامها فى صورة إمكان أو كمون تتعلق باللغة ، وهى حين تنطق بالفعل وتتحقق تتعلق بالكلام ، وكذا الوضع بالنسبة للفونيمات وإن كان الفرق أن هناك مصطلحا واحدا دالا على الكلمة سواء كجزء من اللغة أو الكلام ، فى حين أن هناك مصطلحين مع الفونيم . فما يتعلق بالكلمة

المرتبطة باللغة كامكانية يسمى " فونيما " وما يستخدم بالفعل ، ويتعلق بالكلمة المتحققة فى الواقع يسمى " صوتا " .

تعريفات الفونيم :

لم يتفق البراغيون أول الأمر على رأى واحد فى تعريف الفونيم ومكوناته، ولكنهم اتفقوا أخيرا - أو كادوا - على تغليب الجانبين التركيبى والوظيفى ، وقل منهم من أشار إلى الجانب التوزيعى .

وإذا كان كل من Trubetzkoy و Jakobson قد اتجها أول الأمر اتجاها عقليا متأثرين برأى Baudouin de Courtenay الذى عرف الفونيم بأنه " الصورة العقلية للصوت " ، فقد عدلا عن ذلك فيما بعد واتجها اتجاها تركيبيا أو وظيفيا ينسجم مع الرأى السائد عند البراغيين . وعلى هذا يمكن أن نقدم التعريفات الآتية على أنها تمثل وجهة النظر البراغية الأخيرة :

١- Mathesius : الصوت المرتبط بمعان وظيفية .

٢- Trubtzkoy : أ- الوحدة الصوتية المتميزة .

ب- مجموع الملامح الفونولوجية الملائمة لتكوين الصوت .

جـ- رمز لغوى يشترك فى حمل معنى الكلمة ، وتغييره بآخر يغير المعنى .

٣- Jakobaon : أ- الملامح التمييزية المتزامنة الموضوعة فى حزمة واحدة .

ب- مجموع الخصائص الصوتية المتصاحبة التى تستعمل فى لغة معينة لتميز بين الكلمات ذات المعانى المختلفة .

٤- Trnka : أ- كل صوت قادر على إيجاد تغيير دلالى .

ب - أصغر تجمع للكيفيات الفونولوجية المتميزة ، التى مع تجمعات أخرى مماثلة تشكل الكلمة .

٥ -Vachek : المقابل الوظيفى القابل للانتفاع به فى اللغات ، والذى يتحقق واقعيا فى مجموعة من الأصوات تشكل جميعا وحدة وظيفية .

ويرى Vachek أن الأصوات داخل هذه الوحدة (الفونيم) يكمل كل منها الآخر وظيفيا ومعنى هذا أنها مانعة للتبادل فى مواقعها الصوتية فإذا افترضنا أن A و B و C أعضاء فى نفس الوحدة الوظيفية بمعنى أنها تحقق واقعيا نفس الفونيم فانه لا يمكن أن تقع واحدة منها فى موقع الأخرى .

ويبدو تركيز Vachek على الجانب الوظيفى فى قوله : كل فونيم فى أى كلمة يمكن أن يقال إنه يؤدى وظيفتين ، إحداهما إيجابية والأخرى سلبية أما الأولى فحيث يساعد فى تحديد معنى الكلمة التى تحتوى عليه ، وأما الثانية فحيث يحتفظ بالفرق بين هذه الكلمة وكلمة أخرى تخالفها فونولوجيا بحد أدنى . وعلى هذا فالفونيم K فى Call يقاسم بقية شركائه فأداء الوظيفة الإيجابية وهى الكلام المرتفع المقصود توجيهه لسامع بعيد . أما الوظيفة السلبية فتتمثل فيحفظ الكلمة مختلفة عن كلمات مثل tall و pall . وتتضح الوظيفة الايجابية أكثر - فى رأى Vachek - حين يحذف الفونيم فيتغير المعنى مثل call و all،والوظيفة السلبية أكثر إذا غير الفونيم فتغير المعنى مثل call و tall .

ولا يكتفى Vachek بشرط منع التبادل بين أصوات الفونيم ، وإنما يضع شرطا آخر معه وهو أن تكون تلك الأصوات متقاربة فى خصائصها النطقية والأكوستيكية .

مكونات الفونيم :

يتضح من التعريفات السابقة أن البراغيين لم يتفقوا على رأى واحد فى تحليل الفونيم إلى عناصره أو مكوناته الأساسية ، وأن هناك اتجاهين فى ذلك يمثلهما تعريف كل من Trubetzkoy و Jakobson من ناحية ، وتعريف Trnka و Vachek من ناحية أخرى . فتحليل الفونيم على الرأى الأول ينتج ملامح صوتية تمييزية distinctive features أو تجمعات من الخصائص النطقية ، وعلى الرأى الثانى ينتج أصواتا sounds . وفى الحالة الأولى يكون الناتج ملمحا أو كيفية نطقية لا وجود لها بمفردها ، وإنما هى بانضمامها إلى

غيرها من الملامح تشكل الصوت اللغوى أو الفونيم . أما في الحالة الثانية فيكون الناتج شيئا ماديا أو صوتا فعليا قابلا للتحليل مرة أخرى إلى عناصر ومكونات .

أما الرأى الأول فيقول Trubetzkoy شارحا له : يحوى الصوت — دائما— مجموعة من الملامح الصوتية ، ومهمة الأصواتى أن يمتحن هذه الملامح . ولكن للتفرقة بين المعانى فإن عددا صغيرا من هذه الملامح يكون ملائما relevant . واستعمل Trubetzkoy كذلك للدلالة على الملامح الملائمة أو التمييزية مصطلح " المحتوى الفونيمى " phonemic content وفسره بأنه كل الخصائص المشتركة بين كل تنوعات الفونيم والمميزة له فونولوجيا عن غيره من الفونيمات داخل اللغة المعينة ، وبخاصة تلك الفونيمات التى تبدو مقاربة له . وعلى سبيل المثال : المحتوى الفونيمى للفونيم الألمانى k يعبر عنه بوصف الـk على أنها تجمع من الملامح الآتية :

١- غلق كامل (فى مقابل ch) .
٢- غلق تجويف الأنف (فى مقابل ng) .
٣- شد عضلات الحنجرة (فى مقابل g) .
٤- الطبقية (فى مقابل p و t) .

الفونيم k يقاسم الخاصة الأولى مع t و p ..
والثانية مع g و d وp ..
والثالثة مع p و t و f ..
والرابعة مع g و ch و ng ..
ولكن مجموعة الخصائص الأربعة تشكل الفونيم K فى الألمانية .

وهذا الذى سماه Trubetzkoy ملمحا ملائما relevant هو نفسه الذى أشار إليه Jakobson تحت اسم الملمح التمييزى distinctive feature ولكن Jakobson استطاع بجهده العظيم أن يحول مبدأ الملامح التمييزية إلى نظرية

أصيلة عدها بعضهم إسهامه البارز في نظرية الفونيم وقرن جهده فيها بجهد Baudouin de Courtenay . وعلى أساس هذه النظرية يحدد كل فونيم في أي نموذج لغوى عن طريق " مجموع مستوعب لكل الملامح التمييزية " .

وقد حاول Jakobson أن يحصر الملامح التمييزية الممكن وجودها في أي لغة من لغات العالم - وهي لا توجد مجتمعة في لغة واحدة ولكن تختار كل لغة عددا معينا منها - وقام بتصنيفها وتوزيعها على طول محورين :

١ - التزامن simultaneity .

٢- التتابع successiveness .

وعلى أساس الثنائية binarism أو dichotomy التي تعني أن الوحدات اللغوية تقع أعضاء في تقابلات ثنائية تتميز بوجود أو غياب الملمح التمييزي .

وقد ميز Jakobson بين ثلاثة أنواع من الثنائيات المتقابلة :

١ - التقابل بين السواكن الخلفية (طبقية أو غارية) ، والسواكن الأمامية (شفوية أو أسنانية) .

٢- التقابل بين الصوت الرزين grave ، والصوت الحاد acute .

٣- التقابل بين السواكن ذات النغمة العالية والسواكن الرخيمة ذات النغمة الحادة.

وفي بحث نشره عام ١٩٤٩ جزأ الصربية الكرواتية إلى حزم من الملامح التمييزية وأقام نموذجه على ثماني خواص مقسومة إلى فرعين :

فرع متأصل inherent (متزامن) ، وفرع بروسودى prosodic (متتابع) .

ويشمل الأول ستة ملامح هي : التصويت vocality ، والأنفية nasality ، والتشبع saturation ، والرزانة gravity ، والاستمرار continousness والجهر voicing . ويشمل الثاني ملمحين فقط هما : الطول length ، والنغمة العالية high-tone . وهو يرى أن هذه الملامح تحمل في طياتها عنصر التقابل.

فلا يوجد توتر بدون ارتخاء ، ولا توجد رزانة بدون حدة ، ولا يوجد تشبع عـال بدون تشبع منخفض ، ولا وجود للرنين الأنفى دون غيابه .. وهكذا .

وفي بحث آخر عن فونيمات اللغة الفرنسية نشـره (بالاشـتراك) فـى نفس العام حدد تقابلات سته للملامح التمييزية تقابلها ملامح مضـادة فيكـون المجمـوع اثنى عشر ملمحا تكون ستة ثنائيات هي :

١- التصويت vocality فى مقابل التسكين consonantness .

٢- الأنفية nasality فى مقابل الفموية orality.

٣- الإشباع saturation فى مقابل التخفيف diluteness .

٤- الرزانة gravity فى مقابل الحدة acuteness .

٥- التوتر tenseness فى مقابل الارتخاء laxness .

٦- الاسـتمرارية continousness فـى مقـابل الاعـتراض أو الحصـر interception .

وفى أبحاث أخرى زاد Jakobson :

١- الصوت المتضام compact فى مقابل المنتشر diffuse .

٢- المجهور voiced فى مقابل المهموس voiceless.

٣- الخشن strident فى مقابل الرقيق mellow .

٤- المنضبط checked فى مقابل غير المنضبط unchecked .

وفى بحث آخر له عـن الفونيمـات المفخمـة فـى اللغـة العربيـة قسم المؤلـف فونيمات لهجة شمال فلسطين الدرزية إلى الملامح التمييزية الآتية :

١- مصوت فى مقابل غير مصوت .

٢- ساكنى فى مقابل غير ساكنى .

٣- محلق فى مقابل غير محلق .

٤- أنفى فى مقابل فموى .

٥- متضام فى مقابل منتشر.

٦- رزين في مقابل حاد.
٧- وقفي قوى نفسى فى مقابل وقفى ضعيف غير نفسى .
٨- استمرارى في مقابل منقطع .
٩- خشن فى مقابل رقيق .
ومعنى هذا أن الفونيم ليس له - عند Jakobson - مقابل واحد حتمى ، فكل واحد من الملامح التمييزية التى تكون الفونيم لها مقابل فى داخل اللغة . وهذا التقابل يجب أن ينقل - فى رأى Jakobson- من الفونيم إلى الملمح التمييزى .
وأما الرأى الثانى فيقول Trnka فى شرحه " كل فونيم له أشكاله المختلفة التى يمكن - بدرجات متفاوتة - استقبالها بواسطة الأذن ولكن لفهم الكلام فإن الأشكال الرئيسية هى الهامة ، لأنها هى التى فى وعى المتكلم تشكل عائلة الأصوات لهذه اللغة أما الأشكال المختلفة الثانوية للفونيمات فإنها إما أن تكون متقيدة بوقوعها فى مجموعة معينة من الأصوات ، أو باستخدامها فى طريقة نطقية معينة لبعض الناس " .
وقريب منه ما قاله vachek من أن الفونيم يتحقق واقعيا فى مجموعة من الأصوات sounds تسمى تنوعات variants . واحد من هذه التنوعات الصوتية داخل الوحدة الوظيفية (الفونيم) يسمى عادة التنوع الأساسى- fundamental variant ، للفونيم ، فى حين تعد الأصوات الأخرى تنوعاته التكاملية .
combinatory variants إن التنوع الأساسى للفونيم هو ذلك الصوت " فى المجموعة " الذى يكون اعتماده على الفونيمات المجاورة فى السياق أقل . أما التنوعات التكاملية - على العكس - فتبدو محددة الموقع ببيئات صوتية معينة أو مشروطة بمجاورتها لها .

الملامح المتأصلة والملامح البروسودية :

قسم Jakobson الملامح التمييزية إلى متأصلة inherent وموسيقية prosodic واعتبر الأولى ملامح تزامنية والثانية ملامح تتابعية . ويتعلق الفرع المتأصل

عنده بملامح مثل التصويت والانفية والاستمرارية .. والفرع الموسيقي بملامح الطول والنغمة والنبر . وكل واحد من هذه الملامح الموسيقية قد يكون فى موقع بين المقاطع intersyllabic أو ضمن المقاطع intrasyllabic أما عند كل من Tranka و Vacnek فيقسم الفونيم الى تركيبى segmental وهو يقابل الملامح المتأصلة أو التزامنية ، وفوق تركيبى وهو يقابل الملامح superasegmental التتابعية أو البروسودية ، وهو الذى يسميه بعضهم الفونيم البروسودى prosodic phoneme .

الفونيم المركب والفونيم البسيط :

حدد Trubetzkoy القواعد الآتية لتمييز النوعين السابقين من الفونيم :

١- تجمعات السواكن - فى لغة ما - التى لا تتوزع على مقطعين تعد تحققا لفونيم واحد (فونيم مركب) .

ففى الروسية والبولندية والتشيكية .. التجمع ts يخص مقطعا واحدا ، ولذا يعد فونيما واحدا ولكن فى الفنلندية ، حينما يقع هذا التجمع وسطا فقط ، وتلحق الـt بالمقطع السابق والـs بالمقطع اللاحق فهما يعدان تحققا لتتابع الفونيمين (البسيطين) : t و s .

٢- التجمع من الأصوات يمكن أن يعتبرتحققا لفونيم واحد - فقط - إذا تم إنتاجه بحركة نطقية متجانسة ، أو بتذويب تصاعدى للتركيب النطقى .

فمثلا العله المركبة (diphthong) الانجليزية ei أو ou يعتبر كل منهما فونيما متحدا (مركبا) .

٣- تجمع الأصوات يمكن أن يعد تحققا لفونيم واحد ، فقط حينما تكون استمرارية تحققه لا تتجاوز استمرارية تحقق الفونيمات الأخرى التى تقع فى نفس اللغة .

فمثلا استمرارية التجمع التشيكى ou تتجاوز استمرارية العلل الطويلة العادية فى التشيكية مما يبدو هاما فى اعتبار هذا الـdiphthong منتميا إلى فونيمات متعددة : (polyphonematic)

٤- تجمعات الأصوات التى تخضع للقواعد ١-٣ يجب أن تعتبر تحققا لفونيم واحد إذا كانت تعامل معاملة الفونيم الواحد ، وذلك إذا ماوقعت فى مواقع لا يسمح فيها بوقوع عناقيد الفونيمات : (phoneme clusters) .

٥- تجمعات السواكن الخاضعة للقواعد ١-٣ يجب أن تعتبر تحققا لفونيم واحد إذا كان هذا يقدم تناسقا فى القائمة الفونيميه فى تلك اللغة .

٦- إذا كان أحد أجزاء التجمع الصوتى لا يمكن اعتباره تنوعا لفونيم موجود فى اللغة فإن كل التجمع الصوتى يجب أن يعتبر فونيما واحد .

معايير التمييز بين الأصوات

هناك جملة معايير يستخدمها اللغويون لاختبار الأصوات وتصنيفها ، وقد ركز البراغيون على ثلاثة من هذه المعايير هى :

١- المعيار الدلالى واختبار التبادل .

٢- التشابه الصوتى .

٣- قابلية الإقساط .

كما قدم كل من Trubetzkay و Trnka قواعده الخاصة التى رأى أن استخدامها كاف للتميز بين الأصوات .

أما المعيار الدلالى semantic criterion فقد برز فى معظم تعريفات البراغيين للفونيم (راجع تعريفات الفونيم) ، ويقوم على اختبار مقدرة الصوت على أن يميز بين الكلمات والمورفيمات أو لا.ومعنى هذا أنه إذا كان وضع صوت مكان آخر يؤدى إلى تغيير المعنى فإن كلا من الصوتين ينتمى لفونيم مختلف ، وإلا فهما تنوعان لفونيم واحد .

ويرتبط بالاختبار الدلالى ما يسمى باختبار التبادل commutation ، ويقوم على أساس محاولة العثور على كلمتين تختلفان من حيث المعنى ، ولكنهما تتفقان صوتيا فى كل شىء فيما عدا خلافا صوتيا واحدا . إذا أمكن وجود شىء كهذا فإنهم كانوا يعتبرونه دليلا قاطعا على الاختلاف الفونيمى ، وينسبون كل صوت إلى فونيم مستقل ومثال ذلك ما يعرف بالـ(n) الأسنانية والـ(n) الطبقية . فهما يعدان فونيمين مستقلين فى الإنجليزية (sin – sing ، أو kin – king) فى حين أنهما يعدان فى اللغات السلافيه فونيما واحدا يتشكل تبع البيئة الصوتية فيكون إما أسنانيا أو طبقيا .

وأما التشابة الصوتى بين أعضاء الفونيم الواحد فقد اشترطه Vachek حين قال: إن الأصوات التى يمكن اعتبارها مجموعة واحدة ذات قيمه وظيفية واحدة هى تلك التى تعد متقاربة فى خصائصها النطقية والأكوستيكية . وحين قال : ولسنا فى حاجة إلى القول بأن كل الأصوات sounds التى تخص نفس الوحدة الوظيفية (الفونيم) لابد أن تكون متقاربة فى خصائصها العضوية والأكوستيكية ، كما – على سبيل المثال – فى (n) و (ŋ) .

وقد سمى Trnka هذا الاختبار باسم اختبار الملامح الملائمة test of relevant features ، وذكر أنه يكون واجب الاستعمال حين لا يكون ممكنا استخدام " اختبار التبادل " ، وذلك حينما نريد أن نعرف ما إذا كان صوت ما يقع فى موقع معين يكون أو لا يكون نفس الفونيم بالنسبة لصوت يقع في مواقع صوتية مختلفة . ومثل لهذا بالصوتين (ŋ) و(h) ، فهما لا يمكن تبادلهما لأنهما لا يقعان فى مواقع متقابلة ، ولكن فقط الحقيقة أن كلا منهما يحتوى على مجموعة من الملامح الملائمة المختلفة هو السبب فى اعتبارهما فونيمين مختلفين .

وأما قابلية الإسقاط omissibility فهو معيار استخدمه Trnka للتميز بين الأصوات . وهذا المعيار يقول : " الصوت الذى إذا حذف لا يتغير معنى الكلمة

يعد تنوعا variant " . وفرع على هذا أن الصوت (ʔ) فى التشيكية يعد تنوعا ولا يمكن اعتبارة فونيما مستقلا ، لأنه يمكن أن يسقط بدون تغيير معنى الكلمة بخلاف الصوت(i)مثلاالذى يعدفونيمالأنه لا يمكن حذفه بدون تغيير المعنى .وأهم اعتراض يوجه إلى هذا المعيار هو أنه لا يكفى بذاته لتحديد هوية الصوت فونولوجيا .انه يساعد فقط على اعتبار صوت ما غير فونيم (تنوعا) ولكنه لا يقرر أن صوتا ما يترتب على اسقاطه كلمة جديدة يجب أن يكون فونيما (صوتا رئيسيا) وعلى هذا ففى التشيكية مثلا الصوتان (p) و(ŋ) لا يمكن حذفهما دون تغيير معنى الكلمة ، ولكن من بين الصوتين نجد (p)،فونيما (صوتا رئيسيا) ، فى حين ان الـ(ŋ) تعد تنوعا موقعيا .

وقد وضع Trubtzkoy قواعد خاصة تحدد علاقة الفونيم بتحققاته أو تنوعاته الصوتية الفعلية ، وتصلح أختبارا للتمييز بين الأصوات وهى تتلخص فيما يأتى :

١- أى صوتين فى لغة ما يكونان تنوعين اختياريين لفونيم واحد إذا أمكن وقوعهما فى نفس البيئة ، وكانا قابلين للتبادل من غير تغيير المعنى المعجمى للكلمة . وقسم التنوعات الاختيارية optional variants إلى عامة general وفردية Individual . أما التنوع العام فهو ما لا يمكن اعتباره عيبا نطقيا أو انحرافا عن المعيار ، ويمكن لنفس المتكلم استعماله ، فى حين أن التنوعات الفردية تكون موزعة بين أعضاء مختلفين فى المجتمع اللغوى .

٢- إذا كان صوتان يقعان فى نفس الموقع ، ولا يمكن أن يتبادلا بدون تغيير معانى الكلمات أو بدون جعل الكلمة غير متعرف عليها فإن الصوتين يكونان تحققين صوتيين لفونيمين مختلفين .

ويمكن التمثيل للأول بكلمتي قال وكال العربيتين وللثانى بكلمة باع ، فإن وضع الظاء مكان الباء يجعل الكلمة غير معروفه .

٣- إذا كان صوتان في لغة ما بينهما علاقة أكوستيكية أو نطقية ، ولا يمكن أن يقعا في نفس البنية الصوتية فإنهما يعتبران تنوعات تكاملية combinatory variants لنفس الفونيم (allophones).

مثال ذلك من اليابانية الصوت (.g) والصوت (ŋ). الأول يقع فقط أولا ، والثاني لا يقع أبدا ذلك الموقع . هذان الصوتان يعدان تنوعات تكاملية لفونيم واحد باعتبار أنهما الصوتان الحلقيان المجهوران الوحيدان في اليابانية . ولك أن تقول إنهما تجمعهما خصائص مشتركة تميزهما عن كل الأصوات اليابانية الأخرى .

٤- أي صوتين يمكن - من ناحية اخرى - أن يحققا القاعدة رقم ٣، من المحتمل ألا يعتبرا تنوعين لنفس الفونيم إذا كانا - في لغة ما - يمكن أن يقع كل منهما تاليا للآخر ، أو بعبارة أخرى إذا كانا جزءا من تتابع صوتي sound sequence في هذا الموقع حيث واحد من الأصوات يقع أيضا منفصلا .

كما وضع Trnka الأسس الأربعة الآتية :

١- المركب الصوتي الذي محتوياته غير متقابلة بعضها ضد بعض يعد فونيما واحدا .

٢- الصوت الذي حذفه من الكلمة لا يؤدي إلى تغيير المعنى لا يكون فونيما .

٣- الأصوات التي تملك نفس القدر من الملامح المنسجمة تشكل فونيما واحدا

٤- الصوتان اللذان يؤدي تبادلهما إلى تغيير في الشخصية الأسلوبية يعدان تنوعين أسلوبيين لفونيم واحد .

التحييد والفونيم الرئيسي :

هذان المصطلحان مترابطان ، ولا يوجد أحدهما بدون الآخر :

فالتحييد neutralization يعني به إبطال التمييز بين أكثر من فونيم في مواقع معينة . ويترتب عليه اندماج فونيمين أو أكثر فيما يسمى بالفونيم الرئيسي archiphoneme ، الذي يعرف بأنه مجموعة من الملامح المتلائمة المشتركة

بين فونيمين أو أكثر ، أو أنه أسرة من الفونيمات أبطل التميـيز بينهـا فـى مواقـع معينة ، فتداخلت وصارت فونيما واحـدا . وهـذه الظـاهرة شـائعة فـى كثـير مـن اللغات كما يبدو من الأمثلة الآتية :

١- فى الألمانية يوجد تفريق بين السواكن المهموسة والمجهورة فى الكلمات فى معظم المواقع ولكن فى نهاية الكلمات لا تقع السـواكن المجهـورة . وعلـى هـذا فالكلمتان rad (دراجة) و rat(نصـح) تنطقـان متمـاثلتين (ra:t) ، فيقـال فـى هذه الحالة إن التمييز بين (d)و(t) قد حيد فى الموقع النهائى .

٢- فى الروسية يحيد الفونيمان b-p ، والفونيمان t-d فى الموقع النهائى ، وقبل صوت انفجارى أو احتكاكى .

٣- وفى الإنجليزية يوجد تقابل بين " (t) والـ(d) فـى معظـم المواقـع ، كمـا فـى tie وdie. ولكـن كلمتـان مثـل wettingو wedding فـى نطـق كثـير مـن الأمريكيين تنطقان بصورة مماثلة (wetting) حيث أبطل التمييز بين الصوتيـن (المتميزين عادة) فى هذا الموقع .

٤- وفى اللغة العربية يبطل التمييز بين فونيمى الطاء والتاء فى مواقـع معينـة ، مثل اطرد واصطبر واضطرب . فهنا نجد أن التمييز بين الطاء والتاء قد حيد أو أبطل فى هذا الموقع . ويجب فى هذه الحالة وضع رمز يشـير إلـى هـذا الفونيـم الكبير أو الفونيم الرئيسى الذى نشأ عن التحييـد وليكـن الرمـزطـ . ومـن التحييـد أيضا إبطال التمييز بين الهاء والتاء المربوطة فى الموقـع الأخـير ، مثـل خادمـه وخادمة (الأولى بهاء الضمير والثانية بتاء التأنيث) ويجب فى هذه الحالة كذلك الرمز إلى الفونيم الرئيسـى الـذى يشـملهما برمـز خـاص . ويعـد Trubetzkoy واضع المصطلح : " الفونيم الرئيسى ، ومن أشهر [illegible]تموا بعملية التحييد بيـن أصوات اللغة ، وقد اعتبر التحييد واحدا من أسس [illegible] الأنظمة الفونيمية ولـذا خصص له اهتماما كبيرا ، وقد ذكره فى بحث نشره [illegible] ١٩٣١ .

وتتلخص آراء Trubetzkoy حول التحييد فيما يأتى :

١- ميز تروبزكوى بين التقابلات المميزة الثابتة constant distinctive oppositions التى تملك قوة مميزة فى كل المواقع ، والتى أعضاؤها فونيمات مستقلة دائما - وبين التقابلات القابلة للتحييد neutralizable oppositions التى تملك قوة مميزة فى بعض المواقع فقط حيث تحيد فى موقع معين يسمى موقع التحييد position of neutralization . .

٢- فى موقع التحييد تفقد الملامح الخاصة بكل عضو من عضوى التقابل قوتها المميزة ، ولا يبقى إلا الملامح المشتركة للعضوين . ولذا يعرف Trubetzkoy الفونيم الرئيسى بأنه " القدر المشترك من الملامح المميزة التى توجد فى فونيمين" . مثال ذلك من الألمانية التقابل المسمى :

t-d : bilateral opposition الذى يحيد فى الموقع النهائى . وعضو التقابل الذى يقع فى موقع التحييد يكون - من وجهة النظر الفونولوجية - لا هو وقفى مجهور ، ولا وقفى مهموس ، ولكن غير الأنفى ، الأسنانى ، الانسدادى بوجه عام .

٣- توجد أربع حالات محتملة لتحقق الفونيم الرئيسى أشهرها الحالتان الآتيتان :

أ- قد لا يكون ممثل الفونيم الرئيسى مطابقا لأحد عضوى التقابل وإنما يكون صورة جديدة وسطا بين العضوين المتقابلين تجمع خصائص من عضوى التقابل كليهما . مثال ذلك الأصوات الإنجليزية d و g و b المجهورة التى توصف بأنها (ضعيفة) والتى تقابل الأصوات الأخرى المهموسة k و t و p التى توصف بأنها (قوية) . فهذه تحيد بعد (s) وينتج عنها نوع من الأصوات الضعيفة المهموسة . ويمكننا فى هذه الحاله أن نقول إن الفونيم الرئيسى يمثل بصوت وسط بين العضوين المت[illegible] .

وقد يكتسب ممثل ال[illegible] الرئيسى - إلى جانب ذلك - خصائص من الفونيم الذى يحيد بعده التقابل ن[illegible] لعامل المماثلة .

ب- قد يكون ممثل الفونيم الرئيسي مطابقا لتحقق أحد عنصري التقابل . ومثال ذلك من الروسية التقابل بين الصوت المغور palatalized والصوت غير المغور non palatalized . فحين يحيد التقابل بينهما قبل الأسناني غير المغور، فإن الساكن غير المغور هو الذي يمثل الفونيم الرئيسي .

٤- هو ، كمدرسة براغ ، يصور التحييد على أنه إبطال abolishment أو إخماد Suppression لتقابل بين فونيمين(تفرق بينهما اللغة بملمح واحد ملائم) تحت شروط معينة . وقد عبر Trnka عن هذا المعنى بقوله : إن التحييد ينبغي أن يفهم على أنه إبعاد لواحد من علاقات التقابل عن محتواه الفونيمي المعين . أما Hjelmslev فقد فهمه على أنه إبعاد exclusion لأحد عضوي التقابل الفونولوجي من مواقع معينة من الكلمة .

نظرة أخيرة :

لعلنا نشعر الآن بعد هذه الجولة في عالم اللغويين البراغيين بأن هذه المدرسة قد تمتعت بقدر كبير من الاستقلالية من ناحية ، وبقدر كبير من التفاعل الداخلي والخارجي من ناحية أخرى . ولعل هذا وذاك كانا السبب في قدرتهم على تقديم أسس متكاملة تغطي معظم جوانب الموضوع . ولهذا يقول Gravin : " إن تزايد اهتمام الأمريكيين بالوظيفة function وعنايتهم الواسعة بأعمال لغويين مثل Mathesius و Vachek و Trubetzkoy و Trnka .. كل هذا يبرر القول بأن اللغويين الأمريكيين قد وجدوا هم أيضا أن مناهج مدرسة براغ وأسسها إيجابية وبناءة " .

فلعلنا نحن - أيضا - في عالمنا العربي ، نجد في مناهجهم وأفكارهم ما نستفيد به ونطبقه على لغتنا العربية ، وبخاصة فيما يتعلق بالاهتمام بدراسة اللغة المعاصرة ، والتركيز على الجانب الوظيفي في دراسة اللغة وتدريسها ، والعمل على إخراج معجم تاريخي ، وعلى إنشاء المعامل الصوتية واللغوية الحديثة .



قائمة المصادر

1- Beyond Words
R .P Harrison ,
New Jersey, 1974
2- Body Movement and Interpersonal Communication
p.Bull&others, 1983.
3- The Development of sex Differences in Nonverbal signals
J. Haviland & C.Malatesta,
in : Gender and Nonverbal Behavior,
New York , 1981.
4- Nonverbal Cmmunication
Mark L.Knapp,
U.S.A' 1972.
5- Nonverbal Communication System
D. Leathers,
U. S.A., 1976
6-Nonverbal sex Differences
Judith A.Hall. U.S.A, 1984
7- Scientific Problems as to the Accuracy of Voiceprint
Identification Evidence

بحث خاص من إعداد

Encyclopaedia Britannica, Instant Research Service.
8- Successful Nonverbal Communication
D. Leathers,
U.S.A., 1986

٩- الاتصال اللغوى عن طريق الجلد .
د . أحمد مختار عمر
مجلة العربى - أغسطس ١٩٨٨ .
١٠- الحركة الواحدة والعشرون للرئيس عبد الناصر .
أنيس منصور
مقال بصحيفة أخبار اليوم القاهرية - ٣١ /١ / ١٩٨٧ .
دراسات فى علم اللغة.
د . فاطمة محجوب
النهضة العربية بالقاهرة ١٩٧٦ .
١٢- دراسة الصوت اللغوى
د . أحمد مختار عمر
عالم الكتب بالقاهرة ١٩٨٥ .
١٣- قراءة جديدة لتعابير الوجه
مجدى فهمى
مقال بصحيفة الأخبار القاهرية ٣ / ٥ / ١٩٨٨ .

كتب أخرى للمؤلف :

١ - تاريخ اللغة العربية فى مصر - الهيئة العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٧٠م.
٢ - النشاط الثقافى فى ليبيا من الفتح الاسلامى حتى بداية العصر التركى - الجامعة الليبية ١٩٧١م .
٣ - البحث اللغوى عند العرب - ست طبعات - عالم الكتب ١٩٧١ -١٩٨٨م .
٤ - البحث اللغوى عند الهنود - دار الثقافة ببيروت ١٩٧٢م .
٥ - أسس علم اللغة - ترجمة عن الانجليزية - ثلاث طبعات - عالم الكتب ١٩٧٣ ، ١٩٨٣م ، ١٩٨٨م .
٦ - من قضايا اللغة والنحو - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٤م .
٧ - ديوان الأدب للفارابى - تحقيق ودراسة - مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى خمسة اجزاء ١٩٧٤ - ١٩٧٩م .
٨ - المنجد فى اللغة لكراع - تحقيق بالاشتراك - عالم الكتب بالقاهرة - طبعتان ١٩٧٦ ، ١٩٨٨م .
٩ - دراسة الصوت اللغوى - ثلاث طبعات - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٦-١٩٩١م
١٠- العربية الصحيحة - عالم الكتب بالقاهرة عدة طبعات ، أولاها ١٩٨١م .
١١- اللغة واللون - دار البحوث العلمية بالكويت ١٩٨٢م .
١٢- علم الدلالة - دار العروبة بالكويت ١٩٨٢ ، وعالم الكتب بالقاهرة ١٩٨٨م .
١٣- معجم القراءات القرآنية - بالاشتراك - ثمانية اجزاء - جامعة الكويت - ط اولى ١٩٨٢ - ١٩٨٥ ، ط ثانية ١٩٨٨م .
١٤- النحو الاساسى - بالاشتراك - ذات السلاسل بالكويت ١٩٨٤ - ودار الفكر بالقاهرة ١٩٨٨ ، وذات السلاسل بالكويت ١٩٩٤ .
١٥- المعجم العربي الأساسي تأليف بالاشتراك - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - لاروس ١٩٨٩ .
١٦- أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والاذاعيين - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩١م .
١٧- تاريخ اللغة العربية فى مصر والمغرب الأدنى - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٢ .
١٨- لغة القرآن - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - الكويت ١٩٩٣م .
١٩- معاجم الأبنية في اللغة العربية - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٥ .

رقم الإيداع ٩٤٩٠ / ٩٥

الترقيم الدولى . I . S . B . N

٩٧٧ - ٢٣٢ - ٠٧٢-X